الهند، معالمها، آثارها الحضارية

منذ القرن الرابع عشر وحتى الحادي والعشرين

الطبعة الأولى2015

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
2014/5/2174

957
راشد، عائشة سلمان
الهند: معالمها، اثارها الحضارية منذ القرن الرابع عشر وحتى الحادي والعشرون/ عائشة سلمان راشد.- عمان: مركز الكتاب الاكاديمي2014
( ) ص
ر.إ.: 2014/5/2174
الواصفات/ الهند/ التاريخ
يتحمل المؤلف كامل المسؤلية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذ المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ردمك ISBN 978-9957-35-087-1

مركز الكتاب الأكاديمي
ACADEMIC BOOK CENTER



عمـــان- شـارع الملك حسين - مجمع الفحـيص التجـــاري
تلفاكس: 064619511 ص. ب 1061 عمان 11732 الأردن
E-mail:Abc.safi@yahoo.com/A.b.center@hotmial.com

الهند، معالمها ، أثارها الحضارية

منذ القرن الرابع عشر وحتى الحادي والعشرين

الدكتورة

عائشة سلمان السيَّاس

جامعة يونايتد الدولية

للعلوم التطبيقية -هولندا



مركز الكتاب الأكاديمي
ACADEMIC BOOK CENTER

إهداء

إلى الآباء والأجداد

وكل روح محبة للعلم والبحث والتأمل

أهدي هذا الجهد العلميّ المتواضع

المقدَمـــــة

تساؤلات الدراسة :

طالما تساءلنا حول الدوافع من وراء تناول بلد كالهند ، من حيث التنوع والتعدّد المعرفيّ والثقافيّ ، مما يّشكل صعوبة لدى الباحث ، لا سيما إن كانت الإطروحة رسالة دكتواره ، ولعل أبرز الأسئلة التي قد تطرح في هذا السياق حول الموضوع هي ، هل هي الرغبة في التقصّي ، عن أسرار الطبيّعة الكامنة بين المحيطات والبحار، وفي الصحاري ، والغابات ؟ أم هوسحر مظاهر الطبيعة ؟ أم الإعجاب بالكنوز المعماريّة الهندسيّة التي تنّم عن حضارة عريقة وتاريخ قديم ؟ أم الرغبة في البحث عن جوانب من مظاهر الحياة الاجتماعيّة والثقافيّة ، وأبرز الطقوس والتقاليد ذات الإثارة والبساطة في آن واحد ؟

أهداف الدراسة وأهميتها :

قد تكمن الإجابة في جميع التساؤلات السابقة . لذا أدركنا أهمية شبه القارة الهنديّة ، وبدأنا تدوين الملاحظات حول الطبيعة من أنهارٍ ووديان ، وحقول ومزارع ، ونبات وثمار ، فضلاً عن الحيوان والعمران ، والإنسان والثقافة بشكل عام .

وهكذا بدأنا تدوين الملاحظات أملاً في إعداد مذكرات مسافر جاب بلداً به غريب العادات والتقاليد، وما صادفه من طبيعة متنوعة وأنظمة وقوانين ويعود الإعجاب بهذا البلد إلى ما قبل إعداد المذكرات بسنوات إلا أن الفكرة تولدت عام 2006 وخرجت إلى الوجود عندما زرنا الجامعة العثمانية في حيدر أباد، والتقينا البروفسور الدكتور، محمد شريف، واستفسرنا عن إعداد رسالة الدكتوراه في تلك الجامعة العريقة، وذلك بالمراسلة، ولم نتمكن لصعوبة الأمر.

أشار إلينا البرفسور بإعداد رسالة عن أنشطة علماء الهند وأبحاثهم ودورهم في المحافظة على الإسلام والعربية، وهكذا بدأنا إعداد الأفكار حول المقترح، فضلاً عما لدينا من ملاحظات مدونة كما تقدم.

لم نكن نعلم في البدء أن ملاحظاتنا حول ما تقدم ، قد أشار إليها الرحالة العربيّ الشهير ابن بطوطة [1] ، أثناء زيارته لأجزاء من الهند في القرن الرابع عشر للميلاد ، لقد وجدنا ذلك عند البحث عن مراجع باللغة العربيّة عن الهند ، وتّبين لنا أن ابن بطوطة قد تحدث عن البلاد والعباد ، واصفاً الطرق ، والبيوت ، والأزياء ، والأطعمة ، والشراب وعادات الناس ، وطقوسهم الدينيّة ، وأهم مراسم الأعياد والزواج، والشهور الدينيّة الإسلاميّة ، وأسماء النباتات ، ومواسم الزراعة والحصاد، وطرق التخزين فضلاً عن الرحلات البريّة والبحريّة والطرق .

تبين لنا مما تقدم، إن السر يكمن في الارتباط التاريخيّ الحضاريّ بين الثقافة العربيّة الإسلاميّة ، والثقافة الهنديّة ، وميل العرب من أهل المشرق والمغرب فكرياً وروحياً ، إلى هذا الجزء من العالم ، فابن بطوطة ، ومن سبقه من علماء دين وفكر ، وتّجار ، ومؤرخين ، وسائحين قد مهدوا لتأسيس علاقات إنسانيّة متينة ، مبنية على التبادل الثقافيّ والتجاريّ ، وقد استمرت تلك المصالح في التقدم ، مما وثّق الصلات بين شبه القارة الهنديّة والعالم العربيّ الإسلامي ، لاسيما منطقة الخليج العربيّ ، ففي بدايات القرن العشرين توافد التّجار والأدباء والمثقفين على الهند , لاسيما مومباي[2]، ومثال ذالك الشاعر والأديب البحرينيّ إبراهيم العريض ، الذي ولد في الهند ، أثناء

[1] ابن بطوطة : هو محمد بن عبدالله بن إبراهيم اللواتّي الطنجيّ ، أبو عبدالله ، رحالة ومؤرخ ولد في طنجة سنة 703 هـ 1304 م بالمغرب الأقصى . وخرج منها سنة 725 هـ ، فطاف بلاد المغرب والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان ، وما وراء النهر، وبعض الهند والصين والجاوة والتتر وأواسط أفريقيا . واتصل بالكثير من الملوك والأمراء ومدحهم . استغرقت رحلته 27 سنة ، ومات في مراكش سنة 779 هـ 1377م ، درويش الجويّدي ، رحلة ابن بطوطة ، تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة جزء -2، 1430 / 2009 ، ص 5 .

[2] مومباي : العاصمة الاقتصاديّة التجاريّة في الهند ، عرفت حتى 1995 ببومباي .

وجود أبيه للعمل في تجارة بيع اللؤلؤ [1] ، ولا ننسى الشاعر الكويتي خالد[2] الفرج والشاعر الأديب عبد اللـه الزايد[3] الذي عقد علاقات مع تجار الكويت وجبيل بالمملكة العربية السعودية وعمان .

ويجب أن نذكر هنا أننا أوردنا أسماء الأدباء الذين كانت لهم صلة بالهند ، حسب تاريخ تواجدهم في الهند ، واتباعاً للتسلسل الزمنّي لا غير .

كما أن للهند أهمية أخرى , حيث يرتبط تاريخها الحديث بالمحامي الذي درس القانون في بريطانيا ، ولعب دوراً قيادياً ، في استقلال الهند ، إذ ظهر على وجه الساحة فترة الحرب العالمية الأولى ، إنه موهنداس كارامشا غاندي ، وأطلق عليه لاحقاً المهاتما غاندي أو غانديجي ، أي الروح أو النّفس العظيمة ، هذا المحامي المتدرب آنذاك ألهم حزب المؤتمر بملاحقة مطلبه بالاستقلال برفض التعاون مع السلطات البريطانّية ، وتجنب الشعب طاعتها ، لكن دون عنف ، إلا أن العنف اندلع ، في (أمريتسار)

---

(1) إبراهيم عبد الحسين العريض ، 1908 / 2002 ، ولد في مدينة مومباي ، الهند ، أتم دراسته بالهند ، أجاد الأورديّة ، الإنجليزية والفارسية ، عاد إلى البحرين 1926 ، درس اللغة العربيّة ، عمل بمعارف البحرين ، ثم عمل مترجماً في شركة النفط 1967/1937 ، منى غزال العليوات ، إبراهيم العريض بين مرحلتي الكلاسيكيّة والرومانسيّة ، رسالة ماجستير، أدب عربي، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1980، ص 192.

(2) خالد الفرج مؤسس المدرسة المباركية في الكويت استقر في بومباي عام1978 نورية صالح الروحي، الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور، الكويت، لا مطبعة الطبعة2، جزء1، 1989، ص69.

(3) عبداللـه الزايد : أديب وصحفيّ بارز ، من مؤسّسي النادي الأدبّي ، في البحرين ، أول مؤسسة ثقافيّة حديثة ، وأول من أصدر جريدة في تاريخ منطقة الخليج العربّي ، وليس البحرين ، توفي 1954 , مبارك الخاطر ، نابغة البحرين عبداللـه الزايد ، المنامة ، لا مطبعة،الطبعة2- جزء 1، 1988 ص38.

وهي مدينة في البنجاب [1] ، ذلك حينما فتح الجنرال البريطانيّ تريجنال ديار النار على الشعب الأعزل ، فقتل 379 وجرح 1200.

تخلى المحامي غاندي ، والذي تدرب على الدفاع عن حقوق المجتمع في جنوب أفريقيا ، عن اللباس الأوروبيّ ليرتدي ثوبه الأسطوريّ (الدوطي) المصنوع من القطن الأبيض والشال ، واعتمد دليله الروحيّ من الأديان الكبرى في الهند وهكذا ارتبط غاندي برمز الهند البسيط والقوي . ساند الطبقة الفقيرة ودافع عن حقوق الحرفيّين والفلاحين القرويين ، مع أن حركته لم تتمكن من وقف الفوضى والنزاع بين المجتمعات الديّنية .

توجّت حركة عصيان غاندي 1930 ، حيث بدأ في حركة عصيان مدنيّ كبيرة كتلميح رمّزي ، وقد اتجه إلى شاطئ البحر في مسقط رأسه في ولاية كوجرات وبإصرار خرق القانون بجمع الملح ورفض دفع الضريبة التي فرضتها الحكومة على جمع الملح.

إن ما تقدم يوضح أهمية موضوع الدراسة من جوانب روحيّة وفكريّة وفلسفيّة، لكن يجب ألا ننسى أهمية شبة القارة الهنديّة كحضارة وتاريخ يعود إلى خمسة آلاف سنة ، فهناك أدلة تثبت وجود شعب كان يعيش في شبة القارة الهنديّة ، مما يعني قدم الحضارة الهنديّة ، فهي تماثل الحضارات الأخرى ،كتلك التي كانت للفراعنة، الذين بنوا الأهرام في مصر .

تتواجد الإشارات الأولى للحياة في شبة القارة على ضفّتي نهر الهندوس الذي يتدفق عبر الإقليم الشماليّ ، تلك الأرض منقسمة حالياً بين الهند الحديثة وجارتها ، باكستان , كشفت الحفريات على ضفتي نهر الهندوس عند ، هارابا وموها نجوردارو ، في باكستان ، عن نظام متطور جداً لتخطيط المدن وقنوات التصريف ، حيث خططت الشوارع بأسلوب منظم ، وهناك بقايا للمباني العامة مثل دورات المياه والتصريف ومخازن القمح وقاعات الاجتماع ، كما أن البيوت التي كانت مصنوعة من القرميد المحروق بالفرن ، وليست تشبه القرميد المستخدم حديثاً ، فضلاً عن أن الرموز

[1] البنجاب: سوف نتحدث عن البنجاب في الباب الأول

والصور القديمة على الأواني الخزفيّة وأدوات أخرى ، تقترح أن السكان الأوائل لوادي الهندوس كانوا شعباً زراعياً غنياً ، فعدة رموز أخرى مشابهة عند مواقع لحضارة أخرى أولى في بلاد مابين النهرين العراق ، تشير إلى أن التجارة بين هاتين المنطقتين كانت متبادلة، حاول المؤرخون القدماء الذين ترجموا الرموز أن يتفقوا من أين جاء الشعب الذي عاش في وادي الإندوس (الهندوس)،نظرية واحدة تقول بأن الشعب كان من هنود الجنوب ، أو الدرافيدني ، أصلاً ويعتقد آخرون أنهم ربما هاجروا بطريقة البر من أوروبا ، لاسيما الشرقيّة.

توجد هناك خلال نهاية الحضارة في وادي الإندوس النظرية الشائعة ، التي تؤكد أن الحضارة دمرها مغيرون من أوروبا ، وقد استوطنوا الهند الشماليّة منذ حوالي 3500 سنة . وترجّح نظرية أخرى أن عوامل الطبيعة ، وفيضان النهر ، ساهم في تدمير المدن[1].

وللهند أيضاً أهمية من حيث الصناعة والاقتصاد، ومع الاعتقاد بأن الهند ليست دولة صناعية إلا أنها بلد لديه مهارات تقنيّة لإنتاج الفولاذ الخاص بها ، فضلاً عن مصانع السيارات ، وأجهزة التلفاز ومسجلات الفيديو ، والكمبيوتر ، حتى أنها تصنع الطائرات المقاتلة الخاصة بها وهناك صناعات رئيسّية يمتلكها الشعب تدار بواسطة الحكومة فالمواطنون لهم الحق في إنشاء شركاتهم الخاصة ، مما أوجد طبقة ثرية جداً . وتحتكر الدولة شركات السكّك الحديديّة وصناعات النقل، والأسلحة، وتوليد أشكال الطاقة بما فيها النوويّة ، وتعدين الفحم، وصناعة الفولاذ وغيرها من الصناعات .

كما تمتلك الهند أضخم احتياطيّ من الحديد الخام في العالم ، فضلاً عن كميات هائلة من الفحم ، مما يساهم في صناعة الفولاذ كما أن لدى الهند رواسب من خامات الكروم ، والمنغانيز والنيكل ،أحد أهم المناطق الجديدة للصناعة هي الإلكترونيات ، حيث الاتجاه بإنتاج منتوجات عالية التقنية مثل الآلات الحاسبة والكمبيوترات .

---

[1] راتب الزّيات : عالم المدن حول بلدان العالم , بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعيّة ، لا طبعة جزء -1 ، 1996 ، ص 14 – 15

وبنغلور عاصمة ولاية كارناتاكا في الجنوب ، هي مركز للإلكترونيات المتخصّصة والهندسة الأخرى . ذلك إلى جانب الأغذية، والأدوية والمواد الكيماوية.[1]

لا تصدر الهند معظم ما تنتجه ، ذلك لتلبية احتياجات الزيادة السكانيّة ، فهناك دائماً لائحة انتظار لشراء دراجة هوائيّة أو ناريّة . أما أبرز نجاحات الهند في مجال التجارة ، فهو فيما يعرف ببديل الاستيراد ، أي تخفيض احتياجاتها من الواردات. وأبرز النجاحات كانت في الحبوب الغذائيّة والبترول ، فالهند تنتج وتكرر جميع احتياجاتها من البترول ، ولحقل بترول مومباي دور في ذلك ، وقد تصدر الهند بعد عدة سنوات البترول الخام والمكرر .

تستورد الهند الماس غير المصنّع ، وتصّدر الشاي وهو على قائمة الصادرات فضلاً عن البن ، والتوابل ، والثياب القطنيّة ، والجوت ، والبضائع الجلديّة ، والمنتجات اليدويّة ، والكيماويّة والهندسيّة.

أما المصدر الذي يزداد أهمية فهو من السياحة إذ يزور الهند حوالي مليون شخص سنوياً لرؤية المناظر وممارسة الرياضات المختلفة . وإن كان هذا العدد قليلاً نظراً ، لما قد يكتشفه السائح من روائع كنوز الطبيعة والحضارة في الهند .

كما تمتلك الهند مصادر طاقة رئيسيّة ، أهمها الطاقة البشريّة والطاقة الحيوانيّة ، فالاعتماد عليها واضح ، حيث تحرث الحقول بواسطة المواشي لاسيما الجاموس ، والجرارات الزراعيّة نادرة ، كما أن روث الحيوان (الزبل) يجفف و يحرق في منازل القرية لتأمين الحرارة وللطهي ، كما أن الفلاحين هم من يقع عليهم عبء الزراعة والحرث والحصاد.

وهناك طاقة رئيسيّة أخرى ، هي الفحم والليجانايت ، وهو شكل من أشكال الفحم ، ولدى الهند احتياطّي كبير من كليهما ، فالكيروسين هو أساس تشغيل

---

[1] راتب الزّيات ، عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعيّة ، لا طبعة، جزء -1 ، 1996 ، ص 63-64.

العربات والسيارات ، ونادراً ما يستخدم البترول ، إلا في السيارات الفارهة أو في الفنادق والشركات ذات الكلفة الغالية جداً[1] .

مما تقدم ألقينا الضوء على أهمية شبه القارة الهنديّة ، فهي أرض تضم تفاصيل الحياة الدقيقة ، تغطي الأسرار التي تنسبها الأسطورة الشعبيّة لها ، مقابل الكثير مما يشاع ، والكثير مما يساء فهمه عن التصوف والديانات القديمة .

لقد أتاح اتساع الرقعة الجغرافيّة لهذه الأرض التنوع في المعتقدات ، والتراث، ومظاهر الطبيعة ،والحضارة والعمران .

حدود الدراسة :

ولأهمية ما تقّدم ، والذي شاهدنا جزءاً منه ، وقرأنا عن أجزاء أخرى ، قررنا البحث في هذه الرسالة منذ القرن الرابع عشر الميلادي، وحتى القرن الحادي والعشرين على امتداد ولايات الهند ومدنها الهامة شمالا وجنوباً ، شرقا وغرباً ، عن أهم معالم الهند وكنوزها الحضاريّة ، فضلاً عن مظاهر الجذب السياحيّ الطبّيعي ، إضافة إلى مظاهر الحياة الثقافيّة الاجتماعيّة .

مشكلة الدراسة

لقد واجهنا بعض المشاكل في إعداد الرسالة أهمها قلة المراجع والمصادر التي تناولت الهند باللغة العربية وحاولنا الاتصال ببعض المكتبات ببيروت ودمشق، فضلاً عن السفارة الهندية بالبحرين، وكانت المصادر قليلة بل هو مرجع واحد يتناول السياحة وباللغة الإنجليزية، وحاولنا الحصول على المرجع وترجمته إلا إننا لم نوفق إيجاد المترجم بعد الاتصال ببعض دور الطباعة والنشر.

وواجهنا تحدِ آخر كون الموضوع جديد لم يتناول في رسالة علمية ، فضلاً عن إمكان تحول الموضوع من ملاحظات أثناء الرحلة إلى دراسة علمية تتطلب البحث والدقة العلمية فيما يختص بأسماء الأقاليم والمدن، فضلاً عن الدين والمعتقدات.

---

[1] كيرلا، كوتشين، الهند، فبراير، 2006.

لقد قابلنا سد النقص في المراجع وقلتها بتعزيز ملاحظاتنا المباشرة أثناء الزيارات المتكررة للهند ومقابلة بعض المرشدين السياحيين وسائقي سيارات الأجرة.

منهجية البحث :

وسوف نشير فيما يلي إلى المنهج والطريقة المتبعة في تأليف الرسالة ، وذلك يتطلب عمليات أساسيّة تؤدي إلى المعرفة الدقيقة بكل ما نتناوله ، محاولين قدر الإمكان التقليل من النقص[1].

لقد اتبعنا منهجاً يتقصّى خصائص المدن والمعالم والآثار والتقاليد والثقافة، وهو المنهج التاريخيّ، فضلاً عن جزء كبير من المنهج الوصفيّ ، إن المنهج التاريخيّ يجمع المعلومات والبحوث ثم يلخصها ويصيغها مقارناً فيما بينها . إنه منهج يدرس العمل وفقاً لمادة علميّة تقوم على استنباط الأحكام . وكون التاريخ ماضٍ لم تبق منه ، إلا أنقاض بواسطتها يعاد بعثه ، فالأدب جزء من الماضي والحاضر معاً. ويحاول التاريخ الأدبيّ الوصول إلى الوقائع العامة ، وتمييز الوقائع الدالة[2] لذا سوف ندرس تاريخ الحضارة وثقافتها من مظاهرها ومصادرها الأدبيّة ، ومن ثم الوصول إلى الأفكار وأنماط الحياة المختلفة من خلال الأسلوب ، والعمليات الأساسيّة في البحث تنطلق من النظرة التاريخيّة التي تضع العنصر الشخصيّ في موضعه ، وتجرد الناقد من أهوائه[3].

وبما أن العبقرية هي نتاج البيئة والحضارة، فالعبقريّ يمثل الجماعة، والعنصر الشخصيّ لا يمحى غالباً ، وتأثرنا هنا يكون في مجال تاريخ الأدب، لكن دون طغيان

---

[1] ثريا عبدالفتاح ملحس ، منهج البحوث العلمية ، بيروت ، مطبعة ، دار الكتاب اللبنانيّ ، الطبعة3 ، جزء -1 ، 1982 ،ص 28.

[2] سيّد قطب، النقد الأدبيّ، أصوله مناهجه، القاهرة ، مطبعة ، دار الشروق ، الطبعة 7 ، 1993/1413 ، جزء -1، ص 183.

[3] لانسون ، ومابيه ، منهج البحث في الأدب واللغة ، ترجمة ،محمد مندور، بيروت،مطبعة دار العلم للملايين،الطبعة 2، جزء -1، ص26

الجانب الشخصيّ بل التعبير عن العلاقة بين النظرة التاريخيّة والأدبيّة ، أي التعبير عن المادة والإحساس بثقافة العصر ، مما يعين على تحديد الموضوع بأثره في النفوس [1] .

أما المنهج الوصفيُّ ، فيدرس الموضوع دراسة علمية وفقاً لخطوات منظمة، كي يتسنى له شرح الظواهر البارزة في موضوع الدراسة ، ومن ثم كشف إمكانية التطور في الموضوع[2] ويركز المنهج الوصفيّ على أسس الشكل الظاهر ، وهي مبادئ لها شروطها وحدودها كما يخضع المنهج الوصفيّ لقواعد تكشف النقاب عن أصول الأداء . إنه منهج أساسه الملاحظة الدقيقة ، ثم الوصول إلى النتائج من خلال الوصف عن طريق التّتبع [3] .

المراجع والدراسات السابقة :

ولابد أن نشير إلى ما أخذناه من بعض المراجع والمصادر التي تناولت موضوع البحث وأفدنا منها وأهمها .

- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، وقد أفدنا منه التعريف ببعض المدن والأقاليم في أجزاء من شبه القارة الهنّدية، لاسيما الأسماء القديمة لبعض المعالم والأماكن ، فضلاً عن العرض والوصف للطرق والمباني ، والطقوس الدينيّة ، وغريب العادات والتقاليد ، إضافة إلى وصف الأطعمة ، والأزياء بألوانها وأشكالها ، وطرق صنعها وإعدادها ، وتخزين النباتات والأطعمة .

(1) لانسون ، ومابيه، منهج البحث في اللغة والأدب ،ترجمة محمد مندور،بيروت، مطبعة دار العلم للملايين، الطبعة -2، جزء -1، ص 34.

(2) ريمون طحان ، ودنيز طحان ،مصطلح الأدب الانتقادي المعاصر ، بيروت ،مطبعة دار الكتاب اللبنانيّ ، الطبعة 2 ، 1984 ، جزء -1 ، ص 262.

(3) دالين ، ديولد فان ،مناهج البحث في التربية وعلم النفس ،ترجمة نوفل محمد نبيل ،القاهرة، مطبعة ،مكتبة الإنجلو المصرية ،

- أما المرجع الثاني فهو : دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب لفؤاد بطرس البستاني[1]، فمن خلال القراءة لدائرة المعارف ، وقفنا على الكثير من الأحداث، التي واكبت الاحتلال المغوليّ والبريطانيّ للهند ، وما تقدم ذلك من حكم إسلاميّ ، فضلاً عن أسماء الجبال والأنهار والآثار الدينّية والتاريخيّة ، إلى جانب الترجمة للملوك ، ورجال الدين ، ذلك في فترة ممتدة من القرون الوسطى، وحتى نهاية القرن التاسع عشر .
- سلسلة عالم المدن حول بلدان العالم : أخذنا منه التعريف بالهند القديمة تاريخياً وجغرافياً ، فضلاً عما واكبته الهند حديثاً من أحداث ، ومطالبة بالاستقلال، وصولاً إلى الحرية ونشأة الأحزاب ، وما صاحب ذلك من التقسيم إلى ولايات ، وبناء مدن وطرق حديثة ، فضلاً عن المصانع وغير ذلك من حضارة وعمران .
- دليلك إلى الهند : وهو كتيب يهتم بمعالم الهند الحضاريّة والسياحيّة ، ويشير إلى تاريخ الهند ، شعوبها ، الديانات العادات والتقاليد .
- الملاحظة المباشرة : ذلك بالرصد لأسماء الولايات والمدن والأقاليم في شبه القارة الهنديّة والتعّرف على مظاهرة التقدم والعمران ، والثقافة ، من أنماط وأساليب الحياة المتنوعة ، وغريب الطقوس ، ووسائل المواصلات والتنقل القديمة والحديثة ، وغيرها من معالم السياحة الحديثة ، ذلك إلى جانب كتيبات ذات صلة بالسياحة في شبه القارة الهندية .

خطة البحث :

يحتوي هذا الكتاب الذي اتبعنا فيه خطوات المنهج التاريخيّ ، والوصفيّ، المقدمة ، التمهيد ، وثلاثة أبواب ، يتألف كل باب من أربعة فصول ، فخاتمة الرسالة ثم قائمة المراجع والمصادر والمحتويات.

[1] بطرس البستانيّ 1973/1819 أديب لبنانيّ ,ومن أعظم أركان النهضة , أنشأ المدرسة الوطنيّة في بيروت من آثاره دائرة المعارف , أحمد حسن الزيات ,تاريخ الأدب العربيّ,بيروت,مطبعة دار المعرفة ,الطبعة ،4 ,1977, جزء -1، ص350 – 351 .

يركّز الباب الأول على أهم المعالم الحضاّرية التاريخيّة شمالاً وهي: دلهي ، أغرا، شِملاً ، شانديغار (البنجاب) . أما أهم معالم الغرب فهي جيبور ، جادبور ، مومباي وما حولها .

ويتناول الباب الثاني ، مواطن الجذب الطبيعيّة السياّحية ، في شبه القارة الهنديّة ، غرباً ، غووا ، أوديبور ، جبل أبو ،وجنوباً كلكيت كوتشين وما حولهما، فضلاً عن أبرز منتجعات التاميلنادو . أما في الشمال فمدينة سرينجار ، وشرقاً كلكتا ، دار جيلنج ، وولاية سكيم .

وقد خصصنا الباب الثالث ، للنظم الاجتمّاعية الثقافيّة بين الماضي والحاضر ، في شبه القارة الهنديّة . ذلك من حيث طبقات المجتمع ، أعراقه ، الطوائف الدينيّة ، أبرز معاقل التراث الإسلاميّ ، فضلاً عن معاقل التراث الهندوسيّ ، ويتضمن ذلك غريب العادات والتقاليد والمراسم .

أما الجديد الذي يتضمنه موضوع البحث ، فهو التطرق إلى شبه القارة الهنديّة ، من خلال السياحة ، وربط ذلك ببعض المراجع القديمة ، ذلك لقلة المراجع التي تتحدث باللغة العربيّة عن الهند ، فضلاً عما ورد في هذه المراجع من مفيد وطريف وغريب ، يتفق مع ملاحظاتنا. والطريف أن المظاهر التقليديّة ، التي تعود إلى مئات عدة قرون ، ومع كونها جزءأ من الماضي إلا أنها لا تزال تواكب الحداثة جنباً إلى جنب .

كما أننا سوف نشير إلى ما يواجهه الزائر لهذا البلد من مواقف مضحكة ، مبكية ، مؤلمة ، مبهجة ، بدءاً من ازدحام الشوارع والطرقات ، وحركة المرور ، فضلاً عن روعة وسائل النقل التقليديّة لاسيما العربات التي تجرها الجمال والأبقار المتوحشة ، فضلاً عن الركشه، والأوتوركشه ، والالتفاف على إشارات ، وشرطة المرور في مهارة وخفة، وروح متعاونة وصبر وتحّمل شديدين . حقاً إن الهند من البلاد التي تجد فيها الحديث القديم ، تفاصيل الحياة اليوميّة ، أسرارها ، مزيج من الثقافة الاجتماعيّة ، قصة الإنسان البسيط دون زيف أو خداع .

الباب التمهيدي

لمحة عامة عن الهند

سنتناول فيما يلي لمحة عامة عن الهند ، من حيث الجغرافيّة الطبيّعية ، الموقع ، تاريخ الأمة الهنديّة ، بداية نشأتها ما قبل الميلاد وبعده ، وما تعرضت له من حروب وثورات تمرد ، وقيام أهم الإمبراطوريات حتى نيل الاستقلال عام 1947 ، فضلاً عن تنظيم الولايات والأحزاب ، السّكان ، اللغة ، وأبرز الأنشطة .

ونهدف مما تقدّم ، إبراز ما مرت به شبه القارة الهنديّة وفقاً للتسلسل الزمنيّ ، وإلقاء الضوء على الحضارة الهنديّة، كي يتسنى لنا في أبواب الرسالة المقارنة بين ما كانت عليه الهند قديماً، وما تبدو عليه حديثاً، ذلك من خلال المراجع الأدبيّة والمشاهدة المباشرة .

1 – الموقع والطبيعة الجغرافيّة

تمتد الأراضي الهنديّة جنوبيّ آسيا إلى داخل المحيط الهنديّ ، يحدّها من الشرق بورما وبنغلاديش ، ومن الشمال البتان والنيبال والصين ، وغرباً باكستان [1] .

تشكل شبه القارة الهنديّة ما يشبه ألماسة ممتدة على مسافة 3000كلم من جبال كشمير شمالاً ، وحتى كاناياكوماري أو رأس كوموران جنوباً على المحيط الهنديّ . وذات المسافة من الشرق حتى الغرب من أروناشال براديش [2]وأسام على الحدود من الصين وبورما حتى شاطئ كوجرات[3] على بحر العرب . كانت خارطة الهند تتضمن باكستان وبنغلاديش حتى المرحلة التي تلت الاستعمار . تبلغ مساحة الهند 3287362 كلم مما يجعلها سابع أكبر بلد في العالم مساحة . تشكل جبال

---

[1] راتب الزّيات ، سلسلة عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الرتب الجامعيّة ، لا طبعة ، جزء-1, 1996 ،ص5.

[2] أروناشال براديش : أكبر ولاية تمتد من أسام شمالاً حتى بُتّان غرباً ، تعني أروناشال براديش أرض شروق الشمس ، أرونا تعني الشمس ، وبراديش أرض الشروق

[3] غوجارات أو كوجرات ، ولاية هنديّة ، عاصمتها أحمد أباد ، وهي مسقط رأس المهاتما غاندي

الهيمالايا [1] حدود الهند الشماليّة ، التي تصل حتى نهر الغانج ، وتمتد حتى خليج البنغال في الشمال الشرقيّ حيث تقع شيرا لونجي التي تسجل أعلى نسبة هطول للأمطار .

تحيط جبال ديكان أودكان في شبه الجزيرة الجنوبيّة ، بجوانب جبال فيندها وساتبورا شمالاً ، وشرقاً وغرباً جبال الغوط أوغوته التي تمتد متوازية مع شواطئ الكور مانديل ومليبار أما أعلى جبل ، فهو كانتشيونغا في سكيم في البنغال الغربيّة , ويبلغ ارتفاعه 8586 متراً.

وتسيطر الهند على مجموعة من الجزر الصغيرة ، جزر أندامان ونيكوبار تقع إلى الشرق في خليج البنغال بين الهند وأندونيسيا . وهناك جزر لاكشادويب في بحر العرب ولا يقطنها الكثير من الناس ، وتتبع لا كشادويب كيرلا [2]

أ – المناخ

تقع الهند إلى الشمال من خط الإستواء ، وأكثر من نصف البلاد في حدود المنطقة المدارية بين خط الإستواء وخطيّ العرض الخياليين 23,5درجة شمال وجنوب خط الإستواء ، مما يعني أن أجزاء من الهند مناخها ، رطب حار ، بينما تكسو الثلوج الممتدة الشاهقة الشمال . هناك أجزاء صحراوية جافة غرباً [3] تهطل بها نسب قليلة من الأمطار ، وتتحول إلى ما يشبه الواحات .

---

(1) الهيمالايا : تلفظ الهيمالايا ، وفي بعض المراجع لا سيما القديمة تكتب (حملايا) ، هيم تعني الثلج ، و(لايا) أرض فمعناها ، موطن أو أرض الثلج .

(2) المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1، جزء-1 ، 1422/ 2002، ص 108.

(3) راتب الزّيات ،عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعيّة ، لا طبعة ، جزء -1، 1996 ، ص 6

ب – الأقاليم الثلاثة

تنقسم الهند إلى ثلاثة أقاليم حسب المظاهر الجغرافيّة ، الإقليم الأول هو الهيمالايا . هذه الجبال الشاهقة هي جزئياً من بلدان أخرى متجاورة ، وهي تشكل قوساً عبر شمال الهند . توجد في هذه المنطقة الأنهار الثلاث الكبيرة لشمال الهند ، الهندوس الغانج وبراهما بترا ،وتتدفق مياه الهيمالايا عبر الإقليم الرئيسيّ الثاني للهند، الذي يمتد من البنجاب غرباً إلى البنغال شرقاً ، حيث أكبر تجمع سكانيّ للهند، ويضم ولاية بيهار وأوترابراديش والبنجاب . أما إقليم الهند الرئيسيّ الثالث فهو هضبة ديكان و يقع جنوب سلسلة فيندها كما تقدم والتي تمتد عبر الهند ، ترتفع هذه الهضبة 1000متر. تقع بين الهضبة والساحل منحدرات أو جروف تعرف باسم غاتس أو غوته أو غوطة .

وتعني كلمة الغاتس المدرجات. تحد الغاتس الغربية بحر العرب ، والغاتس الشرقيّة تطل على خليج البنغال[1].

ج – الرياح الموسميّة

تحدث الرياح الموسميّة بانتظام وتبدأ الفترة الرئيسّية التي تحمل الأمطار في يونيو ، يوليو وحتى سبتمبر ، ونسبتها 75 % مما يؤدي إلى حدوث فيضانات ، وهي تحدد وقت ومكان زراعة المحاصيل .

حينما تنتهي الرياح الموسميّة في سبتمبر ، يبدو المجال لفصل بارد شمالاً ، مع أنحاء في الجنوب مثل أجزاء من التاميلنادو ومنار في كيرلا ، وأجزاء من كارناتاكا ، ومهارشترا في الغرب، بينما أجزاء من الشمال والغرب مثل دلهي وراجستان والبنجاب، تهب عليها الرياح المحملة بالأتربة والغبار مما يحدد معالم فصل الجفاف و الحرارة ، ذلك في مارس إبريل ومايو ، بينما تبدو منتجعات الشمال والشرق في الهيمالايا باردة بل تغطيها الثلوج[2].

---

[1] راتب الزّيات ، عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعيّة ، لا طبعة ، جزء -1، 1996 ، ص 10 .

[2] هيماشال، شيملا، الهند، إبريل، 2007.

د – الحيوانات البريّة والنباتات

لدى الهند حيوانات بريّة تختلف عن أي بلد ومن الأجناس الأكثر ندرة الأسد، حالياً هـو قليـل العدد و محصور في غابة (غير) في كوجرات ، وهناك النمر ، ووحيد القرن ، وفهد ثلوج هيمالايا هـذه الأجناس تحميها الحكومة ، حيث توجد أكثر من مائتي حديقة عامة وطنيّة وملاجئ للحياة البريّة كما أن هناك الشيتا والباندا ، الفيّلة ، الجمال ، الجواميس ، القـردة ، التماسـيح ، الأفـاعي ، لاسـيما الكـوبرا ويصل طولها أربعة أمتار ، وهناك ما يقارب 1400 جنس من الطيور في الهند ، وبعضها مهاجر يأتي من مناطق أخرى . أما الطاووس ، فهو طائر الهند القوميّ ، ويتواجد بكثرة في بعض المنـاطق الدافئـة غربـاً مثل راجستان .

توجد محميات أو ملاجئ على شكل غابات لهذه الأنواع من الحيوانات ، ومنها دار جيليـنج في البنغال حيث يوجد متنزه ضخم يضم حيوانـات الهيمالايـا . كـما توجـد حديقـة تـشبه المحميـة تـضم مختلف الطيور لا سيما المهاجرة ، ذلك في بعض الولايات ومنها التاميلنادو.

تتميّز الهند أيضاً بمجموعـة مـن الحيـاة النباتيّـة ، بـسبب السلـسلة العريـضة مـن مرتفعـات اليابسة والمناخات . هناك أصناف من الغابات ، وأشجار النخيـل المتعـددة الأنـواع عـلى الـسهول ، أمـا أجزاء الشمال الشرقيّ فتوجد أراضي عشبيّة جرداء وخيـزران . تتواجـد في الهيمالايـا أشـجار الغـار ، إلى جانب أشجار الصنوبر ، والباين والأبنوس [1]، والتيك ، والجوز واللوز كما ينمو الصندل والمطاط جنوباً .

2 – لمحة تاريخيّة عامة

تشير الأبحاث إلى أن الأمة الهنديّة الجرمانيّة التي سكنت قرب غاتـة في الجهـة الشماليّة الغربيّة من الصين ، حيث قامت بحملات هدفها الـسلب والفـتح. ولم يكـن سور الصين قد بني ، وتؤكد الدراسات أن السور العظـيم ، بنـي بعـد ذلـك سـنة 214 قبل الميلاد ، تلك الأمة بلغت أقاصي غرب أوروبا وسط آسيا شمال سلسلة الهيمالايـا .

[1] بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، لا طبعة ، لا تاريخ ، مجلد -1،ص 93-94.

تميّز قدماء الهند والصين بالحكمة ، وقد نقل عنهم العلماء والقدماء المعارف وأسرار الطبيعـة ، وتـدل الدراسات على أن المعارف حسب التقسيم للأزمان كانت نابعة من الهند وجدلبسيوس وهو عـالم آثـار في المدافن المصريّة صوراً وكتابات تظهر أن مصر كانت متصلة بمدن عظيمـة قبـل مولـد المـسيح عليـه السلام بثلاثة آلاف وأربعمائة سنة ، والمرجح أن ذلك التمدن كان متصلاً إليها من الينبوع الأصليّ شمال الهند والصين[1].

وتؤكد أبحاث أخرى ، أن هناك تواجد بشريّ ما قبل العصر الجليديّ في الهند، وأن أول القادمين الذين استوطنوها هم الأقزام الزنجانيون ، والأستراليون الأوائل . وقد شّكل المهاجرون من شواطئ البحـر المتوسـط ، الدرافيـديان ، الموجـودون الآن في شـبه الجزيـرة الجنوبّيـة ، هـذا التواجـد كـان أول ظهـور للمـزارعين في الهنـد سـنة 4000 قبـل المـيلاد في تـلال بـالو تشيـستان إلى الـشمال الغـربيّ في وادي نهـر الهندوس ، وفي عام 2300 ، ظهرت مدينتا هارابا وموهانجودارو ، وأحدثتا مدينة متقدمة ، فكان الجهـاز الصحّي , والمنازل خارج القلعة , أفضل بناء ممن عاصرها . وصل الآريان إلى الـساحة بعـد 200سـنة أي 600 قبل الميلاد ، وأصولهم ، روسيا وآسيا ، حيث هاجروا إلى العراق ثـم إيـران قبـل أن يـدخلوا الهنـد ، كان الآريان أصحاب بشرة فاتحة ويربون الأبقار واعتبروا البقرة حيواناً مقدساً ، مما يفسر أصول عبـادة الأبقار في الهند ، توحي القـصص القديمـة عـن الملـوك والآلهـة ، والأشـعار الملحميّـة ، وملحمـة المعـارك البطوليّة ، بأن هناك صراع امتد ليطال السهول الخصبة في الشمال ودلهي في الـشرق . وتؤكـد الكتابـات القديمة أن المجتمع الآري الهنديّ خاض حروباً طويلة ضد السكان الأصليّين، مما ثبـت قـادتهم كملـوك ، وتبادل البراهميون الكهنة مراكزهم بالوراثة ، وبدأ النظام الطبّقي يتخّذ شكلاً مـن الأشـكال المنظمـة إلى ثلاث فئات ، المحاربين ، فئة الكهنة ، وعامة الشعب المعروفة بفارنـا ومعناهـا الحـرفيّ اللـون ، وبحلـول عام 600 قبل الميلاد كان الآريـون الهنـود قـد شـكّلوا ممالـك في وادي نهـر الغـانج ، وفـيما بـدأ الحكـام

[1] راتب الزّيات ، عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الراتـب الجامعيّـة ، لا طبعـة ، جـزء -1، 1996 ، ص 11-12 .

يتصارعون للسيطرة على وادي نهر الغانج ظهرت قوى أخرى على الحدود الهنديّة [1].

أ – الاجتياح الفارسيّ والمقدونيّ :

اجتاح سيروس ، وهو إمبراطور بلاد فارس الحدود الهنديّة ، حيث عبر جبال كوش الهنديّة إلى وادي الهند في عام 530 قبل الميلاد . إلا أن الاجتياح الآخر الذي قام به الإسكندر المقدونيّ عام 326 قبل الميلاد أنهى الوجود الفارسيّ باستثناء التجارة مع آسيا الصغرى وشرقيّ البحر المتوسط .

دامت الحملة اليونانيّة على الهند سنتين ، ولم يكن لها تأثير ، فقد تبخرت أحلام الإسكندر بقيام إمبراطوريّة تمتد نحو الشرق عبر وادي نهر الغانج ، ولكن الآمال خابت بملاقاة جحافل المتمردين الذي أضعفهم الجوع والأرض القاحلة ومعارضة الجيش الهنديّ القويّة فعاد إلى بابل تاركاً بعض الحكام على الحدود[2] .

ب – إمبراطورية أشوكا :

أصبحت بيهار مملكة مهيمنة ، وحاكمها ، تشاندراغوبتا موديا 297 -321 قبل الميلاد ، ووسّع تشاندراغوبتا حكمة ليشمل الشمال الغربيّ ، فضلاً عن حملته ضد اليونان ، والتي انتهت بعقد تحالف معهم ، وعاد تشاندرا إلى الاعتدال ، وبعد أن مات خلفه ابنه بندوسارا ، الذي جمع بين ملذات الحياة والفلسفة ، ووسع الإمبراطورية حتى بلغت ميسور ، وطمح بندوسارا ، وشعبه إلى انتزاع ممالك أخرى ، إلا أن المهمة تولاها أشوكا 232 – 269 قبل الميلاد . جمع أشوكا بين سلطة القسوة والأخلاق العالية وقتل منافسيه متخلصاً منهم ، وتشير النقوش الشهيرة على الصخور والأعمدة إلى جمال وجهه وتدينه ، حيث اهتدى إلى تعاليم اللا عنف . إلا أن أتباعه المنتشرين بشكل واسع لم تؤثر فيهم هذه التعاليم كثيراً.

[1] المؤلف المجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة ، الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1، جزء -1، 1422/ 2002، ص 29-30 ـ 31-32 .

[2] المؤلف المجهول ،دليلك إلى الهند ،بيروت، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة1، جزء-1 ، 2002/1422 ، ص32-33.

ظهر غزاة آخرون بعد انتهاء سلطة الموريان خلال السنوات الخمسين التي عقبت موت أشوكا ، وهم من اليونان الذين تركهم خلفاء الإسكندر في تلال الأفغان. وانضم إليهم ملوك الفرس ، وكانت تحكم اليونان عصابات من البدو، الذين زحفوا نحو وادي نهر الغانج ، إلا أن الملك الهندي كانيشا تغلب على أعدائه مؤسساً إمبراطورية مزدهرة امتدت من وسط شمال الهند حتى آسيا الوسطى ، مما جعل الهند مركزاً تجارياً بين الشرق والغرب[1].

ج – الإسلام في الهند :

وصل إلى الهند بعد ألف سنة على وفاة أشوكا دين عظيم تأسّس في شبه الجزيرة العربيّة كانت الانتصارات الإسلاميّة في الهند محصورة بالمجتمع التجاريّ، ولكن في القرن العاشر ، أقام رجال قبائل من تركستان ، الذين أبعدوا غرباً من قبل الامتداد الصينيّ ، دولة في غازني . قام محمود الغازني 997 – 1030 بغارات عبر البنجاب وكوجرات إلى الطرف الغربيّ ليمول إمبراطوريته في بلاد فارس وفي البنجاب .

هدم تيمورلنك هياكل غير المؤمنين في تركستان واستخدم الغنائم في بناء مكتبة، ومتحف ، ومسجد . ولم يكن هناك مخطط متفق عليه لردة فعل هنديّة ، كانت تحدث جرّاء الاجتياحات ، ذلك لأن مختلف الممالك كانت مشغولة بالحروب كل بنفسها [2]

د - سِلطة الأتراك على دلهي

وصل الأتراك إلى غازني ، في القرن الثاني عشر للميلاد ، حيث استولى السلطان محمد الغّر ، ومملوكه قطب الدين ، على غازني أو غزنة ، وسميت بذلك ، نسبة إلى ملكها إبراهيم بن السلطان الغازنيّ . وافتتحت غازني على يد الأمير قطب الدين

[1] المؤلف المجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة1 ، جزء -1 ، ص 33-35 .

[2] المؤلف المجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، جزء -1 ،2002/1422، ص 37 – 38 .

أيبك ، وكان يلقب بسياه سالار ، ومعناه مقدم الجيوش . اغتيل السلطان محمد الغرّ أو الغوريّ 1206 ، وأعلن قطب الدين أيبك نفسه سلطاناً على دلهي ، ثم أصبح الأتراك أسياداً على بيشاور ولاهور 1193، وهكذا بدأت أول سلالة إسلامية حاكمة في الهند وبسطت سلطتها 320 عاماً [1] .

هـ - الاجتياح المغوليّ

أما الاجتياح التالي للهند ، فقد جاء بعد 200 سنة في نهاية القرن الرابع عشر الميلاديّ ، حيث زحف تيمورلنك[2] مجتاحاً آسيا من بلاد فارس إلى الهند ، مما أدى إلى قيام سلطة السلالة المغوليّة باحتلال دلهي. وتولى أحفاد تيمورلنك وسلالته حكم الإمبراطورية الهنديّة من بعده ، وسوف يأتي ذكرهم في الفصل الأول حيث استمر حكم المغول قرابة الخمسة قرون .

اتصل البريطانيّون مع حكام الهند المغول 1615 ، وبدا ذلك حينما أرسل الملك البريطانيّ جيمس الأول ، سفيراً ، ليقدم احترامه للبلاط المغوليّ ، وذلك خلال فترة حكم جيها نغير ، الذي انتقل الحكم بعده إلى ابنه ، شاه جيهان[3] . وقد واجه الحكم المغوليّ فترة تحد ، داخل الإمبراطوريّة ، و خارجها ، بعد حكم شاه جيهان ذلك أن الأفغان عاودوا الهجوم على الإمبراطوريّة المغوليّة ، فضلاً عن تحد آخر من إقليم

---

[1] درويش الجويدي، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة ، المكتبة العصرية ، طبعة مصححة، جزء -2 ، 1430/ 2009، ص 39 .

[2] تيمور لنك : من رجال المغول ولفظه لنك مغولية معناها الأعرج ، ذلك لوجود هذه العاهة به ، أضر هذا الرجل بالبلاد الشرقيّة، والمملكة الإسلامية ، بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، دار المعرفة ،لا طبعة ،لا تاريخ ، مجلد -6 ، ص 395.

[3] شاه جيهان ، حفيد السلطان أكبر ، إبن جيهانجير الذي تقدم ذكره ، وشاه جيهان من ملوك الهند ، قتل إخوته بعد وفاة أبيه 1628 ، واستقل بالملك ، صنع عرشاً يجلّ عن الوصف ، إنه ضريح تاج محل الذي بناه وفاءً لزوجته ، فؤاد بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، لا تاريخ ، مجلد -10 ، ص 397 .

البنجاب ، حيث أعلن أشهر أساتذة السّيخ غورو جوفيند [1] ، نهاية القرن السابع عشر دولة البنجاب تحت سيطرته ، متحدياً الحكم المغوليّ في دلهي ، وهي قريبة من البنجاب ، وهكذا بدأت حركات الانفصال عن الحكم المركزيّ المغوليّ ، حيث استقل الحكام الهندوس شمالاً فضلاً عن الزعماء المسلمين المحليّين جنوباً ، وبدأت الإمبراطوريّة المغوليّة في الضعف والانحدار 1707 ، مع بقاء السلطة الصوريّة 150عاماً على دلهي ، فترة الاحتلال البريطاني[2] .

و - السيطرة الأوروبيّة

احتل البرتغاليّون الهند 1510 للميلاد ، وأنشأوا في الإقليم الجنوبيّ الغربيّ عدداً من المراكز التجاريّة ، وهكذا تبعهم الهولنديون ، والفرنسّيون ، ثم البريطانيون . دافعهم هذا المصدر الجديد الغني بالتوابل ، حيث أنشئ المركز التجارّي البريطانيّ الأول 1612 في سورات إلى الشمال من مومباي ، بواسطة شركة الهند الشرقيّة البريطانيّة ، ذلك للتجارة مع الهند . ثم أسسّت شركة مستوطنة عند مدينة مدراس الجنوبيّة [3]، وشركة في كلكتا التي أصبحت مركزاً تجاريّاً بريطانّياً وملاذاً للنفوذ السياسيّ في الهند لمدة 150سنة ، حيث الوجود البريطانيّ في الهند يعود لتلك الشركة التجاريّة ، وهي تحاول كسب المال لحملة أسمها عن طريق التجارة .

تخلص البريطانيّون قبل توطيد حكمهم من منافسيهم لاسيما التجّار الفرنسيّون، وقد أرغم البريطانيّون الفرنسيّون على التقهقر إلى بوند يشيري المحاطة الآن بواسطة التاميلنادو ، وقد سيطرت عليها فرنسا 200سنة ، كما تخلص البريطانيّون من الحكم الفرنسيّ في المستوطنات القريبة من كلكتا ، وبعد هزيمة

---

[1] سوف نتحدث عن السّيخ وسينغ في الباب الأول

[2] راتب الزّيات ، عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعيّة ، لا طبعة ، جزء -1 ،1996 ، ص 18 -19.

[3] مدراس ويطلق عليها شيناي ، هي عاصمة التاميلنادو في الجنوب من شبه القارة الهنديّة .

الفرنسيّن أصبح الحكم البريطانيّ للمنطقة التي عرفت بالهند البريطانيّة ومركزها مقاطعة البنغال[1].

وجد الحاكم البريطانيّ خلال تلك الفترةّ مقاومة من المغول بالرغم من سلطاتهم المحدودة، إلا أنهم رفضوا دفع الجزية للبريطانيّين ، ووقعت سلسلة من المواجهات العسكريّة ، مما دفع بالبريطانيّين إلى تعزيز نفوذهم ، وكانت نهاية الحروب بهزيمة سلطان طيبو ، عام 1799 للميلاد ، وهو الحاكم الجنوبيّ لولاية ميسور الجنوبيّة آنذاك ، وكان الأكثر عزماً على مواجهة البريطانيّين .

وهكذا هزُم المهاراتا غرباً عام 1818 وصمد السّيخ لفترة أطول ثم احتل البريطانيّون البنجاب . 1894

عانى الحكم البريطانيّ فترة عرفت بالثورة الهنديّة عام 1857 وأعدت شركة الهند الشرقيّة البريطانيّة جيشاً من هنود يحتلون المناصب الدنيا ، وحنق الهنود من الضباط البريطانيّين ، الذين تجاهلوا الأعراف والتقاليد الهنديّة ، وقد قدّم البريطانيّون نظام محاكم قانونية ، يديره قضاة بريطانيّون ، ولجهلهم باللغة وفرض إرادتهم على الشعب ، تولد لدى الهنود شعور معادٍ للبريطانيّين. وتحولت السيطرة على الهند ، بعد الثورة من شركة الهند الشرقيّة البريطانيّة إلى الحكومة . واقتنع البريطانيّون في تلك الفترة 1857 بترك السلطة للحكام المهاراتا المحليّين والسلاطين ، والمهرجانات ، والنظامات ، وخدموا كمستشارين بدلاً من الأسياد . وكان مع ذلك لدى نائب الملك البريطانيّ في الهند مزيداً من السلطة أكثر من ملك إنجلترا [2] . كانت الملكة فيكتوريا قد أعلنت إمبراطورة للهند فضلاً عن ألقابها البريطانيّة . زار الملك

[1] راتب الزّيات ، عالم المدن حول بلدان العالم ،بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعيّة، لاطبعة ، جزء -1، 1996 ، ص 19-20.

[2] بطرس البستانّي ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، لا تاريخ ، مجلد -1 ، ص 93 – 94 .

جورج الخامس ابن الملكة الهند 1911 ، لحضور احتفال دلهي ، حيث انتقلت السلطة المركزيّة من كلكتا في البنغال إلى العاصمة المغوليّة دلهي .

3- حركة الاستقلال :

تشّكل عام 1885 بعد 30عاماً من السلطة البريطانيّة على الهند ، المؤتمر الوطني الهنديّ ، أو حزب المؤتمر ، كما تأسّس بعد عشرين عاماً المؤتمر الإسلاميُّ. كان هدف الحزبين إنهاء الحكم البريطانيّ ، وطالب الحزبان بالاستقلال عام 1914 للميلاد ، حيث أرسلت القوات الهنديّة إلى أوروبا لمساعدة بريطانيا في الحرب العالمية الأولى . زاد حنق الهنود ضد البريطانيّين ، وطالبوا بحكم أنفسهم وتولي مسؤولية بلدهم ، لم يرغب البريطانيّون ترك الهند، فالتجارة حولت الكثير من الشعب البريطانيّ إلى أثرياء ، أما المواد الخام، مثل القطن والأخشاب فضلاً عن التوابل والشاي ، فقد ساعدت الثورة الصناعّية في بريطانيا. تولى المهاتما غاندي كما تقدم الدفاع عن الهند ، فترة الحرب العالمية . حيث قاد حركة عصيان مدني كتلميح رمزيّ . وسار إلى شاطئ البحر في مسقط رأسه كوجرات ، وجمع الملح ورفض دفع الضريبة ، التي فرضتها الحكومة على الملح واعتقل مع مائة ألف من مؤيديه .

ازدادت المطالبة بالاستقلال ، لاسيما فترة اندلاع الحرب العالميّة الثانية ، وأرغم الهنود من جديد على الخدمة العسكريّة ، وأدركت بريطانيا أن الاستقلال للهند أمر لابد منه ، حيث زادت حملة العصيان الأمر صعوبة بدأ نائب الملك البريطانيّ ، اللورد مونتباتن باتخاذ ترتيبات الاستقلال ، وأراد البريطانيّون وحزب المؤتمر بأن تبقى الهند بلداً متماسكاً ، إلا أن حزب المؤتمر الإسلاميّ رفض هيمنة أغلبية الهند من الهندوس على المسلمين ، وهكذا انفصلت أجزاء كبيرة من شمال غرب وشمال شرق عن الهند لتشكّل دولة باكستان الجديدة .

صحب الانفصال إراقه دماء ، إذ طالما هاجر الهندوس والمسلمون إلى موطنيهما الجديدين وبدأوا يقتتلون . وظهرا إلى الوجود كبلدين مستقلين 14 أغسطس 1947 . أعلن جواهر لال نهرو ، الذي أصبح أول رئيس وزراء للهند لحظة الحرية ، التي هي من حق الشعب الهنديّ اقترح الشاعر محمد إقبال باكستان وطناً مستقلاً للمسلمين ، وتشكّلت دولة جديدة حيث قاد حملة التقسيم المحامي علي جناح

الذي تلقى علومه في بريطانيا . وهكذا انقسمت الهند، مع معارضة غاندي ، ومن ثم انفصلت باكستان الشرقيّة عن باكستان الغربيّة بعد أربعة وعشرين عاماً ، وأصبحت تعرف بـ بنغلاديش[1] .

أ - أبرز زعماء الهند

كان جواهرلال نهرو رئيس وزراء للهند فترة سبعة عشر عاماً ، شهدت الهند حروباً مع كل من باكستان والصين ، حول المناطق المتنازع عليها ، ولعل أهم أزمات الهند تلك الفترة اغتيال أب الشعب الهنديّ المهاتما غاندي بعد عدة أشهر من الاستقلال ، إذ أطلق عليه النار هندوسّي متطرف ، معارضاً ولادة دولة مسلمة ، كما عارض تسامح غاندي تجاه أتباع الديانات الأخرى .

تعدّ أبرز إنجازات جواهر لال نهرو ، هي إقناع الأمراء الذين يحكمون 460 دويلة مستقلة بالتنازل عن حقوقهم ، وقبول سلطة الحكومة المركزيّة في دلهي . حيث وافقوا على هذا لقاء مبالغ من الحكومة ، ودمجت الدويلات الإدارية في ولايات أكبر ، أو وحدات إدارية ، مما كّون أقسام الهند حالياً.

استعيد الجزء الذي حكمه الأجانب أثناء رئاسة نهرو ، حيث طرد البرتغاليّين من ولاية غووا الجنوبية عام 1916 ، بعد حكم دام 450 عاماً . توفي نهرو عام 1964 ، وقادت البلاد بعده أنديرا غاندي ، التي لم تكن رئاستها دون مشاكل ، حيث هددت حكمها حركة شعبيّة كادت تنحدر بالبلاد إلى الفوضى ، وفرضت حالة الطوارئ 1975 -1977 ، مما دفع بالحزب إلى خارج السلطة ، إلا أن أنديرا غاندي عادت كرئيسة وزراء وحكمت بحزم ، حتى اغتيلت عام 1984 بواسطة اثنين من السّيخ من أعضاء حرسها الخاص ، حيث غضب السّيخ على ما حدث في معبد الديانة السّيخيّة الهيكل الذهبي في أمريتسار ،من إرسال الجيش الهنديّ إلى هذا المكان المهم للسّيخ .

[1] راتب الزّيات ، عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعيّة ، لا طبعة ، جزء -1 ، 1996 ، ص 23 – 25 .

أصبحت الهند تحت حكم السيدة أنديرغاندي قوة رئيسيّة في العالم ، وبعد اغتيالها 1984 خلفها ابنها ، راجيف . وهكذا بدأت الأقاويل بأن السياسة الهنديّة أصبحت شأناً عائلياً ، كان راجيف غاندي طياراً سابقاً مع خبرة سياسيّة متواضعة ، ومن الصعب حكم بلد بحجم الهند ، حتى على السياسيّ الخبير .

تابع راجيف غاندي دور والدته في المحافل الدوليّة ، ومحادثات إنهاء التفرقة في جنوب إفريقيا ونزع السلاح في العالم ، وتحسين أحوال الطبقة الفقيرة والأقليات[1] وبعد وقت قصير من انتخابه ، وقعت صراعات إقليميّة في الهند ، فضلاً عن السياسة الأجنبية ، بسبب الإنفصال ، وتم إسقاط غاندي وحزبه في انتخابات 1989 ، وبعد تأليف حزب جديد 1991 ، مع شاندراشيكار كرئيس حكومة ، استعاد حزب الهيئة التشريعيّة ، السلطة ، لكن بعد اغتيال راجيف غاندي من قبل هندوسيّ في التاميلنادو . وهكذا توالت حكومات متنوعة الأحزاب منذ 1991 – 1998 . ويرأس حكومة الجمهورية الهنديّة رئيس وزراء من السّيخ وهو موهان سينج ، أما الرئيس للجمهورية ، فهو مسلم ، وقد ظهرت سونيا غاندي ، أرملة راجيف غاندي الإيطالية الأصل ، كرئيسة لحزب الهيئة التشريعيّة ، مما يوحي بامتداد ميزات السلالة الحاكمة ، نهرو غاندي ، وتبقى الهند أوسع ديموقراطية وإحدى أول عشر قوى صناعيّة في العالم[2].

ب – نظام الحكومة في الهند :

نظام الحكومة للهند برلمانيّ مع مجلسين للبرلمان ، ينتخب شعب الهند نوابه مباشرة إلى مجلس الشعب ، المجلس الأعلى ، أو مجلس الولايات ، يتألف من ممثلين ينتخبون بواسطة جمعيات، كل ولاية يبلغ عدد ولايات الجمهورية خمسة وعشرين ولاية ، كل ولاية لها جمعيتها الخاصة أو هيأتها الحاكمة ، فضلاً عن أقاليم أو اتحادات

---

[1] راتب الزّيات ، عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعيّة ، لا طبعة ، جزء -1 ، 1996 ، ص 25-27 .

[2] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، جزء -1 ،2002/1422، ص 63 – 64 .

سبعة تعد بمثابة الولاية ، ومثال ذلك دلهي ، التي تحكم بواسطة حكام معينين من الحكومة المركزيّة . يحّدد الدستور الهنديّ السلطات التي تكلّف بها الحكومة المركزيّة ، فضلاً عن سلطات جمعيات الولاية[1] ،تصدر الكثير من القرارات الهامة عن حكومات الولاية.

ينتخب أعضاء البرلمان وجمعيات الولاية رئيس الجمهورية وفترة رئاسته خمس سنوات ، أما سلطاته فمحدودة ، ودوره رمزيّ ، وله الحق في تعيين رئيس الوزراء وإقالته ، إذ لم يعد مدعوماً من البرلمان ، كما يوقع القرارات التي يوقع عليها البرلمان قبل أن تصبح قانونية .

يسكن رئيس الوزراء في العاصمة نيودلهي ، في قصر فخم جداً ، هو (راشترا أباتي) ، بهافان (بهوان) . وهو مبني من الحجر الرمليّ يعود إلى فترة الحكم البريطانيّ لنائب الملك . يقع قريباً منه المبنى المستدير للبرلمان ، والذي بنى للبريطانيّين، ويقع في أجمل مناطق نيودلهي .

يعّد رئيس الوزراء الشخص الأهم في الهند والذي يساعد مجلس الوزراء، ومهمة رئيس الوزراء تذهب إلى الحزب الذي نال أغلبيه المقاعد في مجلس الشعب ، والانتخابات العامة تجرى كل خمس سنوات .

يعد أقدم حزب سياسيّ في الهند حزب المؤتمر ، الذي قاده جواهرلال نهرو والسيدة أنديرا غاندي ، وراجيف غاندي ، وهناك الكثير من الأحزاب السياسيّة في الهند مثل الحزب الشيوعيّ ، و جاناتادال ، و حزب الشعب ، مهاراتنا جاناتا .. وغيرها من أحزاب ، يحق لأكثر من 400 مليون شخص في الهند الاقتراع الذي هو أكبر من أي اقتراع في دولة أخرى ، تضارع حملات التصويت في الهند حملات السياسيّين في الديموقراطيات الغربيّة ، ومن لا يقرأ يوضع له رمز انتخابيّ على ورقة الاقتراع ، مثل يد ، أو دراجة للمرشح الذي يختار ، ولا يستثنى أي مرشح لو جاء من طبقة

---

[1] راتب الزّيات ، سلسلة عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعيّة ، لا طبعة ، جزء -1 ، 1996 ، ص 32-33.

دنيا، وتقرر الانتخابات العامة الخمسة آلاف مرشح أو أكثر لشغل 554 مقعداً في مجلس الشعب وتكون قدرة الحزب السياسيّ على تشكيل الحكومة ، وتعيين رئيس الوزراء الحاكم للبلاد حسب النتيجة[1] .

ج – السكان :

يبلغ عدد السكان في الهند ، حسب إحصائية صادرة 1996 ، 800 مليون نسمة ، ويقدر بحلول عام 2000 أن يصل تعداد السكان إلى أكثر من 1000 مليون نسمة ، ويؤكد ذلك إحصائية صادرة قبل 2002 ، تشير إلى أن تعداد السكان ، قد بلغ 935,7 مليون نسمة ، تشمل 72 % من الهنود الآرين ، ومعظمهم في الشمال ، 25 % درافيد يان في الجنوب ، وآخرون3 % ، وتصل الكثافة السكانيّة في الهند 273 نسمة في الكيلو متر المربع .

د – الوحدة النقديّة :

الوحدة النقديّة في الهند هي الروبيّة ، وتتألف من ألف بيزة (بيسا) ، يستعمل الناس القطع النقديّة لمشتريات قيمتها روبيّة واحدة ، أما الأوراق النقديّة لمشتريات أكبر ، تكلف الصحيفة الواحدة ما يقارب الروبيّة ، كما تكلف الوجبة المتوسطة الجودة ما بين 20 عشرين إلى 50 خمسين روبية في المدينة ، بينما يسأل الفقراء جداً عن روبية واحدة ثمناً لوجبة الغداء ، ويكلف شراء الجاموسة عدة مئات من الروبيات ، وكذلك قتلها دون قصد بواسطة ، سيارة أو حافلة فهو يكلف آلاف الروبيات ، ذلك لكونها مصدر رزق ، فضلاً عن الأبقار التي هي مقدسة .

هـ - العَلَم :

يتألف علم الهند من ثلاثة أشرطة أفّقية ملونة ، اللو ن الأصفر بلون الزعفران من فوق ، ثم الأبيض ، فالأخضر ، الأصفر الزعفرانيّ يرمز إلى الطبيعة الروحانيّة

---

[1] راتب الزّيات ، سلسلة عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعيّة، لا طبعة ، جزء -1 ، 1996 ، ص 30-31-32-33.

للهند ، فهذا اللون يرتديه الهندوس البراهمـة ، ويرمـز اللـون الأبـيض إلى الـسلام ، بيـنما يـشير اللـون الأخضر إلى الثروة الطبيّعية والزراعة ، ووسط العلم عجلة زرقـاء، هـي عجلـة البوذيّـة للحيـاة الأبديـة حسب اعتقادهم[1].

و – اللغات الرسميّة :

اللغات الرسميّة في الهند ، خمس عشرة لغة ، الهنديّة ، السنّـسكرتيّة ، والـسنديّة والبنغاليّـة ، المهارتيّـة ، الآريّـة ، الكوجراتيـة ، البنجابيّـة ، الأسـامية ، الكـشميرية ، الملايـالام ، الكانـادا ، والتاميـل ، التيلوغوا ، الغورانية، هذه عدد اللغات المحكيّة في جميع أنحاء الهند دون الأخـذ باللــهجات المحليـة 1652 ، وتكتب في ثلاثة عشر نوعاً مـن الحـروف الهجائيـة . يتحـدث لغـة الهنـد الوطنيّـة ، أقـل مـن النصف ، أما الإنجليزيّة التي أعدت الحكومة لها برنامجاً دائماً لتحديثها ، يتكلمهـا 3 % مـن الـشعب ، معظمهم في المدن الكبرى ، وإن كانت الإشارات والتعليمات تكتب بالإنجليزيـة أحيانـاً، وأحيانـاً أخـرى تكتب الانجليزيّة بالأوردية على واجهات المحلات لا سيما في داخـل المـدن ، حيـث المتـاجر والأسـواق القديمة [2] .

هكذا بدأت شبه القارة الهنديّة ، قبل الميلاد ، وما بعده ، وحتى وقتنا الحالي ، ذلك من حيـث الموقع الجغرافيّ والطبيعة ، فضلاً عن المناخ التاريخيّ ، والسياسيّ ، والإداريّ ، مما يجعل القارئ ، يقـف على موضوع الدراسة ، قبيل التفصيل .

[1] المؤلف المجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربية للعلوم ، الطبعة 1، جزء -1 ،2002/1324 ، ص 8.

[2] أندرها براديش، حيدر أباد، الهند، اغسطس، 2009.

الباب الأول

حول أهم المدن الهنديّة ، تاريخها ، الآثار الحضاريّة

التمهيد

سنلقي الضوء في هذا الباب ، على الكنوز المعماريّة ، التي صنعها الإنسان لنتبين الحضارات التي أغنت البلاد وأصبحت معالم يتم الحفاظ عليها من خلال برنامج الترميم عن طريق الأبحاث الأثرية في الهند ، فالمناظر اللامتناهية ، بدءاً من دلهي شمالاً التي تقع على الطرف الغربيّ من حوض نهر الغانج [1] ، فضلاً عن أغرا ، موقع تاج محل أو ماهال ، والذي يّعد من أجمل المواقع في الهند ، إضافة إلى شِملاً [2]وما حولها بولاية هيماشال براديش[3] ثم ولاية البنجاب ، وأهم مدنها ، شانديغار ، أما أهم مدن الغرب فهي جيبور ، وجادبور ، في راجستان[4]، ومدينة مومباي بولاية مهارشترا وما حولها من منتجعات وقرى .

سوف نقف عند القصور والأضرحة الرخاميّة الرائعة ، والقلاع الضخمة، ومباني الحكومة في نيودلهي ، وسكة الحديد الشرقيّة في مومباي ، فضلاُ عن المدن ، التي غالباً ما نرى فيها الأكواخ جنباً إلى جنب مع ناطحات السحاب ، المتوهجة التي بناها سكان الأكواخ والبيوت المتواضعة أنفسهم ، وحيث يمكن أن نرى النساء يحملن جرار الفخار على رؤسهن برشاقة ، كما يقمن بتحضير الوقود من سماد البقر ويتفنّن في تصميمه وصنعه وتجفيفه في كُوم تختلف أشكالها من منطقة إلى أخرى .

---

[1] نهر الغانج : أحد الأنهر الخمسة التي تصّب فيها مياه الهيمالايا الغربيّة ، وهو نهر مقدس عند الهندوس.

[2] شِملا : مدينة في ولاية براديش وتلفظ في بعض اللـهجات الهندية سيملا .

[3] هيما شال براديش :الهيم تعني الثلج ، والشال في بعض اللغات الهنديّة ، الملفع أو الرداء ، فمعناها أرض رداء الثلج .

[4] كان يطلق فيما مضى على راجستان الولاية راجبوتا .

أما الشيء الثابت الذي لا يتغير من بين هذه المعالم الحضارية ، هـو الـشعب الإنـسان نفـسه ، ففي صحراء راجستان الواسعة وسفوح سلسلة ديكان وسط الهند ، ترى رجل القبيلة على ظهر الجمـل ، وامرأة تمسك بغطاء رأسها بأسنانها لتحمي نفسها من الغبار أو حرارة الشمس ، أو تستراً كعادة المرأة الشرقيّة ، وهي تحمل جرة ماء أو حزمة حطب . لا يسبب الفقر في الهند الشعور بالخجل أو الحـرج ، فهو يولد مع نسبة عالية من الكرامة وحتى نوع من السعادة والرضى والقناعة ، قد يصعب علىالبعض فهمه وتحليله ، والشيء نفسه يكاد يتطابق مع التدافع الذي يعتبر طريقة حياة في هـذا البلـد ، بيـنما يعده البعض الآخر جانباً لا حضارياً .

سنطرح الأسئلة التالية لإلقاء الضوء على ما تّقدم وهي : كيف بـدت معـالم الهنـد منـذ القـرن الرابع عشر الميلادي ، وحتى بداية القرن الحادي والعشرين ؟ وما أبـرز مـا يميـز المـدن الهنديّـة قـديماً وحديثاً ؟ وما أهم الآثار في الهند؟ ولماذا بقت ، واستحقت تلك الشهرة ؟

وقد حاولنا من خلال ذلك البحث الإشارة إلى جوانب من الحياة الاجتماعيّة العامة سواء أكـان ذلك في القصور قديماً ، أم في الطرقات والشوارع والأسواق حديثاً.

أما المراجع الأساسيّة التي اعتمدناها في تأليف هذا الباب وفصوله فهي ، رحلة ابـن بطوطـة ، ودائرة المعارف ، فضلاً عن الملاحظـة والمبـاشرة خـلال الزيـارات المتتاليّـة للهنـد بحثـاً عـن المعلومـات وغريب العادات ، وقد وثقنا ذلك ، حسب التسلسل الزمنيّ ، عدا ما تطلبه البحث من ترتيـب حـسب الأهمية للمدن والموقع الجغرافي .

لقد اعتمدنا في تأليف هذا الباب المنهج التاريخيّ المتّبع لتاريخ نشأة المدن وما صـادف ذلـك من أحداث وعمران .

الفصل الأول

أهم مدن الشمال ، دلهي ، أغرا

1 – مدينة دلهي

أ – دلهي القرن الرابع عشر ، الموقع ، التاريخ

زار ابن بطوطة [1] دلهي في القرن الرابع عشر ، وكانت آنذاك تسمى دهلي ، وحيث قدِم ابن بطوطة من أقصى الشمال ، أي باكستان حالياً ، ماراً بوادي السند وسفوح [2] الهيمالايا متوقفاً عند مسعود أباد ، وصولاً إلى مدينة دلهي . استغرقت تلك الرحلة آنذاك الستين يوماً ، وقد أبدى ابن بطوطة إعجابه الشديد بدلهي حيث يقول : «... وصلنا حضرة دهلي[3] قاعدة بلاد الهند ، وهي المدينة العظيمة الشأن الضخمة الجامعة بين الحسن والحصانة ، وعليها السور الذي لا يعلم له في بلاد الدنيا نظير ، وهي أعظم مدن الهند ، بل مدن الإسلام كلها بالمشرق ... ومدينة دهلي كثيرة العمارة ، وهي الآن أربع مدن متجاورات متصلات إحداها المسماة بهذا الاسم دهلي، وهي القديمة ، وكان افتتاحها سنة 584 هـ ، والثانية تسمى سيري ، وتسمى أيضاً دار الخلافة ، و بها كان سكنى السلطان علاء الدين وابنه قطب الدين ، والثالثة تسمى تغلق أباد باسم بانيها السلطان تغلق...»[4].

يمضي ابن بطوطة واصفاً السور المحيط بالمدينة دلهي «... بأنه لا يوجد له نظير، عرض حائطه أحد عشر ذراعاً وفيه بيوت يسكنها السّمار وحفاظ الأبواب ، وفيها مخازن للطعام ، ويبقى الزرع فيها مدة طائلة لا يتغير ولا تطرقه آفة ، يمشي داخل

---

(1) انظر الخارطة ، ص 289 .

(2) سوف يأتي ذكر الهيملايا فيما يلي .

(3) لا زال البعض يلفظ دلهي دهلي حسب اللغات واللهجات الهندية ، ودلهي حالياً ، قسمان القديمة والحديثة (نيودلهي) .

(4) السلطان تغلق " أحد السلاطنة الأتراك الذين حكموا الهند في القرن الثاني عشر للميلاد ، وهو شهاب الدين بن سام الغورّي ، درويش الجويدي ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصححة ، جزء -2 ، 1430 / 2009 ، ص 34 .

السور الفرسان والرجال من أول المدينة إلى آخرها ، وفيه طيقان مفتحّة إلى جهة المدينة يدخل فيها الضوء ، وأسفل السور مبنى بالحجارة وأعلاه بالآجر , و أبراجه كثيرة متقاربة , ولهذه المدينة ثمانية وعشرون باباً , وهم يسّمون الباب دروازه ,, فمنها در وازه جل [1] وهي موضع البستان ودر وازه شاه ...» [2] .

كما يتحدث ابن بطوطة عن مدينة دلهي في القرن الرابع عشر مصوراً بدقة مقابرها التي تقع خارج الأبواب ، متحدثاً عن حسنها والقباب التي تُبنى لها عند كل محراب ، ويصف ما حولها من أشجار مزهرة مثل النسرين وغيرها من الزهور التي لا تنقطع في جميع فصول السنة [3] ويشير ابن بطوطة إلى أن دلهي افتتحت على يد الأمير قطب الدين أيبك الذي كان يلقب (سياه سالار) (أي مقدم الجيوش) ، وذلك نقلاً عن محدثه ، فهو يقول : "... حدثني الفقيه العلامة ، قاضي القضاة بالهند ، محمد بن البرهان الغوريّ ..." ويضيف قائلاً "... قرأت أن ذلك مكتوباً على محراب الجامع الأعظم بها ..." [4].

ويتطابق هذا القول مع وصف دلهي بأنها كانت قاعدة لحكام الهند ، ويبدو أنها كانت مدينة جميلة لما بها من الخرائب المنتشرة حولها ، أي أيام حكم بني تغلق حيث فتحها محمد الغوريّ [5] في القرن الحادي عشر الميلادي ، حيث هي كما جاء في

---

[1] در وازه : لفظة فارسية معناها ، بوابة أو باب ، جل : لفظة فارسية معناها الورد فالعبارة تعني بستان أو بوابة الورد .

[2] درويش الجويدي ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاري ، طبعة مصححة ، جزء -2 ، 1430 /2009 ، ص 34 – 35 .

[3] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصّححة ، جزء -2 ، 1430 / 2009 ، ص 35

[4] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصّححة ، جزء -2 ، 1430 / 2009 ، ص 35

[5] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، لا تاريخ ، مجلد -7 ، ص 724.

الوصف ، وبعد عدة قرون خرائب ومقابر قديمة تبعد حوالي عشرة أميال جنوب دلهي الجديدة ، ويقصد بذلك دلهي القرن السادس عشر .

ب - دلهي القرن السادس عشر ، التاسع عشر :

بدت دلهي القرن السادس عشر بعد أن اجتاحها تيمورلنك بقرنين ، 1398 للميلاد ، خلال وصف بطرس البستانيّ لها عام 1526 ، حيث يقول عن دلهي : «...كان سكانها من الهنود والمسلمين ، محيطها 7 أميال مبنية على مرتفعين صخريين محاطة من كل جهاتها ، إلا جهة النهر بسور من الحجر الرمليّ ، الأحمر ، ارتفاعه 30 قدماً تعلوه أبراج مستديرة وقلاع له أحد عشر باباً ، أربعة جهة النهر وسبعة أبواب جهة البرّ مبنية من أعمدة كبيرة تحميها أبراج وبها خندق اتساعه 20 قدماً ...»[1].

يتبين لنا مما تقدّم اهتمام سلاطين الهند وحكامها بهندسة البناء والفن المعماريّ، الذي ينّم عن المعرفة بمظاهر التمّدن والحضارة ، فضلاً عن الميل إلى حياة الترف والرفاهية ، كما أن هناك ارتباط واستمرار في نمط المدن من حيث الطراز المغوليّ الهندوسيّ والإسلاميّ ، فضلاً عن الحجر الأحمر الرمليّ ، فهو اللون الغالب على بناء المدن والقصور والقلاع ، إلى جانب إقامة الأسوار حول المدن حماية لها من الأعداء وعوامل الطبيعة ومنها فيضان الأنهار .ومما يدل على الاهتمام بإنشاء الخدمات والمرافق الصحية في الدولة ، إنشاء قناة طولها 70 ميلاً لجلب الماء ، حيث أنشأها الإمبراطور شاه جيهان ، فضلاً عن قناة أخرى تسمى دواب كان ماؤها يسقي الأراضي التي أنشأها شاه جيهان ، ذلك إلى جانب الاهتمام بالتشجير ، وإقامة المتنزهات والحدائق المتنوعة الأشجار والنباتات والزهور فتلك القنوات كانت محاطة بحدائق جميلة خضراء .

[1] بطرس البستانّي ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، لا تاريخ ، مجلد -7 ، ص 723.

كانت شوارع دلهي في القرن السادس عشر ضيقة مكتظة وأحسن أسواقها، هو شانداي شوك [1] «سوق الصاغة ». و كانت هذه الأسواق تعج بالحركة والاحتفالات حيث مواكب الملوك والسلاطين[2].

بُنيت المعالم آنذاك شأن المدن القديمة على أنقاض القديم واستمرار له، ولا تزال ضيقة ، ومزدحمة ، وسوق شانداي ، هو اليوم طريق عام يربط أسواق دلهي المزدحمة بعضها البعض ، وسط حركة مرور خانقة ، حيث تباع الحلي ، والألبسة والجلود والحلويات التقليديّة وسائر البضائع .

لقد أسس دلهي الإمبراطور المغوليّ بابر [3] وهو ظهير الدين محمد بن عمر ، وأبوه سلطان خوقند ، مملكة تتريّة ، على نهر سيحون ، وهو من سلالة تيمورلنك .

كان عُمر بابِر عند وفاة والده ما بين الحادية عشر والثانية عشر ، فاجتاز السند واستولى على بعض مدن البنجاب ، وفتح لاهور وأحرقها . أقام قادته في دلهي وأغرا عام 1526 ، وانتصر على جيش الأفغان .وقد وطد بابر أركان الدولة ، حيث أقام مراكز على الطرق وغرس بساتين أشجار الفاكهة ، وأنشأ مراكز البريد فضلاً عن كونه محباً للعلوم والمعارف والفنون ، قدر حبه للمعارك السياسّية والعسكريّة . وقد ألف بابِر كتاباً بالمغوليّة ، عن قصة حياته . ترجم إلى بعض اللغات الأوروبيّة[4].

ظلت دلهي ضعيفة حيناً ، قوية حيناً آخر ، حسب تغير السلاطين عليها ، وقد دعيت أيام السلطان المغوليّ شاه جيهان باسمه(شاه جيهان أباد) أي مدينة ملك العالم، وحيث بدت تلك الأيام حديثة ، إذ بناها شاه جيهان قريباً من دلهي القديمة ، التي أسسّها بابر . إلى أن استولى عليها نادر شاه الفارسيّ ، ثم احتلها المهراته 1803

[1] الشُوك : لفظة أصلها عربيّ ، السوق .

[2] بطرس البستانّي ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، مجلد -7 ، لا تاريخ ، ص 723 .

[3] بابِر : تلفظ بابور ، ببر .

[4] بطرس البستانّي ، دائرة المعارف ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، مجلد -7 ، لا تاريخ ، ص 724 .

ثم استولى عليها الإنجليز ، ومع ذلك ظلت للمغول سلطة رمزية على دلهي حتى 1857 ، حيث قضُي على نفوذهم من جانب الإنجليز ، وكانوا قد خصّصوا لآخر سلاطين المغول ، راتباً له ولمن يعيش معه في قصره من أتباع [1] . لقد دب الضعف في دلهي بداية ، 1739 ، إذ استولى عليها نادر شاه الفارسيّ الذي عاث فيها قاتلاً ألوفاً من سكانها وغنم الغنائم ، ما قيمته الآلاف من الفرنكات من جملتها العرش المشهور ، المعروف بعرش الطاووس والجوهرة الألماسيّة الكبيرة المعروفة بكوهينور وهي (حسب رواية صاحب دائرة المعارف) من جواهر تاج إنجلتراوومما جاء في ذكر دلهي القرن التاسع عشر أيام الاحتلال الإنجليزيّ «... أن الحكومة الإنجليزيّة زادت في تحسينها وإتقانها . أما شوارعها فضيقة ماعدا اثنين منها عرض الأول 90 قدماً والثاني 120 قدماً ، ولكل منها قناة مرتفعة محاطة بالأشجار . وأحسن شوارعها وأكثرها إتقاناً شارع شانداني شوك ... تزدحم فيه أقدام التجار وفي أوله القصر الملكّي الواقع على ضفة النهر يحيط به خندق عريض كان قديماً من أجمل الأبنية أما الآن فكثرت فيه الأقذار والأوساخ ... ويشتمل القصر المذكور على جامع ملكيّ وبساتين نضرة وقاعات فسيحة كافية لإقامة بضعة آلاف من السكان . ومن الأبنية فيها دار مجلس الشورى مبنيّة من الرخام الأبيض ولها أربع قباب ، والمجمع العام وكان به في القدم عرش الطاووس المشهور والجامع العظيم الذي شاده شاه جيهان .

أما الأبنية الأوروبيّة العظيمة في دلهي فكانت دار الحكومة الإنجليزيّة وكنيسة سانت جيمس وعدة كنائس فضلاً عن بنك ومركز صحيّ ، ومجالس العدلية ومدرسة للحكومة أكثر تلامذتها من الهنود ، يتولى إدارتها الأوربيّون ، والهنود مقسومة إلى أربعة أقسام أو فروع للإنجليزيّة والعربيّة والفارسيّة والسنّسكريتّية . وكان حول المدينة ثلاثمائة مدرسة ، فضلاً عن مدارس المسلمين ، كما أن مدينة دلهي كانت تضم

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -7 ، لا تاريخ ، ص 723.

أعظم ترسانة في الهند 1857 . تشرف دلهـي عـلى نهـر الجمنـة [1] ، حيـث تكـثر في مياهـه كربونـات الصودا وقد جلب الماء إلى المدينة بقناة بنيت أيام شاه جيهان كما أشرنا .

رممّـت الحكومـة الإنجليزيّـة القنـاة فـضلاً عـن قنـاة دواب ، أيـضاً ، وكـان بالمدينـة معامـل للمنسوجات القطنّية ، وتجارتها واسعة في أصناف الحرير والجواهر وسوقها شانداني شوك مـن أحـسن أسواق الهند ، فهو متقن تلك هي دلهي ، حتى أن البعض عد أن المـدن التـي حلـت محلهـا في عـصور مختلفة ، ليست بأعظم شأن منها ، حيث كانت منذ القرن العاشر [2] قاعدة لحكام الهند . ويبدو أنهـا كانت مدينة جميلة، لما يرى حولها من آثار وأنقاض عظيمة، وقد مر عليها الكثير من الغزاة الفاتحين .

جـ - نيودلهي :

تقع دلهي كما تقدم على الطرف الغربيّ مـن حـوض نهـر الغـانج ، حيـث زراعـة الأرز معظـم المواسم وتلفها مساحات من الغابات التي تصل حتى سفوح جبال الهيمالايا ، كما يمتد السهل المـسّطح يميناً لمسافة 1600 كلم إلى الجهة الأخرى من خليج البنغـال . ويبـدو أن مدينـة دلهـي ، كانـت محـط أطماع الغزاة والفاتحين ، فهذه المدينة الحديثة خلاصة وافية لتاريخ الهند في زمن السلاطين والأباطرة .

وتشير النقوش التي تعود إلى إمبراطورية أشوكا إلى أن دلهي كانت نقطـة عـلى طريق التجارة بين الحدود الشماليّة الغربيّة وبين البنغال ، ذلك في القرن الثالث قبـل الميلاد . وقد جعلها الراجبوتيـون في عـام 736 للمـيلاد عاصـمتهم وذلـك تحـت اسـم

[1] نهر الجمنة : ويطلق عليه يامونا أو يمونة ، من أعظم الأنهر التي تصّب في الغانج ، مخرجه غـور هـوال بـالقرب مـن سفح هيملايا الجنوبي ، على حضيض مجتمع تلال تسمى بقمم جمنتري بالقرب من الموضع يجري إليه عدة ينـابيع حارة ، يتجه جنوباً ، يجتاز دلهي ثم يلتقي في الجنوب الشرقيّ بالغانج ، بطرس البستانيّ ، دائرة المعـارف ، بـيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -6 ، لا تاريخ ، ص 533 .

[2] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -6 ، لا تاريخ ، ص 723 – 724 .

دهيلليكا وكانت ساحة لحروب العشائر ، إلى أن احتلها المسلمون ثم تناوبت مركز العاصمة مع أغرا فترات الحكم المغوليّ.

احتلت دلهي فترة الحكم البريطانيّ ، المراكز الخلفيّة مقارنة بموانئ ومراكز مدن أخرى ، وهي كلكتا ومومباي ومدراس «شيناي» حتى 1911 ، حيث استعادت مركزها كعاصمة مزدهرة للإمبراطوريّة ، فقد أضاف إليها الفاتحون ومنهم المغول ، ما لديهم من هندسة معماريّة . تمثل الهند فيما مضى ، وإن أصبحت مدينة حديثة بشكل عام وترمز لدلهي الجديدة فترة الاحتلال البريطانيّ وما بعدها .

تمت السيطرة البريطانيّة على الهند ، ومن ضمنها دلهي ، حينما أعلنت الملكة فيكتوريا إمبراطورة للهند ، فضلاً إلى ألقابها البريطانيّة 1857للميلاد ، عمد البريطانيّون مع بداية القرن العشرين إلى تقليص سلطات الحكام ومن بينهم المغول والمهراته والمهراجا ، وهم سلاطين وحكام الإمبراطوريّة السابقة ، ولم يرغب البريطانيّون العمل كمستشارين تحت إمرة الهنود كما تقّدم ، وكان لديهم الكثير من السلطة على الهنود .

زار الملك جورج الخامس ، ابن الملكة الهند 1911 للميلاد ، لحضور احتفال دلهي الجديد ، هذا الاحتفال ، حدد معالم الانتقال الرسّمي كمركز للسلطة البريطانيّة من كلكتا شرقاً إلى العاصمة ، المغوليّة دلهي[1].

حددّت الزيارة كما حدد الاحتفال معالم المدينة الجديدة نيودلهي ، فالتخطيط يفصل المدينة الحديثة بقسمها البريطانيّ ، عن المدينة القسم القديم مع خط سكة الحديد كحد فاصل بينهما ، تم بناء دلهي الجديدة لحصول الإمبراطورية على مقعد هنديّ في الحكومة ، وفُصلت دلهي القديمة بالخط الذي يمتد من أمريتسار وحتى أغرا .

تظل دلهي القديمة والحديثة وإن فصل بينهما مدينة واحدة خالدة ، الشّكل الحديث نيودلهي وروحه وتنفسه ، دلهي القديمة إنها روح الماضي الأصالة ، التراث العريق وتمثل المدينة الحديثة مجموعة متنوعة من الوزارات والسفارات وأبنية المكاتب والفنادق ،

[1] راتب الزيّات ، سلسلة عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعيّة، لا طبعة ، جزء -1 ، 1996 ، ص 22 .

والأحياء والشوارع والطرقات الراقية ، وعلى طول دلهي القديمة نجد المجتمعات الهندوسيّة والمسلمة مجتمعة حول المعالم المغولية الرائعة .

د - مدينة المغول :

يبدأ الطرف الجنوبيّ ، عند قطب مينار [1] إنها رمز الأثر والتأثير الإسلامّي على الهند ، فقد بدأت دلهي مع أول سلطان وهو قطب الدين أيبك . ويبلغ ارتفاع برج المنارة 73 متراً ، والذي بني للاحتفال بالفتح التركيّ لدلهي قديماً , يتضّمن هذا البرج أربعة طوابق , كل واحد إسطوانّي الشّكل مدرج ، أضلاعه ذات زوايا ومحدبة ، تفصلها شرفات [2] ، تتميز قطب مينار ، فضلاً عن الهندسة والفن الإسلامّي ، بما حولها من حدائق وأشجار غرست في حديقة أقيمت وسطها المنارة .

بنى الهندوس المسجد القديم ، مسجد قوة الإسلام ، وهو خرائب مسجد حالياً، دون أن تتوافر الأيدي العاملة المسلمة ، حيث دعا قطب الحرفييّن المحلييّن ليقوموا ببنائه على أنقاض 27 هيكلاً هندوسيّاً وقد هدمت الهياكل بواسطة أفيال خاصة . تبدو آثار الهندسة , الهندوسيّة في أعمدة الهياكل المرصوفة فوق بعضها البعض إذ تم لصق المنحوتات بالجبس ، ولكن النقوش الهنديّة تظهر الهندسة المعمارية الإسلاميّة في القناطر المحددة الرأس على شاشة قاعة الصلاة ، فالزخرفة تتضمن الأحرف العربيّة ، إلا أن النمط هندوسيّ .

يوجد في ساحة المسجد عمود من الحديد يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار ، ويعود إلى القرن الرابع الميلاديّ وقد جلبه إلى هذا المكان الراجبوتيّون ، ولكن لا أحد يعلم مصدر المعلم الذي لم يصدأ لمدة ألف وستمائة عام ، حيث قاوم الرياح الموسميّة «...

---

(1) مينار: تعني في اللغة العربيّة المنارة ، وقطب اسم الفاتح ، وهذا اللقب يعني الأساس والمركز والقوة .

(2) المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، جزء -1 ، 1422/ 2002 ، ص 73 .

ويقال بأنه إذا وقفت سانداً ظهرك عليه وغمرته بذراعيك بالكامل ، فسوف يحالفك الحظ طول اليوم ...» [1]

كانت خرائب هذا المسجد في دلهي القديمة ذات يوم مسجداً في أيام بني تغلق الأتراك ، ولقد وصف ابن بطوطة هذا المسجد قائلاً : «... جامع دهلي كبير الساحة ، حيطانه وسقفه وفرشه ، كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة أبدع نحت ، ملصقة بالرصاص أتقن إلصاق ولا خشبة به أصلاً . وفيه ثلاث عشرة قبة من حجارة ومنبره أيضاً من الحجر...»[2]. كما جاء وصف ابن بطوطة مطابقاً لوصف العمود الهائل الذي لا يعلم من أي المعادن هو «... إنه يسمى هفت جوش أي السبعة المعادن وبريقه لا يؤثر فيه الحديد ويتحدث ابن بطوطة عن أنه أحاط بعمامته دائرة العمود ، فكان منها ثمانية أذرع ...» ولم يكن ابن بطوطة يعلم ، بأن الهندوس كانوا يحيطون العمود بذراعيهم تبركاً به ، وكي يحالفهم الحظ حسب اعتقادهم .

يذهب ابن بطوطة إلى تأكيد بناء المسجد ، حيث أقيم على أنقاض معابد هندوسّية فيقول : «...عند الباب الشرقيّ من أبواب المسجد صنمان كبيران جداً، من النحاس مطروحان للأرض ، قد ألصقا بالحجارة ويطأ عليها كل داخل إلى المسجد أو خارج . وكان في هذا الموضع بيت الأصنام ، ثم جعل محلها مسجداً ...» [3].

كما تقع قلعة بورانا إلى الشرق من نيودلهي ، وتعود إلى القرن السادس عشر والتي نهبت مراراً وهي تتربع على هضبة قديمة ، ويمثّل بناء المغول الأقدم ، قلعة أيكونا مسجد (أي أيقونة) هذه القلعة بقناطرها الأنيقة ، تمثل مرحلة انتقال من النمط الأفغانيّ التركيّ ، إلى النمط المغوليّ الدقيق ، أما المسجد فتم بناؤه عام 1541 من قبل

[1] المؤلف المجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، جزء -1 ، 1422/ 2002 ، ص73 .

[2] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، جزء -2 ، 1430 / 2009 ، ص 35 .

[3] درويش الجويّدي ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصّححة ، جزء -2 ، 1430 / 2009 ، ص 35 .

الجنرال المسؤول شير شاه ، ويقع إلى جنوب المسجد ، برج استخدم لحفلات الجنرال[1].

تطل القلعة الحمراء على دلهي القديمة ويطلق عليها (لال كويلا)[2]، وقد بناها الإمبراطور المغوليّ ، شاه جيهان عندما نقل العاصمة من أغرا إلى دلهي ثانية توجد خلف المتاريس قلعة دلهي التي تعّد مكاناً أو قصراً أكثر من قلعة ، ولقد استخدم في بناء القلعة الرخام الأبيض . ويعتقد أن نفس المهندس الذي صمم تاج محل صمم أيضاً هذه القلعة . يضم داخل هذه القلعة إلى الحصن من الجهة الغربية ، مدخل إسمه لاهور ، بحيث يرى الداخل من هذه البوابة شارعاً من الأسواق المصفوفة ، وقد نقل الإمبراطور شاه جيهان ، فكرة هذه الأسواق من بغداد .

وتضم أقسام القصر على نهر يامونا ، الأعمدة الرخامية والقناطر المستدقة وتصور الرسوم المحفورة ، مجد وعظمة القصر في يوم من الأيام قبل أن يتعرض للنهب والسلب على يد الملك الفارسيّ نادر شاه ، حيث نهبت جيوشه 1739 الذهب من الأعمدة والسقوف المرصّعة على ظهر البواخر ، كما تم نقل عرش الطاووس الهنديّ الشهير على عربة . أما فوق القناطر ، فقد حفرت كلمات ، " لو كانت الجنة موجودة على الأرض فلا بد أنها هنا"[3].

وقد أشار ابن بطوطة أيضاً إلى القلعة الحمراء أيام حكم سلاطين بني تغلق، إذ حكموا الهند ، فهو يصف القلعة التي لا مثيل لها في بلاد الإسلام ، وإنها مبنية بالحجارة الحمراء خلافاً لحجارة سائر المسجد فإنها بيضاء وحجارة الصومعة منقوشة

[1] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت , مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، جزء -1 ، 1422/ 2002 ، ص 74 – 75 .

[2] كويلا : اللفظة : أصولها عربيّة ، القلعة ، و تجمع بين الفارسيّة والعربيّة والتركيّة أي أوردية .

[3] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، جزء -1، 1422/ 2002 ، ص 76 -77 .

وهي مرتفعة وممرها واسع جداً ، فهي من عجائب الدنيا في ضخامتها ، ويتحدث ابن بطوطة عن صعوده على سطحها ورؤيته للأسوار ذات السمو والارتفاع ، وحيث ظهر له الناس في الأسفل كأنهم صبيان صغار ، وهي تبدو للناظر بأنها ليست مرتفعة [1] .

نجد مما تقدم ابن بطوطة يتحدث عن ذات القلعة أيام المغول ، وإن اختلف هذا الوصف ، حيث أقيمت قلعة أخرى على أنقاضها ، إلا أن الموقع على المرتفع والممر ذاته.

لا يزال قصر الحريم الرئيسيّ ، قصر الألوان قائماً ، غير أن جدرانه تأثرت بعوامل الطبيعة ولم تعد المياه تجري داخله ، وتزين الفسيسفاء المكونة من المرايا ، السقف، وجدران القاعات الست ، مما يجعلها كالنجوم المنيرة عندما تضاء الشموع . وآخر إمبراطور استمتع بقصر السلطان ، الذي يضّم كرسيّ العرش ، والأعمدة الرخامّية ، هو جورج الخامس .

يقع شمال غربيّ الديوان الخاص بالقصر الملّكي ، (متايا مسجد) أي مسجد اللؤلؤة[2]. كما يقع على أحد الصخور البارزة غربيّ جنوبيّ القلعة الحمراء، بناء أخر عظيم ، وهو أكبر مسجد في الهند . تتقدم السلالم الهوائيّة الثلاثة المخروطيّة الشكل بوابة المدخل. وتبلغ مساحة الساحة 100 متر مربع ، تحيط بها أعمدة طويلة متصلة بكل زاوية من الزوايا الثلاث . أما قاعة الصلاة ، فتشرف على مقر الإمبراطور ، كما أن كأسين من اللوتس على عمودي قناديل المدخل تضيء الشرفات على المآذن[3].

---

[1] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، جزء -2 ، 1430 / 2009، ص 35 .

[2] متايا : تعني متايا اللؤلؤة في بعض اللغات الهنديّة .

[3] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، جزء -1 ، 1422/ 2002 ، ص 76 – 77 .

كـان القـصر الملـكيّ أيـام حكـم شـاه جيهـان المغـوليّ ، يـضّم مـسجد الجمعـة (جامو مسجد ــ جاموموسك) كما يطلق عليـه ، حـسب اللغـات والـلـهجات الهنديّـة ، كـما يـسمى مسجد جمنة ويحسبه المسلمون من غرائب الدنيا وعجائبها شـاده شـاه جيهـان في سـت سـنوات مـن 1631 – 1637 وهو قائم على سطح مستو مبلط مساحته 450 قدماً مربعاً على مرتفع صخريّ ، غـرب وسط المدينة ويدخل إليه من إحدى جهاته الأربع بسلم حجريّ عريض ، أما سائر زواياه ففيها الأروقة والسرادق طوله 261 قدماً مبلط بالرخـام واجهتـه مـن المرمـر تعلـوه ثـلاث قبـاب مـن المرمـر مزينـة بخطوط من الرخام الأسود وفي كل من زاويتيّ واجهته منارة مرتفعة وقد عنيـت الحكومـة الإنجليزيّـة بإصلاح هذه المدينة الجميلة وتحسينها . ويوجد بدلهي نحو أربعين جامعاً . وبعض الهياكـل الهنديّـة ، وأضرحة الإمبراطوريّن والأولياء المسلمين [1] ...» .

كان ما تقدم وصف لمسجد الجمعة ، تاريخه ويعود لنهاية القرن التاسع عـشر ، وهـو يطـابق الوصف الحديث الذي تقدمه.

يبدو التمثال التذكاريّ البسيط للمهاتما غاندي ، المشرف على نهر يمونـا ، في أجمـل منطقـة ولا علاقة للمغول به ، ولكنه جزء مكمل لدلهي القديمة على المروج المغروسة بالأشجار المقدمة من زعـماء دول العالم ، حيث يوجد مربع من الرخام يحدد المكان الذي أحرق فيه غاندي ، وعلى المنطقة حفـرت فيه كلماته الأخيرة (هي رام) ومعناها يا لله ، وبالقرب من ذلك علامة تحمل الطلـسم المـشهور ، أي تعويذة تحمل خطوطاً وأعداداً سحرية يعتقد أنها تدفع الشّر أو تجلب الحظ ، كما يوجد بالقرب مـن هذا المعلم متحفاً يحتفظ بأشياء تميّزت بها حياة غاندي [2] .

---

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة درا المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -7 ، لا تاريخ ، ص 723.

[2] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعـة 1 ، جـزء -1 ، 1422 / 2002 ، ص 80 .

هـ - ملاحظات حول دلهي القديمة الحديثة

تزدهر دلهي القديمة الحديثة بطرقها ، وشوارعها المنسّقة والمنظّمة ، وقد تغيرت أسماؤها البريطانيّة ، واستبدلت بأسماء طرق وشوارع حديثة ، فطريق الملكة فيكتوريا أصبحت تدعى راجاندر برازاد ، وقد استحدثت أسماء الكثير من الطرق منها (إم جي مارج) أي طريق المهاتما غاندي ، وطريق نيلسون مانديلا ، وجمال عبد الناصر ، وغيرها من طرق لزعماء هنود مسلمين وغير مسلمين كافحوا في سبيل الحرية . يحمل تخطيط نيودلهي الطابع البريطانيّ ، إضافة للشكل الهندوسّي الإسلاميّ المغوليّ. نجد هنا استفادة الحكومية الهندية من المحتل المستعمر في بناء المدن والطرق وهندستها،فضلاً عن تحسين وتطوير للطرق والمباني والهيئات ، وهكذا المدن والدول تقوم على أنقاض أمم أخرى مشابهة لها أو تحمل نفس الطابع أو النمط الذي يميّز الدولة بينما يحدث العكس في بعض بلادنا العربية التي تزيل القديم لا سيما ما يمثل التراث وتستجلب الحضارة المصطنعة .

أما المحور التجاريّ لنيودلهي فهو القناطر الدائريّة والطرق الملتوية والحركة السريعة التي تشهدها منطقة (كونوت) ، حيث دور السينما والمصارف ووكالات السفر والمطاعم وسوق الحرف في المكان الجديد (سوق أنديرا) ، وتمتد منطقة كونوت على طول محور الشمال الشرقيّ والجنوب الغربيّ، كما يُربط (مسجد جاما) أي مسجد الجمعة في دلهي القديمة بالمجلس النيابيّ الهنديّ المحاط بالأعمدة وهو مستدير ضخم جداً ، ويقال أنه يكون في أبهى حالاته ليلاً حيث الإضاءة ، وهذا هو حال دلهي القديمة والحديثة ، فهما ليلاً أكثر هدوءً وجمالاً ، والحق يقال أن هذا المبنى يتألق نهاراً كما هو في الليل ، وبريقه يعود إلى نمط الحضارة الإسلاميّة المغوليّة الهندوسيّة ، فضلاً عن اللمسات البريطانيّة فهو يجمع تراث حضاريّ متنوع.

لقد أصبح قصر نائب الملك البريطانيّ سابقاً ، منزل رئيس الجمهورية ، وتضم القبة الكبيرة ذات اللون الرماديّ الأزرق أجنحة متعددة ، ومرافق أخرى ، وحول هذا القصر مياه ساكنة ، وحدائق ذات تشجير جميل ، و يرى البعض أن المنزل يشبه عظمة بريطانيا ، ويقع هذا المنزل على هضبة مصطنعة ، ممتداً على طول الشارع الرئيسيّ (راجبات) و كان يطلق عليه طريق الملك ، ويقام الآن في هذا الموقع الجميل الأخضر

الاحتفال باليوم الوطني للدولة في 26 من يناير ، وبالقرب من بوابة الهند ، النصب التذكاريّ للحرب الذي صممّ تقديراً للجنود الذين سقطوا فترة الحرب العالمية الأولى .

يقع المتحف الوطنيّ جنوبيّ راجبات ويتميز بالطابع الفنيّ المغوليّ ، ويضم منحوتات هندوسيّة تعود إلى العصور الوسطى في الهند ، أما متحف جواهر لال نهرو التذكاريّ ، وهو أبرز الداعين إلى استقلال الهند ورئيس الحكومة الهنديّة الأول , فهو يقع في المنزل الذي ورثه نهرو عن قائد الجيش البريطانيّ الهنديّ في دلهي الحديثة ، فضلاً عن منزل رئيسة الحكومة الهنديّة أنديرا غاندي الذي تحول إلى متحف وخلفه منزل أحد أحفادها وعائلته[1] .

هكذا بدأت دلهي القديمة ، الحديثة منذ عصور ، شامخة متألقة ناطقة شاهدة بما تقادم عليها من أديان وأمم وسلاطين وأباطرة ، وأحداث تاريخية عظيمة زادت من قوتها وأصالتها المعابد ، والمساجد والأضرحة التي تتناثر حولها، لاسيما القسم القديم ، وكما أشار ابن بطوطة إلى طريقة بناء المقابر أيام بني تغلق ، ووضع الأزهار والرياحين على القبور عند زيارتها ، ولا تزال هذه العادة متبعة عند مسلميّ الهند ، لاسيما المتصوفين منهم . أما المعابد الهندوسيّة وهي كثيرة جداً وبين كل طريق وآخر تجد معبداً ، وتمارس الطقوس بتقديم الورود ، والشموع ، والطواف حول التمثال الموجود في المعبد . تزدحم شوارع نيودلهي لاسيما أوقات الذروة ، أي الذهاب إلى العمل والمدارس أو العودة ، وإن كان الازدحام متواجداً طول اليوم ، إذ لا يهدأ الشارع إلا بعد الثامنة ليلاً تقريباً ، تشاهد على جانبيّ الطرقات وحتى في نيودلهي ، مخيمات وأكواخ أفراد وعائلات من الطبقة الفقيرة.

كما يحوم الأطفال أمام تلك المخيمات بملابس بالية ، وأحياناً عراة ، ويقال أن أصحاب هذه الأكواخ والمخيمات غالباً ما يأتون طلباً للعمل والرزق، وينصبون لهم ما يشبه الخيمة ذلك مؤقتاً ، ثم يرحلون إلى ولايات أخرى وهكذا ، معظم من يتواجد لاسيما في دلهي القديمة ، هم من بيهار جنوب الهند ، وهم غالباً مسلمون ، وهناك نازحون من راجستان .

---

[1] دلهي، نيودلهي، الهند، إبريل، 2011.

نشاهد أثناء المرور بالسيارة أو الأوتوركشه ، حياة بأكملها ، عـادات وتقاليـد ، فـالبعض يـؤدي الطقوس الهندوسيّة ، صباحاً ، ظهراً ، مـساءً ، بيـنما تـرى النـساء يطـبخن وجبـة الغـداء أو العـشاء ، ويقمن بغسل القدور ، والملابس ، أما كيف تنشر الملابس ، فهنـاك عـدة طـرق ، منهـا ربـط حبـل بـين شجرتين ، أو على ما يـشبه الخيمـة أو الأسـوار العامـة لـبعض المبـاني لاسـيما القديمـة ، وأحيانـاً أسـوار الأرصفة في الشارع.

كما توجد حوانيت صغيرة خشبيّة أمام الأكواخ ، أو عربة خشبية ممتلئة بالفاكهة والخضروات ، التي تقطّع ، فالبعض لا يشترى قطعة كاملة من البطيخ حتى وإن كانـت صـغيرة ، وكـذلك الأنانـاس. ويعدّ الشاي بالحليب في قدور قديمة جداً، نراهم يشربونه منذ الصباح وحتى ساعات متـأخرة مـساءً . ويباع في الحوانيت الخشبيّة الصغيرة الضروريّ من المستلزمات مثل التبغ الماء ، العلكة وأحياناً العصائر ، وإن كان العصير يقدم طازجاً من على عربات الفواكه والخضروات أيضاً [1].

ومما يلفت النظـر ، أن الأطفـال الـصغار يـستغلون للتـسول ، كـما أن بعـض النـساء الـشابات يحملن أطفالهن كي يثرن الشفقة ، ويتـسوّلن باسـم الطفولـة . بيـنما يبيـع الـبعض الزهـور والياسـمين والكتيبات التجّارية ، كما يقوم البعض الآخـر بحركـات وألعـاب استعراضـيّة مقابـل بعـض الروبيـات . تلاحظ تلك المشاهد وحركة البيع والشراء في أرقى الطرقات في دلهي الحديثة كما هـو الحـال في دلهـي القديمة وإن كانت أحياء المدينة وأسواقها ، أشد ازدحاماً بالسكان[2].

يعد مسجد الجمعة روح دلهي القديمة والحديثة ، إذ يوجد في منطقة قديمـة جـداً وتوجـد الأحيـاء المسلمة والمتاجر القديمة ، حيث يلتقي النموذج الهندوسيّ بالنموذج الإسلاميّ ، لشدة ازدحام هذه المنطقـة فإن سيارات الأجرة لا تدخلها، فالطرق ضيقة جداً ، وحتى أصحاب الركشه أيضاً لا يفـضلون الـدخول إليهـا ، أما أصـحاب سـيارات الأجـرة فقـرار عـدم الـدخول هـو قـرار رسـميّ حكـوميّ ، لا تُعجـب بعـض الزائـرين

[1] دلهي، نيودلهي، الهند، إبريل، 2011.

[2] كارناتاكا ، بنغللور ، الهند ، مايو ، 2006.

مناظر الازدحام ، وروائح الدجاج المكدس في الأقفاص، فضلاً عن مخلفات الذبائح من دجاج وماعز وغيرها ، وما يصدر عنها من روائح تثير النفور وتّسد المتاجر القديمة وعتبات الدكاكين وأصحاب العربات المتجولة الطرقات ، بل حتى أن بعض المتاجر الصغيرة أمامها ما يشبه متاجر أخرى صغيرة ، فضلاً عن المطاعم الشعبيّة ، يبدو مسجد الجمعة شامخاً مهيباً ، إنه رمز حضارة الإسلام أيام حكم بني تغلق ، وإن أقيمت على أنقاض خرائبها حضارة المغول الإسلاميّة إلا أن روح الإسلام تتنفس من هذا المسجد بخاصة في شهر رمضان الكريم ، حيث يشّتد الازدحام ويبدأ ذلك منذ الساعة الخامسة مساءً ، ويتّمثل الجو الرمضاّني الخالص في صحن المسجد ، الذي يمتلئ بالعائلات الهنديّة المسلمة ، رجالاً ونساءً أطفالاً وكباراً ، يشكّلون ما يشبه الحلقات ، استعداداً للإفطار ، فهم يتحلقون حول الطعام ، للإفطار ، ويبدو صوت المدفع الصادر للإذن بالإفطار ذي وقع وأثر عظيم في النفسّ ، يؤذن للصلاة ، ولا يختلف خارج المسجد عما بداخله ، من حيث الاستعداد للإفطار, الرمضاني التقليديّ ابتداء بمطاعم العربات الصغيرة التي تقدم المشويات من اللحوم والدجاج والحلوى ، فضلاً عن الوجبات الجنوبية النباتية من سمبوسة ، وخبز هنديّ بإنواعه ، إضافة إلى الفواكه والخضروات ، وهناك مطاعم أكبر من ذلك تقدم الخدمات للباعة والمشترين في القسم القديم من دلهي، ويشتهر من بين هذه المطاعم ، مطعم (كريمي العتيق) الذي يقدم وجبات ترمز إلى ثقافة الحضارة الإسلاميّة في الهند من تركية أفغانية عربية مغولية، وقد أسسّ هذا المطعم 1913 ، والشهادات على جودته ، تسمعها من سائقيّ سيارات الأجرة وعربات الركشه ، فضلاً عن أن هناك مؤسّسات إعلامية شهيرة تزوره بين فترة وأخرى ، لاسيما في شهر رمضان ، مقدمة تقارير عن جودة المطعم ، ومنها ناشيونال جواغرافيك ، وقناة فوكس وغيرهما ، حيث الشهادات من هذه الهيئات الإعلامية العالمية ، والتي تتوج زوايا المطعم[1]. وتشهد بتميّزه وتاريخه ، قد تنتظر طويلاً لطلب وجبة . في هذا المطعم ، ذلك بسبب الإقبال الشديد عليه ، فهو يقدم الوجبات التقليديّة الشهيرة ، لاسيما الأرز البرياّني ، باللحم أو الدجاج ، فضلاً عن الكباب و المشويات الأفغانية ، وبعض الأكلات الكشميريّة ، وتعد الوجبات فيما يشبه

[1] دلهي ، الهند ، أغسطس ، سبتمبر ، 2010م.

أو يسمى الوازلان في كشمير ، وهي قدور نحاسيّة متوسطة الحجم ، يّعد فيها الأرز ، واللحم بالكاريّ .

2 – أغرا ، وما حولها

أ – أغرا ، الموقع ، التاريخ

تعّد أغرا موقع تـاج ماهـال ، أي محـل ، حيـث أجمـل منظـر في الهنـد . كانـت أغـرا عاصـمة السلطان المغولي أكبر [1]، وموقع حصنه ، وقبره يقع خارج مدينة سيكاندار على مسافة عدة أميال غرباً ، ذكرت أغرا لأول مرة في التاريخ 1501. حيث جعلها السلطان على سيكاندار عاصمة له . استولى عليها بابِر مع الماسة (نور) الموجودة حالياً في التاج البريطانيّ . ثم اختار حفيده أكبر أغرا عاصمة له بدلاً من دلهي ، وفي القرن السابع عشر ، جعلها جيهانغير محط أنظار العالم الإســلاميّ . و تحـول اهـتمام شـاه جيهان ابن جيهانغير من أغرا إلى تاج محل ، الذي بناه لزوجتـه ممتـاز ماهـال بعـد وفاتهـا . ثـم أعـاد العاصمة إلى دلهي من جديد 1648 . تاركاًكنوز المدينة للغـزاة الطـامعين . إلى أن أحياهـا نائـب الملـك البريطانيّ 1857.

تقع مدينة أغرا على الضفة الجنوبيّة الغربيّة من نهر جمنة (يامونا) و تبعد عـن دلهـي 115 ميلاً إلى جنوبيّ الجنوب الشرقيّ . كانت مركزاً تجارياً مهماً للقطن والسكر ودودة القز والملح والحرير . كما كانت من أجمل مدن العالم وأغناها ، إذ تدهورت بعـد ازدهارهـا وبـات معظـم أبنيتهـا الجميلـة خرائب حيث تعرضت للخراب، مساحة أسوارها القديمة نحو 11 ميلاً أشهرها قلعة أغرا والتـي تـسمى أيضاً أكبر أباد وهي تشتمل على قصر جيهان وموتي مسجد، أي المسجد اللؤلؤي المشهور ، كـما تـشتهر أغرا بضريح تاج محل .

[1] أكبر السلطان جلال الدين محمد الملقب أكبر من نسل بابر من سلالة تيمور ، أعظم سلاطين الهند المغول ولد في أمـر كوت في 14 تشرين الأول 1542 توفى 1605 ، ملك نصف قرن واعترف بملكة وزراء وأمراء الدولة ، بطرس البـستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، مجلد -3 ، لا تاريخ ، ص 18 .

توجد الأبنية العموميّة الأوروبيّة في أغرا ومنها دار الحكومة وقد كانت أغرا مقاطعة لها رئاسة منفصلة عن غيرها 1833 [1] .

كانت أغرا من أنظف مدن الهند ، غير أن أزقتها ضيقة وبيوتها ذات ثلاث طبقات أو أربع وأكثرها مبنيّ بالحجر الرمليّ الأحمر ، وبها شارع جميل مبلط يؤدي من القلعة إلى وسط المدينة . تنتشر في ضواحي المدينة كثير من البساتين والطرق المظللة ، كانت أغرا في تاريخ الهند القديم حداً لأملاك السلاطين الأفغان جنوباً . ونقل إليها عرش السلطنة المغوليّة 1504 فصارت عاصمة المغول ، وقد حصنّها السلطان أكبر وزاد من جمالها وحسنها ، وضريحه 6 أميال شمال أغرا ، بناه لنفسه وبذل الأموال في زخرفته . نقل عرش السلطة إلى دلهي 1658 ، وتناقص عدد سكانها ، حيث احتلها الإنجليز ، ثم استولى عليها المهراته 1784 ثم دخلها اليسوعيّون ، وأقاموا فيها مدرسة ، ذلك بعد الثورة الهنديّة 1857 , على الإنجليز , حيث دمرت أكثر بيوت الأوروبيّن هذه هي أغرا منذ القرون الوسطى وما قبلها . وحتى نهاية القرن التاسع عشر تقريباً .

ب – تاج محل أبرز معالم أغرا

يحدثنا بطرس البستانيّ عن تاج محل قائلاً «... وبالقرب من النهر أي نهر جمنة على مسافة نحو ميل من القلعة [2]إلى الشرق مسجد تاج المحل العظيم وهو ضريح بناه شاه جيهان لنفسه ولزوجته نورجيهان وقد توفيت سنة 1631 ويقال أنه استخدم في بنائه عشرين ألف رجل مدة 22 سنة وأن نفقته بلغت 4 ملايين ريال وهو مبني من المرمر الأبيض وقطره 100 قدم وارتفاعه 200 قدم وهو مبني على شكل مثمن غير منتظم وقائم على رصيف عالٍ من الرخام مبني على رصيف آخر من الحجر الرمليّ الأحمر ، عند زوايا الرصيف أربع مآذن عالية على شكل مخروط ارتفاع كل منها نحو 40 قدماً وفي

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة، لا طبعة ، المجلد -3 ، لا تاريخ ، ص 785 .

[2] القلعة : هي قلعة أغرا ، وسوف نتحدث عنها تالياً.

وسط البناية قبة تعلوها قبيبة على شكلها وقطر القبة 20 متراً وكل من داخل الضريح وخارجه منقوش بفسيفساء فاخرة على نسق جميل جداً ويقال أن سُور القرآن كلها منقوشة بفسيفساء فاخرة على الجدران الداخلية وفيه أيضاً عدد لا يحصى من النقوش البديعة...»[1] .

كان ما تقدم وصف البستانيّ لهذا الصرح العظيم ، ولا زالت المصادر ، ووسائل الإعلام تتحدث عن تاج محل ، و تعني الكلمة الموضع في اللغة العربية والموضع هنا هو القصر الذي يوجد فيه الضريح وتلفظ محل بالهندية (ماهال) وتاج محل تصغير لاسم ممتاز ماهال المجد من القصر ، حيث أعطى شاه جيهان هذا اللقب لابنة عمه عندما تزوجته وكانت إبنة خاله أيضاً ورفيقته الدائمة قبل أن يرث العرش وبعد ذلك أصبحت السيدة الأولى من بين مئات النساء في حريمه كما يقال ذلك خلال 19 سنة من زواجه بها . أنجبت له أربعة عشر ولداً، وماتت أثناء وضع الطفل الأخير 1631 تحدثنا الحكايات أن لحية شاه جيهان ، أصبحت بيضاء في ليلة واحدة وكان حينها في التاسعة والثلاثين من عمره ، فهو يكبر زوجته بعام ، واستمر حداد شاه جيهان على زوجته سنوات ، إذ ظل يرتدي الأبيض يوم ذكرى وفاتها ، وتلك عادة هندية ، إذ يرتدون عند الوفاة والحداد الأبيض .

استمر بناء الضريح 12 سنة ، وفي الرواية الأولى 22 سنة ، كان شاه جيهان يشرف دون ملل على مهندس معماريّ فارسيّ و حرفييّن استقدمهم من بغداد وإيطاليا وفرنسا ويعد هذا الضريح أوج تسامي حزن شاه جيهان حيث كتب الإمبراطورية لم تعد حلوة بالنسبة لي بعد الآن «الحياة بحد ذاتها قد فقد طعمها[2].

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -3 ، لا تاريخ ، ص 785 .

[2] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة -1 ، جزء 1 ، 1422 / 2002 ، ص 84 .

جـ - ملاحظات حول تاج محل

لا يزال تاج محل مصنفاً في عجائب الدنيا السّبع ، وهو معلم يمكن زيارته في جميع الفـصول ، لاسيما منتصف الشهر الهجريّ ليلاً ، أول الليل ، وحيث يكـون القمـر بـدراً كـاملاً ، والريـاح الموسـميّة متوقفة ، مما يعني أن السماء صافية . وهناك من يفـضل رؤيتـه في شـدة الريـاح الموسـميّة ، فالرخـام يكون نصف شفاف، مما يعطي صورة ضبابية في المياه المنقوشة بنقاط الشتاء في مجـاري حدائقـه . إن سحر هذا المعلم قويّ جداً ولا حدود له في أي وقت مـن أوقـات النهـار ، فعنـد الفجـر يميـل لونـه إلى الفضيّ ، ثم الزهريّ ، وعند الغروب يكون ذهبياً ، ويكون أبيض باهراً في منتصف النهار .

يستحق المدخل إلى حدائق الضريح الإعجاب فعلاً ، فهو يتميز بقناطر رخاميّة فخمـة ، وقبـب الكشك في زواياه الأربع وصفين كل واحد من إحدى عشرة قبة بشكل مظلة فوق المدخل .

تعتبر حدائق شار باغ [1] جزاً لا يتجزأ من التاج ، فمن الناحية الروحية ترمـز إلى الجنـة حيـث صعدت ممتاز ماهال ، وفنياً لتعزيز لون الضريح ومادته ، فأشجار السرو الخضراء تنعكس على الرخـام ، مما يزيد من بريقه ، فضلاً عن شلالات المياه التي تلتقي عند منصة واسعة من المناظر ، كما تـضيف أضواء لطيفة عند الفجر والغروب .

يضّم الضريح التابوت الرخّامي الرمـزيّ ، بيـنما الجثـث الحقيقيـة ، مدفونـة في غرفـة أخـرى ، مباشرة في الأسفل ، ولقد تعرضت الكنوز الموجودة في المـدافن، للـسرقة، حيـث انتزعـت ، ذلـك حيـنما تعرضت أغرا للغزو ، يحاط الضريح ببنـايتين حمـراوين متماثلتـين ، تقعـان إلى غـرب المـسجد ، وشرق جناح الزائرين ، أما خلف تاج محـل ، حيـث الـشرفة التـي تطـل عـلى نهـر (يامونـا) ، ويـصل المنظـر الجميل حتى حصن أغرا ، وإن بدت مياه النهر جافة حسب الموسم ربما .

[1] جار في بعض اللغات الهنديّة تعني العدد أربعة (وباغ) تعني الحديقة أي الحدائق الأربع.

لقد توفي شاه جيهان ، الملك الحزين عام 1661م [1] حيث خلفه ابنه أورنكزيب بعد أن سجنه[2] ، وظل حبيساً في إحدى الغرف في قلعة أغرا ، عشر سنوات وهو ينظر إلى الضريح من إحدى النوافذ إلى أجمل ذكريات حياته ، ومن المفارقات أن شاه جيهان قتل إخوته ، بعد وفاة والده ، وتولى العرش ، أما أورنكزيب فقد ارتدى رداء التديّن والصوفيّة واعتزل في سلك الفقراء والتقشف في سن العشرين ، وفجأة خرج من عزلته وسار إلى الحرب ، وحارب إخوته أيضاً ، فانتصر عليهم ثم أسر والده كما تقدم .

لا تزال المنطقة التي بها ضريح تاج محل في أغرا ، تنبض بالحياة ، وتتردد قصة شاه جيهان ووفائه لزوجته ، حيث تروى لملايين السائحين الذين يزورون تاج محل يومياً ،وعلى مدار السنة ، ولا تزال مدينة أغرا متألقة ذات شهرة ، وبسبب الازدحام الشديد ، فإن أحياء وطرقات مدينة أغرا ، وأسواقها مكتظة ، ذات أزقة ودروب ضيقة ، وتبدو غير نظيفة ، وتفتقر إلى المرافق الصحيّة ، لاسيما في محيط تاج محل ، ذلك بسبب تكدس الباعة المتجولين وأصحاب العربات فضلاً عن أصحاب الركشه والدراجات .

تجد على امتداد الطرقات المؤدية إلى مبنى التاج الباعة ، يعرضون ما لديهم من ميداليات نحاسية ، خشبية ، فضلاً عن مجسمات التاج المصنوعة من الرخام ، والأفيال ، والقمصان القطنية والتي تحمل صوراً تمثل التاج وغيرها من رموز الهند ، هؤلاء الباعة ، تجدهم أمام المتاجر الصغيرة ، أو عربات متجولة ، وبعضهم يسير وراءك جارياً لعرض ما لديه, ومعظمهم يمثلون الجيل من ورثه الحرفييّن وهم عائلة (بركاش) المسلمة والتي تنحدر من أصول مغوليّة ، وحيث استقدموا أو قدموا إلى أغرا ، لبناء الضريح وحدائقه ، ولا تزال هذه العائلات ،تعمل في محيط المنطقة التي بها تاج محل،تباع هناك منتجات

[1] بطرس البستانيّ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد 4 ، لا تاريخ ، ص 632.

[2] أورنكزيب : تلفظ أورانغريب أو أورانجزيب معناها بهاء العرش ، تولى الحكم 1707/1659 م ، وهو ابن شاه جيهان ، بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة، لا طبعة ، المجلد -1 ، لا تاريخ ، ص 397

يدوية من مجسمات على شكل مناظر للتاج ، وأطباق، وطاولات من رخام وغيرها، كما أن هذه العائلات تعمل على صيانة المبنى وضريح تاج محل من حيث الترميم والنظافة ، وتنسيق الحدائق والأشجار.

ومما يضاف إلى روعة القصر وعجائبه إن الزائر يراه عند كل زيارة بوجه وشكل جديد إنه قديم حديث وكأنه ، لا يتغير بفعل عوامل التعريّة وتقلبات الزمان ، ربما ذلك بسبب اهتمام وإدارة الأوقاف بترميمه وصيانته ، نظراً للإقبال على زيارته ، وبالتالي العائد على الدولة وإدارة الأوقاف هو الفائدة .

كما أن القصص والحكايات عن هذا الصرح وأهله لا تنتهي ، فهناك من يسرد الروايات عن بطش واستبداد باني القصر ، شاه جيهان ، حتى أن البعض يؤكد بأن السلطان شاه جيهان ، قطع أصابع العمال الذين بنوا الضريح ، كي لا يبنوا مثله ، تسمع تلك الراوية في راجستان من هندوسيّ ، أو ياني (جين) , بينما يؤكد لك شخص آخر من مدينة أغرا وهو مسلم ، بأن هذا القول خطأ وادعاء وأن إصابات الأصابع والأطراف ، قد تكون جروحاً بسبب العمل في مواد حجرية صلبة من الرخام والفسيفساء وغيرها ، وذلك يؤكد أن البنائيّن والعمال كانوا يعملون تحت ظروف قاسية جداً[1].

نجد الاهتمام بالآثار والمحافظة عليها كي تستقطب أنظار السائح والعالم وهذا ما تقوم به حكومة الولاية في دلهي، وإدارة الاوقات فضلاً عن المحافظة على التقاليد والطقوس التي تؤدي احتراما على الزائر السياحي ومنها أن المسجد يغلق يوم الجمعة، وفقاً للتقاليد الإسلامية المتبعة منذ القدم ولكي تتم صيانته.

د – قلعة أغرا (حصن أكبر)

تعّد قلعة أغرا من أشهر القلاع في الهند، بناها السلطان أكبر فوق آثار مدينة قديمة في مدينة أغرا ، وهي على شكل ذي أضلاع بناؤها متقن وبها قصر شاه جيهان والجامع اللؤلؤيّ الشهير . أورد ذلك بطرس البستانيّ وكان يطلق على أغرا أكبر أباد، وأكبر هو لقب ، السلطان جلال الدين محمد من نسل بابور ، والذي ملك خمسين

[1] دلهي ، أغرا ، الهند ، أغسطس ، سبتمبر ، 2010م.

عاماً واعترف بملكه وزراء وأمراء الدولة ، بعد وفاة أبيه همايون 1555حيث أقيم له وصياً حاذقاً داهية ، من أهل الطمع ، كان أكبر يحكم ثلاث ولايات عند الجلوس على العرش ، إلا أن شجاعته وهمته العالية مكنته من التغلب على خصومه الأفغان ، وحدثت عدة ثورات داخلية أيام سلطته ، بسبب دسائس وزيره الوصيّ بيرم خان ، إلا أن أكبر أخمدها ، وأصبحت تحت إمرته خمس عشرة ولاية . اهتم أكبر بالصنائع والعلوم ، فأنشأ في دلهي أبنية جميلة ، وساعد العلماء و أهل الأدب وبنى مدارس في كل جهات المملكة ، وقلل من الضرائب التي فرضت على الهنود ، ونظم إدارة الدخل وحسّن أموال التجارة وأصلح الطرق ، وأمر بالإشراف على أحوال الأمم الخاضعة له ، وعن محصولات الأراضي في الأقاليم وجعل للمقاييس والموازيين نظاماً عاماً ، فضلاً عن حمايته لجميع الأديان ، ودعا مجموعة من البرتغال ليوضحوا له الدين المسيّحي ولم يعتنقه ، يقال أنه حاول الجمع بين الإسلام والبرهميّة والمسيحيّة ، ولم ينجح ، وألف أكبر وزرائه كتاباً يتضّمن وصف الهند وتاريخ ملكه، وهو فارسيّ ، واسمه أكبر نامه ، توفي أكبر عن ثلاثة وستين عاماً . حزناً على وفاة أحد أبنائه وقبره في مدينة سكندري ، قريباً من أغرا [1].

لقد أسهبنا في الحديث عن أكبر لإلقاء الضوء على ما كانت عليه ولايات وأقاليم الهند ، من ازدهار وعمران وتنظيم منذ القرن السادس عشر وما قبله ، مما يفسّر استمرار تلك الحضارة والنظام ، وإن تغيرت الدول والسلاطين ، إلا أن الأساس قوي ، فضلاً عن أن السلاطين المغول حاولوا الجمع بين الأديان وإن كان ذلك سبباً في الخلط ما بين المعتقدات حاضراً .

بنى أكبر حصن أغرا 1556 ، وتميّزت فترة بنائه بالمعارك الكثيرة ، مما يفسر تصميمه لكي تكون أغرا قلعة يحيط بها خندق مائيّ من ثلاث جهات ونهر من الجهة الرابعة ، فضلاً عن قاعات الترفيه التي أضيفت من قبل خلفاء أكبر . ومن ذلك

---

[1] بطرس البستانيّ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة ، دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -4 ، لا تاريخ ، ص 108/ 109 .

(ديوان آم) [1]أي بهو المشاهدين العام ، حيث قدّم القائد وليم هو كينز أوراق اعتماده للإمبراطور جيهانغير من قبل جايمس الأول ، وإلى الشمال من ذلك يوجد مسجد اللؤلؤ ، مسجد شاه جيهان ، ويوجد مسجد خاص بالحريم في الجزء الشماليّ الشرقيّ، وهيكل هندوسيّ ، ويتوسطهما سوق كانت تباع فيها الحرير والحليّ.

تطل الغرف في هذا الحصن على نهر يامونا كما هو حال حصن دلهي ، ومما يزيدها جمالاً ، الأروقة و الممرات والأجنحة المتصلة ببعضها ، والمطليّ سقفها بالذهب في القصر الخاص ، كما تؤدي السلالم إلى قصر زوجة الإمبراطور [2]وفي غرفة من غرف هذا القصر سجن شاه جيهان كما ذكرنا .

ولا بد أن نشير إلى أن نظام الحريم للمسلمين الهنود ، هو نظام البردة أو السّتارة التي تحجب نهائياً النساء وراءها ، في منازل خاصة ، ولا تسمح باقتراب الرجال من محيط النساء ، أما الحرس فهن من النساء غالباً حيث كانت النساء يقبلن على العمل في قصر الحريم كشرف لعائلتهن ، وكخدمة سياسيّة للنبلاء ، وإن كن يعاملن كجواري ومحظيات للسلطان الأمير .

وتعدّ زوجة السلطان الأولى أو الأكبر سناً ، ربة البيت وذات تأثير شديد على مجريات الأمور ، ومؤتمنه على ختميّ الإمبراطوريّة الضروريّن لختم القوانين وأمينة سِر الإمبراطور في كثير من قراراته ، ومثال ذلك ممتاز ماهال زوجة شاه جيهان وزوجة جيها نغير الأكثر قوة ، حيث كانت تدير البلاد[3].

[1] الكلمة أوردية أي تجمع بين العربيّة التركيّة الفارسيّة ، فتقرأ عربياً الديوان أو البهو العام.

[2] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، جزء -1 ، 1422 / 2002 ، ص 89 – 90 .

[3] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، جزء -1 ، 1422 / 2002 ، ص 90 .

هـ - مدينة فاتح بور سيكري

تقع قلعة فاتح بورسيكري ، عاصمة إمبراطوريّة أكبر ، على منطقة صخرية ، تبعد عن مدينة أغرا ما يقارب 37 كلم وقد صممت القلعة كموقع احتياطيّ تحسباً لأي هجوم ، حيث تحميها من جهات ثلاث متاريس تبلغ ستة كيلومترات كما توجد بحيرة صناعية من الجهة الرابعة تمتد على مسافة ثمانية كيلومترات حتى حدود راجستان . بنى القلعة المهندسون المعماريّون الذين بنوا أغرا وأضيف إلى القلعة الحجر الأحمر الداكن ، فضلاً عن الحجر الرمليّ الزهريّ.

تتواجد عبر بوابة أغرا عند الزاوية الشماليّة الشرقيّة ، أقسام للحرفيّن مثل النجاريّن والخياطيّن والبنائيّن ويطلق عليهم (كارخاناس) أي دار أصحاب الحرف .

كما توجد الساحة العامة للمشاهدين ، حيث كان السلطان أكبر يحاكم المذنبين بمعاونة منفّذ ومعه آلات التعذيب ، التي بمجرد رؤيتها يتم الاعتراف ، بالجريمة فعند أحد الأعمدة يوجد حجر كبير وطوّل أي حبل يشّد إلى وتر ويطّول إلى الدابة أو يمد فترعى وهي مقيّدة به ، وهذا الطوّل معلق فيه جرس ، وهو مشدود إلى فيل ، مهمته سحق المجرم الرئيسيّ[1].

تتميّز أجنحة القصر و مساحاته بالزخرفة ذات الطابع الهندوسيّ ، فقواعد الأعمدة محفورة بشكل رؤوس فيّلة ، وغيرها من لوحات جدرانية وأعمدة حيث نحتت صور لحيوانات توهم بأنها أعمال خشبيّة وليست حجراً .

لقد نسجت الكثير من الحكايات حول القصر ، منها ساحة في وسطه ، حيث ملعب باتشستي ، وهو رقعة للشطرنج كبيرة جداً للعبة البرجيس ، حيث يقال أن أكبر وأصدقاءه كانوا يستخدمون قطعاً بشرية للعب بها .

ويدل وجود جناح عالم الفلك ، على حب الهنود والمغول للماورائيات وعالم الغيب ، وإن كانوا مسلمين ، فهم ممن يعتقدون كثيراً بالفأل والنحّس . ويقال

[1] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، جزء -1 ، 1422 / 2002 ، ص 94 - 95

أن الإمبراطور أكبر استشار مجموعة كاملة من خبراء الفلك الهندوسييّن والمسلمين ذلك يفسر وجود أجهزة الرصد والفلك حالياً ، لاسيما في مدينة جيبور ودلهي وغيرهما .

يقع خلف جناح عالم الفلك ، ما يسمى جناح المال أو جناح الخزنة ، فأكبر يمكن أن يجلس على وسادات تحت القناطر يعّد أموال الإمبراطوريّة ، تلك عادة الملوك والسلاطين في الهند حيث الأموال تحت الوسائد والفرش مخزنة في الغرف .

لقد تحدثنا عن ميل أكبر إلى مناقشة أصحاب الأديان والثقافات ، فالديوان الخاص به يكون موضع نقاش ساخن مع الحكماء من يسوعييّن وبرهمييّن وزرادشته وصوفيّين وباطنيين ورهبان بوذييّن ، فالحكايات تحكي الكثير عن هذا الديوان الخاص، إنه بيت المال ، وموضع راحة السلطان مع زوجته وجواريه ، كما أنه قد يكون شرفة يطرح منها أكبر على مستمعيه الأسئلة الجدليّة ، ويرى آخرون أن هذا الديوان ، خزنة للجواهر . كما يوجد في ساحة القصر ، قصر آخر من الطراز الفارسيّ ، حيث (الباغدير) أي برج التهوية ، أو الهواء ، هذا البرج دون جدران من جهاته الثلاث ، أي يصبح مفتوحاً ، لدخول نسمات الهواء اللطيفة ، ومن الطابق العلوي للبرج ، يمكن أن تشاهد الجهة الأخرى من القلعة ، لاسيما قصور الحريم التي تقع إلى الجنوب الغربيّ .

بنى أكبر لزوجته الكبرى مكان إقامة رئيسيّ في قصر الحريم ، وكانت أولى زوجاته هندوسيّة ، ولم تسلم مما يفسّر أن أكبر كان يقبل على جميع الأديان وهو ممن يميل إلى المزج بين الأديان ، كان هذا القصر مفضل لدى أكبر ، وله ستار أو حاجز من جهة واحدة لمنع حرارة الصيف جهة الشمس من الدخول بينما الجهات الأخرى مفتوحة[1]

يقع مسجد الجمعة التابع لمدينة فاتح بور سيكري ، عند الطرف الجنّوبي للقلعة ، على سلسلة الجبال ، وكان من أول المساجد المفتوحة في ساحة القصر ، ومما

---

[1] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، جزء -1 ، 1422 /2002 , ص 95 .

يميّز المدن المغوّلية المسلمة، هو تحديد اتجاه مكة المكرمة ، لاسيما عند النظر إلى المحراب الأوسط المحفور .

يوجد في ساحة القصر ضريح الشيخ سليم شيشتي ، المكسّو بالرخام ، تبرز واجهته خط اليد باللون الأسود في حجرة الضريح ، كما توجد رسوم لأزهار ، وقد كان هذا الضريح معلماً بسيطاً ، وأضيف إليه الرخام الأبيض من قبل الملك جيهانغير اعترافاً لجميل هذا المتصوف الباطنيّ . وتشير الراويات إلى أن الملك المغوليّ أكبر كان في عمر السادسة والعشرين عام 1856 ، ولم يرزق حينها بوريث ذكر ، والتقى في فاتح بور سيكري رجل صوفيّ غامض ، وهو سليم شيشتي ، الذي وعد أكبر عن حال منحه الإخلاص اللازم والثقة به ، بأنه سيرزق بأبناء ثلاثة ، أجاب الإمبراطور وبمقابل صداقتك ونعمتك ، سأحميك وأحفظك ، وطلب الصوفيّ من الإمبراطور أن يسمي ابنه الأول باسم سليم ،لم -يمض عام حتى رزق الإمبراطور بصبي فسماه سليم، ثم سمّي بعد ذلك جيهانغير، وبسبب الابتهاج بأول مولود ذكر نقل أكبر عاصمة سلطانة إلى سيكري ، وانطلق في حملة عسكرية ناجحة وعاد ليضيف إلى سيكري (فاتح بور) وهي تلفظ في اللهجات الهنديّة (فاتوبور) أو (فاته بور) و(فاته) من الفتح في اللغة العربية ، إذاً هي مدينة الفتح بمعنى النصر .

تخلى السلطان عن فاتح بور 1581 ، بينما بقيت أسرة شيخ سليم شيشتي فقط في المدينة في مكان قريب من المزار الذي بناه أكبر لهذه الأسرة وهكذا وبعد ستة عشر جيلاً ، بقت الأسرة واسم الشيخ ، بينما لا شيء يشير إلى أكبر أو عائلته .

يزور المسجد والضريح الكثير من السائحين ، والمتصّوفين لقراءة الفاتحة على روح الشيخ ، وبعض من أفراد أسرته ، حيث قبورهم في جزء من ساحة القصر، ويعج هذا المسجد بالزائرين والمصلين لاسيما يوم الجمعة، فضلاً عن الباعة الذين يعرضون منتجاتهم اليدوية ، وجماعات بسيطة من المتصوفين الذين يتكسبون عن طريق أداء أناشيد دينية ، ذات ألحان وأنغام وكلمات تميل إليها الأذن ، لاسيما أنها بالأوردية التي تتضّمن كلمات عربية .

هكذا نكون قد ألقينا الضوء على جزء هام من الشمال الهنديّ ، وسوف نشير إلى جزء آخر في الفصل التالي .

الفصل الثاني

مدينة شمِلا وشانديغار شمالاً

1 – مدينة شملا :

أ – الهيمالايا سفوحها

لابد من أن نوضح المحيط الذي تقع فيه شملا أو سملا فهي مدينة صغيرة في ولاية هيماشال براديش ، و تشرف على مرتفع سفوح الهيمالايا ، هي وماَ يحيط بهاَ من قرى ومدن صغيرة ومنتجعات ، ومما ورد عن الهيمالايا وسفوحها ذكر لجبل قراجيل «... جبل قراجيل يتصل مسيرة ثلاثة أشهر وبينه وبين دهلي مسيرة عشر ، وللجبل طريق واحد ... وعن أسفل منه وادٍ وفوقه الجبل ، فلا يجوز فيه (أي يعبر) إلا فارس منفرد وخلفه آخر ...»[1].

إن ما تقدم هو وصف لجبل الهيمالايا وسفوحه ووديانه ، وكان يسمى قديماً جبل قراجيل ، والوادي أسفله هو السفوح ، أما الطريق في سلسلة الجبال، فهي وعرة وضيقة ، ولا سبيل إليها بالسيارات وحتى العربات بل سيراً على الأقدام ، أو البغال الجبليّة ، التي تقف عند نقاط معينة .

أشار ابن بطوطة في موضع آخر ، إلى أحد الأنهار التي ينزل إليها الماء من جبل قراجيل قائلاً : «...من عجائب النهر الذي نزلنا عليه أنه لا يشرب فيه أحد أيام نزول المطر ، ولا تسقى منه دابة ، ولقد أقمنا عليه ثلاثاً فما غرف منه أحد غرفة ولا كدنا نقترب منه لأنه ينزل من جبل قراجيل التي بها معادن من الذهب وتمر على الحشائش المسمومة فمن شرب منه مات ، وينزل منه إلى بلاد تبت حيث غزلان المسك...» [2].

---

[1] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، جزء -2 ، 1430 / 2009 ، ص 91 .

[2] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، جزء -2 ،1430 / 2009 ، ص 131 .

تشير الأبحاث إلى أن هيمالايا وتلفظ همالايا ، وفي اللغة العربية حملايا إنها «... كلمة من السنّسكريّتية مركبة من (هيم) ومعناه الثلج و (لايا) ومعناه موطن ، فالجملة تعني موطن الثلج " وهي سلسلة جبال في آسيا على حدود الهند من الجهة الشماليّة ، تفصلها عن تبت ، يحدها شرقاً نهر البرهمبوترا وغرباً نهر الهند ، وتنقسم الهيمالايا إلى الغربيّة والمتوسّطة والشرقيّة ، تصّب مياه الهيمالايا الغربيّة في أنهر البنجاب الخمسة [1] وهي السُتلج ، والغانج ، والتيستا، وجمنة ، وبراهمبوترا . وتعود تسمية قمم سلاسل الهيمالايا بإفرست ، نسبة إلى ضابط إنجليزي شهير كان مع جمعية الإستقراء الهنديّة ، ويطلق أهالي التبت على الهيملايا (شنغوفنماري) كما يسميها النيبالبون (غوريسنكار) ، وتدعى السلاسل المتفرعة عن الهيمالايا أسماء أخرى ، منها سلسلة (كانتشيونغا) شمال ولاية سكيم ، وشرقها (مولاري) .

تغشى الأبخرة المتساقطة من على القمم الجبليّة السهول ، مما يكسبها الجمال والسحر ، أما منظر القمم ، حيث تغطيها القمم القريبة منها المغطاة بالأحراش وتغطي حضيض الهيمالايا الجنوبيّ المستنقعات والآجام الناتجة عن رطوبة ورداءة الهواء وغزارة الينابيع ، كما أن المياه المتجمعة حول السفوح نتنة بها نباتات ناتجة عن الشمس المدارية وتنبعث منها روائح خبيثة ، وتسمى تلك البقعة (تراغاني) أي المعبر[2].

ولا تزال سفوح الهيمالايا في أجزاء كثيرة منا كما كانت منذ عدة قرون ، فالعمران لم يصلها ، وإن وصلها ورممت الولاية الطرق والشوارع والممرات ، حتى الرئيسّية منها ، فإنها تعود إلى ما كانت عليه من دمار وفوضى ، بسبب تدفق مياه الأمطار والشلالات والأنهار ، وحيث تتكون المستنقعات والبحيرات الراكدة ، التي تؤدي إلى

---

[1] البنجاب : لفظة مكونة من بنج وهو العدد خمسة بالهنديّة ، وآب وتعني النهر ، فالعبارة تعني الأنهار الخمسة .

[2] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة ، دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -7 ، لا تاريخ ، ص 220 -221 .

وجود الطحالب والطفيليات والحشرات وغيرها ، فضلاً عن ماحولها يكون رطباً زلقاً، إلا أن ذلك لا يجعل المرء يغض الطرف عن جمال المناظر .

تستغرق الرحلة من نيودلهي إلى ولاية هيماشال براديش ، حيث تقع مدينة شملا 370 كلم , أي ما يقارب العشر ساعات بالسيارة ، ذلك حسب عوامل الطبيعة، لاسيما المطر ، وتتضمن الرحلة المرور بسفوح الهيمالايا ، حيث هواء الجبال المنعش والطبيعة الخلابة التي تجذب السائح ، الطرق مترامية الأطراف ملتفة ومتعرجة في نظام دقيق يثير الإعجاب ، منحدرة أحياناً ، مرتفعة حيناً آخر وكأن المشاهد يحلق في طائرة من على ارتفاع شاهق ، وقد عملت الدولة على قطع الجبال أو نحتها ، على شكل أنفاق أو ممرات ، مما يجعلها ذات مناظر مبهجة ، كما أن هناك نفق يؤدي مباشرة إلى مدينة شِملا حيث تقطعه السيارات في طريق لا تقع العين فيه إلا على سفوح تتناثر حولها القرى الريفيّة البسيطة ، وسط حقول ممتدة خضراء ، تحيط بها سلاسل جبليّة مهيبة صماء أعالي الجبال ، غابات كثيفة منعزلة ، إلا أن داخلها قرى ومراعٍ وحقول ، وحيث أصوات الشلالات الهادرة ، وتدفق جداول الأنهار المنحدرة من سلاسل الهيمالايا ، وكما يقال فإن منظر الغروب من أجمل المناظر في هيماشال براديش ، لاسيما مدينة شِملا .

ب - الطرق البريّة في الهند بين القديم والحديث

تتمتع شبه القارة الهنديّة بشبكة مواصلات منظمة ، من الطيران الجويّ والسكك الحديديّة ، فضلاً عن الطرق البريّة والبريد والهاتف ، وإن اختلفت الجودة من ولاية إلى أخرى ومن إقليم إلى أخر ، حسب المناطق وعوامل الطبيعة.

يتعرض القادم من الطريق الجويّ ، أو المتنقل بالطريق البريّ داخل الولايات الهنديّة ، للفحص والتدقيق ، وغالباً ما يشعر الزائر للهند بعدم وجود مضايقات ، أو تعقب ، وإن وجدت ، فالضرورة تفرض ذلك لاسيما في الولايات والمدن الساخنة ، ويواجه المسافر براً نقاط توقف عند مراكز ، وبوابات معينة ، هي مداخل ومخارج بين الولايات والمدن الكبرى ، ويدفع السائق رسوم الدخول والخروج حسب الاتفاق معه ، ويثبت الرسم تاريخ خروج السيارة وعودتها والمدة التي ستستغرقها ، وتثبت لوحة السيارة هوية صاحبها ، وإن حاول البعض الاحتيال على القانون أحيانا بتبديل لوحة السيارة ، بحيث

يثبت السائق بأنه من أصحاب الولاية الداخل ، إليها تفادياً لدفع الرسوم ، هكذا يبدو الترابط بين أجزاء الولايات والمدن منظماً قديماً وحديثاً . لقد وجدنا أن هذا الربط المنظم للتنقلات في بلد يشبه القارة ، وتعداد سكانها الكبير ، فضلاً عن كثرة الشوارع والطرقات وتشعبها ، يعود إلى تنظيم وتأسيس قويّ ، منذ عدة قرون [1]، فلقد تحدث ابن بطوطة عند زيارته لأجزاء من الهند في القرن الرابع عشر للميلاد عن تنظيم البريد والطرقات ، أيام بني تغلق .

يتحدث ابن بطوطة عن التنقل والبريد قائلاً «... والبريد ببلاد الهند صنفان ، فأما بريد الخيل فيسمونه الولاق ، وهو خيل تكون للسلطان في كل مسافة أربعة أميال ، أما بريد الرجّالة فيكون في مسافة الميل الواحد ثلاث رتب ويسمونها الداوة والدواة هي ثلث ميل قباب والميل يسمى الكروة وترتيب ذلك يكون في كل ثلث ميل قرية معمورة ويكون بخارجها ثلاث قباب ، يقعد منها الرجال مستعدين للحركة وقد شُدوا بأوساطهم وعند كل واحد منهم مقرعة تبعد مقدار ذراعين بأعلاها جلاجل [2] من نحاس فإذا خرج البريد من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده والمقرعة ذات الجلاجل باليد الأخرى ، وخرج فإذا سمع الرجال الذين بالقباب صوت الجلاجل تأهبوا له ، فإذا وصلهم أخذ أحدهم الكتاب من يده بأقصى جهده وهو يحرك المقرعة حتى يصل الكتاب إلى حيث يراد منه وهذا البريد أسرع من بريد الخيل .

وربما حملوا على هذا البريد الفواكه المستظرفة من خراسان يجعلونها في الأطباق ويشّدون بها حتى تصل إلى السلطان ، وكذلك يحملون الكبار من ذوي الجنايات ، يجعلون الرجل على سرير ويرفعونه فوق رؤوسهم ويسيرون به شّداً، وكذلك يحملون الماء لشرب السلطان ، إذ كان بدولة أباد يحملونه من نهر الغانج [3] وهكذا وكأن التنظيم ذاته لايزال موجوداً ، وإن استحدثت الوسائل والتقنية، تظل الهند بلد

---

[1] كارناتاكا ، بنغللور ، الهند ، فبراير ، 2006م .

[2] الجلاجل : ،هي الأجراس .

[3] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، جزء -2 ، 1430 /2009 ، ص 8 – 9 .

العجائب فالأوتوركشه هي عربة صغيرة تقوم مقام البريد . فهي تنقل أطناناً من الموز من قرية إلى مدينة ، بل من ولاية إلى أخرى ، كما تحمل ما يزيد عن عشرة تلاميذ صغار إلى مدارسهم ، فضلاً عن الدراجات الهوائيّة والناريّة التي كل تحمل أنابيب الغاز وألواح الخشب والزجاج الكبيرة جداً ، بحيث تتوسط البضاعة والسائق والراكب الآخر ، و تبدو أعلى من الدراجة والركاب بكثير ، كما تنقل الدراجات الهوائية ، والعربات التي تجرها الجواميس الحليب في صفائح المعدن أو النحاس ، وبحيث تتدلى على جانبي الدراجة ، وتحمل وسائل النقل تلك حتى ما يشبه جناح الطائرة أو غيرها من مصنوعات ثقيلة ذلك بالقرب من المناطق الصناعية .

أما ما يّتبع عند الوصول إلى نقطة معينة للإقامة فقد وصفه ابن بطوطة قائلاً : «... إذا كتب المخبرون إلى السلطان بخبر من يصل إلى بلاده ، استوعبوا الكتاب وأمعنوا في ذلك ، وعرفوا أنه ورد رجل صورته كذا ولباسه كذا وكتبوا عدد أصحابه وغلمانه وخدامه ودوابه ، وترتيب حاله وحركته وسكونه وجميع تصرفاته ، لا يغادرون من ذلك شيئاً فإذا وصل ذلك إلى ملتان [1] ، وهي قاعدة بلاد السند أقام بها، وينفذ أمر السلطان بقدومه . وما يجري له من الضيافة ويكرم الإنسان ويقدر بقدر ما يظهر من أفعاله وتصرفاته ، إذ لا يعرف المرء هنا بحسبه ولا آباؤه [2] .

يتفق ذلك الوصف الدقيق ، مع ما تتخذ من إجراءات دخول القادم ، المطارات العالمية أو المحلية ، في الهند ودون تدقيق أو شدة ، مع إبراز الجواز والتأشيرة ، أما الطرق البرية ، فلا إجراءات تذكر سوى المعاملة مع صاحب السيارة كما تقدم . لكن عند طلب الإقامة ، في فندق أو سكن ، فلا بد من إبراز الجواز و التأشيرة ، ويربط ذلك مع مراكز شرطة المدينة في أي ولاية من الولايات الهندية ، ولا بد من تحديد الجهة القادم منها والمتجه إليها ، ومن ثم تاريخ مغادرة البلد ، لعل ما تقدم يلقي الضوء على شبه القارة الهنديّة منذ عدة قرون وحتى وقتنا الحالي من حيث النظم

[1] ملتان : هي باكستان .

[2] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، جزء -2 ، 2009/1430 ، ص 9 .

المتبعة ، والإجراءات عند الدخول والخروج حيث التأسّيس على قواعد ثابتة تحفظ القانون والأمن عامة ، وتشعر بالأمان .

جـ - شِملا ، الموقع ، التاريخ

تقع مدينة شملا في مقاطعة جبلية على التلال شمال غربيّ هندستان من جبال هيمالايا ، بين نهريّ (سُتلج) وجمَنة ، وارتفاعها عن سطح البحر ما بين 7,300 قدماً ، 2130 متراً في 317من العرض الشمالي 778 من الطول الشرقيّ ، وهي واقعة على جبل وسط غابة متسعة ، والمقاطعة الجبليّة ، هي هيماشال براديش [1] ، أهم صادراتها الحديد والشمع والعسل والمسك والأفيون والمصنوعات الصوفيّة والقطنيّة .

تم بناء شِملا (سِملا) عاصمة هيماشال براديش في أوائل القرن العشرين، كملاذ للمستعمرين البريطانييّن من حّر السهول ، كانت فيما مضى مكاناً للزهد والعزلة ، كما كانت تقدم مياه الينبوع العذبة للعطاشى والمسافرين، القادمين من جبال الهيمالايا ، لاسيما بعض الجنود البريطانيّين العائدين من الحرب في النيبال عام 1819، حيث عادوا لينشئوا مأوى لهم في الجبال ، وأكواخاً صغيرة ، كما بنوا المنازل.

أمضى الحاكم البريطانيّ العام اللورد ويليام بنتيك صيفاً ممتعاً 1832 ، في شِملا ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت شِملا محطة الهضبة الأكثر فخامة ، حيث جعل منها نائبو الملك بما فيهم اللورد مونتباتن ، عاصمتهم الصيفيّة . لقد عمّر الإنجليز في هذه الجبال أماكن كثيرة واقعة في نقاط من ستة آلاف وثمانية آلاف قدم فوق سطح البحر ، حيث وجدوا هواءً موافقاً لصحتهم كهواء إنجلترا ، وأملوا مجيء وقت تكون فيه الأماكن الصالحة للسكن في هيمالايا ، مأهولة بمستعمراتهم ونسلهم لاتزال الولاية بمدنها الصغيرة ومنتجعاتها محطة تدفع السائحين داخل الهند وخارجها للقيام برحلة إلى شِملا ، ومع أن بريق المستوطنين البريطانيّين ، ونائب الملك

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -10 ، لا تاريخ ، ص 67 .

قد اضمحل ، إلا أن الهواء لطيف وعليل ونقيّ ، ولا يـزال جـو البهجـة والمـرح في القريـة الإنجليزيّـة الهادئة موجوداً ويجذب من يميل إلى تسلق الجبال المحيطة .

يستعيد الزائر لمدينة شِملا النزهات الرياضيّة الجميلـة في ذهنـه ، فبيـنما يـسير الـسائح عـلى جانبيّ طرق مشجرة خضراء ، وسفوح مترامية الأطراف ، ويرى المكاتب الإداريـة القديمـة القائمـة عـلى خط التقاطع الأعلى بين مسطحين متحدرين ، المكان الذي يلتقي عنده في الطرف الشرقيّ من الطريـق المشّجر يمكن رؤية مسرح الدراما ، الذي كان فيما مضى مقراً لشركة شِملا لهواة الدراما التي تعـود إلى عصر الملكة فيكتوريا والأوبرا التي تعود إلى عصر الملك إدوارد.

يصل خط التقاطع إلى ما بعد الكنسية الإنجليكانيّة الحديثـة ، حيـث الأجـراس مـصنوعة مـن نحاس المدافع التي تم الاستيلاء عليها من السّيخ أثناء الحرب معهم ، يقع مسكن نائـب الملـك ، عنـد طرف التقاطع ، حيث مجموعة من المباني الضخمة تعود إلى النبلاء ، وهـي حاليـاً مؤسـسة للدراسـات العليا .

تعد وسيلة التنقل سابقاً بـين الطـرق والممـرات الجبليّـة في المنـاطق الـسكنيّة الركـشه ، عربـة صغيرة بإطارين تتسع لشخص واحد يجرها راجـل واحـد يـشّد بهـا ليرفعهـا مـن عـلى الأرض المكـسوة بالرخام الرماديّ اللون ، والوجهة زيارة نائب الملك في إحدى مآدبه ، حيث يتصدر القاعة الكبرى الموقد ، ويزين السقف بزخارف مميزة ، أما السلم في هذا المنزل ، فيـؤدي إلى سـطح أو شرفـة يمكـن رؤيـة منظر جميل عام للمدينة والوادي من خلالها[1] .

ولا تزال شِملا تبدو كقرية هادئة أكثر منها مدينة ، ولا يزال الطابع البريطانيّ التقليديّ ، يطغي عليها ، فالطرقات جبلية ضيقة متعرجة لا يزال لونها رمادي كما تقدم ، وإن اختفى الرخام أحياناً ، لم تنقرض الركشه ، إلا أن حقائبك , يحملها الحمالون عند نقاط التقاطع إلى الفنـدق , فـالطرق ضـيقة لا تسمح بمرور السيارات , التي لا بدّ من وقوفها في ساحة المواقـف أو عنـد نقطـة معينـة ، وقـد يحمـل الحـمال أكـثر مـن حقيبـة ثقيلـة ، وقـد تـستغرق العمليـة للوصـول إلى الفنـدق مـن خمـس إلى

[1] هيماشال براديش، شِملا، الهند، إبريل، 2006

عشر دقائق ، و تجد الكثير من هؤلاء الحمالين مدربين على حمل إسطوانات الغاز ، والألواح الخشبية والزجاجية وغيرها الكثير ، وقد أكسبتهم الطبيعة الجبليّة و الجو المعتدل الصحة والنشاط والقدرة على حمل الأثقال ، والسير مسافات بعيدة وارتفاعات عالية وراء قطعان الماشية من أغنام وخيول ، فهم رعاة يتميزّون بالنشاط ولا تزال بيوت المدينة ذات طابع تقليديّ، فهي أكواخ تتناثر على الهضاب،وسفوح الوديان ، ولا تتعدى مباني الفنادق الطابقين ، وهي ذات طابع تقليديّ ، فبعضها يعود إلى مائة عام أو يزيد ، وبها ذات المواقد ، وبعض الأثاث القديم من ستائر ، ومقاعد خشبية ، فضلاً عن طراز السقوف والنوافذ . وتتواجد في داخل المدينة المباني السكنية ، وتنقسم شِملا حالياً إلى قسمين القديمة والحديثة[1] .

د – سكان شِملا

سكان هيماشال براديش يّتميزون بما يّتميز به عامة سكان الهيمالايا ، فهم قبائل مختلفة الجنس منها الهنديّ والمغوليّ ، وسكان الأودية التي ارتفاعها أكثر من ثمانية آلاف قدم هم تبتيّون ويؤلفون خليطاً من الأجناس الآريانيّة مع المغوليّة بقلة أو كثرة ...» [2].

ويمكن ملاحظة الخليط بين الأجناس في ولاية هيماشال براديش ، حيث الوجوه ذات اللون الأصفر والشعر الأسود الحاد وهم خليط من الصيّنين والتبتييّن والآرييّن ، ونادراً ما تجد الوجه الجنوبيّ الهنديّ ، بينما تجد الجنس المغوليّ الآريّ المائل إلى السمرة والعيون ذات اللون الأخضر أو الأزرق .

وما يميّز السكان في القرى هو الأزياء الزاهية ذات اللون الأحمر المطرز والمذهب ، وأصولها التبت والصين ، فضلاً عن إكسسوارات اليد والرأس والرقبة والأساور الفضيّة والنحاسيّة والعقود ذات الخرزات الكبيرة ، كما تتميز هيماشال بقبعات شتويّة وهي منتجات يدوية تنسج من الصوف ، و يرتديها الرجال ، وغالباً ما

[1] هيماشال براديش شِملا ، الهند ، إبريل ، 2006م.

[2] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة ، دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -7 ، لا تاريخ ، ص 2.

نجد النساء وهن يرتدين الأزياء الزاهية الحمراء والسوداء المقصبة ، يعرضن المنتجات اليدوية من شالات وقبعات وأدوات الزينة الفضّية ، وقطع الأثاث القطنيّة والصوفيّة مثل المفارش ، والأغطية . كما تباع الخناجر الفضّية التقليّدية والسكاكين والفؤوس ، حيث يحول المواطنون في القرى القريبة من الصين الحديد إلى حديد مطاوع تصنع منه هذه الأدوات .

تستخدم في الكثير من المنازل ، مواقد النار التي تشعلها الأخشاب وجذوع الشجر التي تقطع من الغابات وتخزّن ، لفصل الشتاء ، والكهرباء قليلة في تلك المناطق ، بينما لا أثر لمكيفات الهواء ، وإن وجد الموقد الكهربائيّ فغالباً لا يفضل استخدامه توفيراً للطاقة والمال ، ولاعتياد الأهالي على الوسائل التقليديّة .

تساهم ينابيع المياه العذبة الصحّية الساخنة والعيون الطبيعيّة ، في توفير أماكن جماعية عامة للاستحمام ، وسط المدينة أو القرية وحيث السوق بمتاجره ومحلاته ، نجد على البرك المائية النساء يغسلن الثياب بأيديهن وحيث مكعبات الصابون التي تفرك بها الثياب ، كما تغسل القدور وأواني الطعام ، بينما هناك قسم لاستحمام الرجال ، وآخر للنساء ، ومع وجود الحواجز إلا أنك قد تشاهد من يستحم ولا حرج في الهند ، حيث الأطفال شبه عراة .

هـ - أبرز المنتجعات والمعالم حول شملا :

تتميز شملا وما حولها من منتجعات ، بالمنحدرات الرائعة التي تتيح للسائح مشاهدة مناظر الهيمالايا ، بواسطة منظار من نقطة في منتجع كوفري ، وللوصول إلى تلك المنطقة لابد من استئجار بغل جبليّ يسير ببطء وسط طريق ضيقة جداً وملتوية ذات منحدر ومرتفع ، مليئة بالصخور الجبليّة ، مما يجعل الرحلة تستغرق على ظهر البغل ما يزيد عن النصف ساعة .

أقيمت على مقربة من مدينة شملا ملاعب الجولف ، فترة الاحتلال البريطانيّ ، وهي منسّقة ومنّظمة ، وتشرف على مرتفع يطل عَلى أجَمل المشاهد والسفوح الخضراء ،ومنظر الغروب من أجمل المناظر في شملا ، لاسيما طريق الملاعب. تطل الملاعب من إحدى الجهات على قرية كنور ، التي يستغرق الذهاب

إليها بالسيارة سبع ساعات ، وهي قرية باردة جداً قريبة من التبت وتغطيها الثلوج ، سكانها من البوذييّن الذين يعتمدون على ما تقدمه لهم الأرض من محاصيل فضلاً عن المواشي ، فهم يحرثون الأرض ويزرعونها ، ووسيلة تنقلهم العربات التي تجرها الثيران أو البغال أو الخيول ، يعد معبد تارد يفي الدينيّ القديم من المعابد الشهيرة في شِملا ، فضلاً عن معبد هايمباد ديفي ، وقلعة نجار ، وتبت سليت ، ونالدهير ذات الطبيعة الساحرة والمناظر الجبلية الرائعة ، وهي تؤدي إلى نهر التبت . كما تقع مانالي على الوادي خلف كولو بين غابات جميلة من أشجار الأرز العالية وأمواج نهر ألبيز ، تقدم فرص فريدة للرحلات القصيرة وتسلق الصخور وصيد الأسماك في نهر ألبيز ، والتزلج في روهتانج . كما يمكن تأمل مناظر الشلالات العالية جداً والضخمة المتدفقة من قمم الجبال الثلجيّة ، وذلك في شهر مايو ويونيه ، أما ساحة التزلج، فهي تعّج بالهواة ومحبيّ رياضة التزلج ، فضلاً عن وجود عربات صغيرة ، تشبه الجرارات الزراعية تأخذ الزائر في جولة عبر جليد من الثلج ، قرابة النصف ساعة .

تذكرنا هذه المناطق لاسيما ذات الشلالات الهادرة ، بوصف ابن بطوطة لنهر تصبّ فيه مياه شلالات على حشائش مسمومة ، فتكون خطراً على من يشربها ، فمن بين تلك الشلالات الجميلة شربنا ماءً عذباً بارداً ، ثم تعرضنا لما يشبه الإختناق في مجرى التنفس ، وارتفاع في الحرارة ، وجفاف في الحلق ، واستمرت تلك الأعراض فترة طويلة ، وحمدنا اللـه على الشفاء بعد ذلك ، ولا نعلم لماذا ربطنا بين ذلك وما أشار إليه ابن بطوطة ، فربما يكون الأمر مشابهاً .

أما أبرز ما يّميز أسواق الولاية الشعبيّة ، وهذا ما يمكن ملاحظته عند المدخل والمخرج ، الأدوات التقليدية المصنوعة من منتجات الغابات ، أي الأشجار وجذوعها، وأوراقها مثل مكانس القش القديمة والسلال بمختلف أنواعها ، وأعواد الأخشاب ، فضلاً عن البهارات والفواكه المجففة والشالات والقبعات أيضاً . هكذا

انتهت بنا هذه المحطة إلى مدينة أخرى من مدن الشمال إنها مدينة شانديغار عاصمة البنجاب و هيريانا[1].

2 – ولاية البنجاب وعاصمتها شانديغار في الشمال

أ – ولاية البنجاب ، الموقع ، التاريخ

يستحق تاريخ البنجاب الوقوف عنده ، لذلك ارتأينا البحث عنه ، من حيث الاسم ، الموقع ، التاريخ والمعتقد . «. وتعني البنجاب « الخمسة الأنهر »[2] في بلاد القسم الشماليّ الغربيّ من الهند ، يحدها شمالاً كشمير وشرقاً جبال هيمالايا (حيملايا) وولايات شماليّة غربيّة , وجنوباً بهاولبور , والسّند جنوب غرباً وغرباً بلوخستان وأفغانستان . أكثر أراضي البنجاب سهل متسع منحدر إلى جهة الجنوب الغرب من مرتفعات كشمير وهذا السهل يسقيه نهر السند وخمسة أنهر تصب فيه ، والهواء في السهول جاف وحار جداً ...»[3].

تنتج البنجاب معادن ، وأهم حاصلاتها الحنطة والسّكر والأرز والشعير والخردل والقنب ... وأهم منسوجاتها القطن والصوف والحرير .

حُكم البنجاب 327 قبل الميلاد كان هندياً ، ونحو 1000 سنة للميلاد كانت ملتان أي باكستان ولاية إسلامية ، ثم غزاها محمود الغزنويّ عن طريق أفغانستان وفتح البنجاب ، التي خضعت لرؤساء كثيرين لاسيما الأفغان كما غزاها تيمورلنك ، ثم سلالته المغوليّة ، ظلت البنجاب ميداناً لثورات عظيمة 1709 – 1711 ، حيث ثار السّيخة بسب اضطهاد الحكام المغول لهم ثم أخمدت الثورات ... إلا أن شوكة

---

[1] هيريانا: ولاية من ولايات الشمال في الهند ، قريبة من البنجاب ، عاصمتها شانديغار أيضاً ، حيث أن شانديغار ، عاصمة لولايتين ، بسبب تقسيم البنجاب .

[2] الأنهار ، أنظر ، الأنهار الخمسة ص 66.

[3] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -5 ، لا تاريخ ، ص 605 .

السّيخة اشتدت وقام أحد قوادهم بالإستيلاء على أكبر قسم من البنجاب 1809 ، هذا القائد عقد حلفاً مع أحزاب السّيخة المختلفة ، وانتصر على الجيوش الإنجليزية 1839 وسيطر على أجزاء من البنجاب ، إلى أن تمكّن الإنجليز من السّيخة 1845 فهزموهم ، وأصبح هذا القسم من الأملاك الإنجليزيّة ، وإن لم يستقر ...»[1].

ب – لفظة السّيخ و(السّيخة)

السّيخ ، لفظة هنديّة معناها تلامذة ، وموطنها البنجاب ، ومؤسّسها ناناك الهنديّ ، الذي يعتقد بوجود الله وجعل دينه مزيجاً من الإسلام والبوذيّة ، أساسه التوحيد الخالص لله والإخاء بين البشر في تعاليم السّيخة . زار المؤسّس للسيخة الهند الشرقيّة وسيلان وبلاد فارس والعرب ثم خلفه ابنه غور و إنغاد ، فكتب التفاسير على مذهب أبيه وخلفه أمر داس ورواس الذي اشتهر بالتقوى وحسن الخلق ، خلعه والده أرجون ، الذي استقر في أمريتسار 1581 م وجمع تعاليم السّيخ في كتابه (آدي غرانت) أي الكتاب الأول ، حدثت بين المسلمين والبراهمة والسّيخ المشاكل ، فشعر السّيخ بالظلم والملاحقة ، فانقلبت أحوالهم فأطلقوا لحاهم وأطالوا شعورهم ، بعد أن قبض المسلمون على أرجون ، وطردوا السّيخ إلى الجبال الشماليّة المجاورة من لاهور .

أحدث قائدهم بعد ذلك ثورة منادياً بالاستقلال ، ودعا جنوده بأن يكونوا محاربين ، فأطلق عليهم اسم سنغه ، وتعني السنغ السّبع أي الأسد , أما السّيخ أو السّيخة فهي تعني التلميذ . ويطلق عليهم البعض سردار كلقب ديني ، إلا أن سردار تعني الحاكم ، وقد أخذ السّيخ هذه اللفظة من أقوام الهند (الجاته)، لا تزال صفات السّيخ الأصلية ثابتة فيهم ومن صفاتهم الطول والرقة والسّمرة ، وهم يحسنون الخدمة

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -5 ، لا تاريخ ، ص 606 .

الجندية ومن طباعهم الجدّ والإخلاص وحبّ الألفة والملاهي ولا تزال اميريتسار مركزهم الدينيّ [1] .

يعرف السّيخ بالعمامات الملونة البراقة التي يرتديها الرجال ، فضلاً عن المهارات القتاليّة ، ومواهب قيادة السيارات ، والميكانيكا ، والتجارة ، ولا يزال في عقيدتهم جزء من الهندوسّية ، بينما يرفضها جزء آخر ، وكذلك الأمر مع الديّن الإسلامي.

لا يزال السّيخ يعملون بجد وتفان وإخلاص ، فضلاً عن تميزهم بحسن الخلق والمعاملة ، فهم يثقون بمن يتعامل معهم و يأمنونه على أموالهم ، كما أنهم يعملون في مراكز الشرطة والجنديّة والتجارة .

ج – تمرد السّيخ

ظل السّيخ يشعرون بأن الهندوس يهيمنون عليهم لذا عادوا إلى التصادم في السنوات الأخيرة مع الحكومة الهنديّة المركزيّة ، وطلب السّيخ اعترافاً أكبر بعقيدتهم ، وطالب البعض بأن ينفصل البنجاب موطن السّيخ عن الهند ، بحيث يصبح دولة مستقلة ، ذلك بعد تقسيم إقليم البنجاب ما بين الهند وباكستان ، مما شّكل تحدٍ للحكومة الهنديّة ، فالبنجاب تعد أغنى ولاية هنديّة ، وأخذ السّيخ يطالبون بأرض الطاهرين ، التي يسمونها (خاليستان) أو بمعنى أرض الخلاص، مما سّبب الكثير من القتلى بسبب قضية الاستقلال ، وتعمق الشعور بالانفصال لدى السّيخ حينما، أرسلت السيدة أنديرا غاندي 1984 الجيش إلى أعظم معبد للسّيخ ، الهيكل الذهبّي في أمريتسار ، و تسبب ذلك في مقتل السيدة أنديرا غاندي فيما بعد ، وقد عملت الحكومة بعد ذلك على عدم إزعاج أصحاب الديانات أو المجموعات الدينيّة ، كي لا تزداد حركات المطالبة ، بالاستقلال مما ساعد على هدوء الأوضاع والاستقرار ، حيث اندمج السّيخ بشكل أوسع في الحياة السياسيّة والاقتصاديّة ، فضلاً عن حرية أداء طقوسهم وتقاليدهم التي يؤمنون بها .

---

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -10 ، لا تاريخ ، ص 302 – 303

د - شانديغار ، أهم معالمها

تقع شانديغار عاصمة البنجاب على طريق الرحلة من شِملا ، أو منتصف الطريق إلى كشمير ، و تستغرق الرحلة من شملا إلى البنجاب خمس ساعات بالسّيارة 238 كلم ، وبما أن البنجاب من أغنى ولايات الهند ، فإن أرضها تتميز بالسهول الخضراء الواسعة والحقول الممتدة ، فأول ما نراه حقول الأرز والقمح والشعير ، التي تسقى بمياه الهيمالايا المنحدرة من الشمال حيث تصّب الأنهار في البنجاب ، كما يزرع في البنجاب نخيل الرطب ، الذي لا يزرع في معظم الهند ، يعمل الفلاحون على امتداد الحقول فهم يحرثون الأرض , ويجنون المحاصيل , ومعظم السّكان هم من السّيخ [1]

صممت مدينة شانديغار عام 1950 ، وقد صممها مهندس معماريّ سويسريّ ، فرنسي يدعى لوكوربوزيي ، وقد استقدمته الحكومة الهنديّة لإنشاء مدينة جديدة إثر تقسيم البنجاب في وادٍ عند سفح سلسلة جبال الهيمالايا ، كما ساعده مهندس بريطانيّ ، ماكسوال فراي ، وهو من صمم معظم المنازل .

أنشأ لوكوربوزيي المباني الرسّمية ووضع تصميم الطرقات العامة والواسعة على جوانبها الأشجار المستوحاة في قسم منها من تصميم نيودلهي ، وتبدو شانديغار ، مدينة منسّقة ، غير مزدحمة أو مكتظة كما أن مبانيها لا تتميز بالعلو الشاهق .

يضم مبنى المجلس النيابيّ ، جناح أمانة السّر الإدارية ، والمحكمة العليا ، ذات السراديب ، ومنزل الحاكم ، وهو صغير و تتميز المدينة بألواح كبيرة من الإسمنت تشبه حجارة الصوان المشغول ، ويمكن رؤيتها من على الجبال القريبة، وتتميز الأبنية بالخطوط الهندسيّة والأشكال غير المنتظمة والألوان الساطعة .

تعّد حديقة الصخور من المعالم البارزة في شانديغار ، فهي مكونة من كتلات كبيرة من الإسمنت ، على شكل أشجار ونباتات ، وبالقرب من الحديقة توجد بحيرة سوخنا الاصطناعيّة ، والتي بها قوارب للقيام بنزهات قصيرة في البحيرة. تعّد حديقة الورود من أجمل الحدائق في الولاية فهي متنزه، منسّق ومنّظم,

[1] البنجاب، شانديغار، الهند، إبريل، 2006

يشعر بالبهجة والراحة ، ويرتادها الكثير من الزوار الذين يمارسون رياضة اليوغا، لاسيما في الصباح الباكر [1].

تشتهر الولاية بوجود مزار السّيخ والهيكل الذهبي في مدينة أميريتسار ، فالهيكل مخصص بغوقند سّنغ آخر الغوريّن ففي وسط الهيكل يوجد كتاب الشرائع التي وضعها ناناك كما ذكرنا سابقاً . تعد مدينة أميريتسار أكبر مركز للسّيخ «... بيوتها ظريفة ، يطيف بها سور من الآجر محصن بالبروج ، وحولها خندق عميق ومن عادة تجارها أن يلقوا أمام مخازنهم قطعاً من الملح لتلحسها البقرة التي يربونها في المدينة...»[2] ولا تزال مدن ولاية البنجاب وقراها البعيدة عن المدينة على هذه المواصفات ، والشكّل التقليديّ .

هكذا بدت بعض من معالم الهند من حيث الطبيعة الجغرافيّة والتاريخ والحضارة فضلاً عن لمحات من الثقافة والحياة بشكل عام في أجزاء من الشمال ، وسوف نشير في الفصل التالي إلى معالم شبه القارة في أجزاء من الغرب .

[1] البنجاب، هيريانا، الهند ابريل، 2007

[2] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -10 ، لا تاريخ ، ص 374

الفصل الثالث

ولاية راجستان ، جيبور ، جادبور وما حولهما غرباً

أ – ولاية راجستان ، الموقع التاريخ

كان يطلق على راجستان فيما مضى ، راجبوتا ، وانقسمت أيام حكم الإنجليز إلى سّبع وكالات لتسهيل مداخلاتهم وضبط أحوالهما «... أكثر راجبوتا في الجنوب الغربيّ تصّب فيها مياه نهر كان يسمى لوني المنحدر من سلاسل الجبال الجنوبيّة مكوناً نهر يسمى كوتش ، راجبوتا عبر هذا النهر في غالبها صحراء رمليّة تؤلف جادبور ، ويجتاز هذا النهر جسالمير ، التي كانت الحكومة الغربيّة من حكومات ، راجبوتا ، والمدن في هذه المفازة تقع في واحات بعضها أجمل محال الهند وأطيبها هواء . الأجزاء في الشمال قاحلة جداً ، أما الجهة الشماليّة الشرقيّة والشرقيّة ، لاسيما أجمير فهي أكثر خصوبة ويسقيها نهر يسمى شومبول وفروعه وسائر فروع جمنة ، وشمال أجمير بين جيبور ، وجادبور بحيرة سامبهور المالحة ، ويستخرج منها قدراً وافراً من الملح ، وكان في راجبوتا ماء كثير من البحيرة الصغيرة ومعظم الأقاليم والمدن في راجبوتا من الراجبوت ، فضلاً عن جماعة يطلق عليها الغاتة ، وتونك من المسلمين . يشرف على كل ولاية فيما مضى من الأقسام والوكالات السياسيّة الإنجليزيّة ، وكيل إنجليزيّ على صلة بالوزراء المحليين ، ولهم في كل من أجمير وجبل أبو، رئيس إداريّ وسياسيّ يعينه الملك ، وتحت رئاسة وكيل إنجلترا، مجلس وكلاء لتسوية الخلاف بين حكومات أو وكالات رجبواتا ، والقوة العسكريّة في الأقاليم تتألف من مشاة وفرسان من الأهالي المحليّن , فضلاً عن عدد من الضباط الإنجليز , وكما تقدم أعداد الراجبوت تفوق أعداد السكان الآخرين ، ويدعوّن بأنهم من الصنف الكشتري الهنديّ ، ويبدو أنهم قطنوا البلد منذ أقدم الأزمان التاريخيّة ، ودافعوا المسلمين حين حملوا عليهم ومع ذلك خضعوا للملوك الأولين ولم يكونوا يعارضونهم في عبادتهم . انحاز الراجبوت إلى المهراته وعاونوهم ، حينما ظلمهم الملك المغوليّ أورنكزيب ، وخلع الراجبوت عن طاعة المسلمين المغول والمهراته 1761 حينما غارت على البلاد جيوش السّلب والنهّب ، و تعرضوا للغارات والغزو في أوائل القرن التاسع عشر ، فتدخلت إنكلترا لمنع الخراب وتدمير البلاد ، وهكذا صار أعظم أقاليم راجبواتا إلى

تبعية إنكلترا برضى حكامها بعد أن طردت اللصوص والمخربين مـن الـبلاد ...»[1] ، وأطلـق عـلى هـذه الأقاليم بعد استقلال الهند راجستان وهي ولاية تضّم المدن والأقاليم الكثيرة .

يطلق على راجستان أرض المهراجا الكبير ، بما في ذلك الصحراء ، وهي من مناطق الهنـد الأكـثر رومانسية ، و تمتد من دلهي حتى السند الباكستانيّ والبنجاب ، وقد بنى المحاربون الراجبـوت حـصون صحاريهم وجبالهم . كما بنيت قلاع القصر من حجر الـصّوان (الغرانيـت) وقـد جلـب مـن الهـضاب المجاورة ومن نفس الرخام الذي استعمل في بناء تاج محل .

تقع المدن الكبرى في راجستان وهي جادبور جسالمير ، على طرق القوافـل مـن وادي الهنـد إلى صحراء تهار ، وهذه الأرض هي أرض رعاة البقر ، وتنحـدر أصـول الراجبـوتّين مـن الغـزاة المعارضـين ، لموجة غزاة أخرى من الأتراك ، الأفغان، المغـول ، فهـم أي الراجبـوت يعـدون مـن الـسلالات الحاكمـة الارّيانيّة ، إلا أنهم يفتخرون بانتمائهم إلى طبقة المحاربين الكشتارية ، التي صنفوا إليها [2] .

ب – مدينة جيبور ، تاريخها ، أبرز المعالم

تستغرق الرحلة إلى مدينة جيبور في راجستان ، من نيودلهي خمـس سـاعات بالـسيارة تقطـع فيها ما يقارب 258 كلم متر ، ينبئ جو الصحراء بالجفاف والحرارة كما يبدو جو الصحراء من المنتجات الحجرية المجلوبة من الجبال والهضاب ، والتي تصنع منها التماثيل والمجسمات ، فـضلاً عـن مكعبـات الرخام ، والبلاط والسيراميك ، أما الجمل فهو علامة من علامات الصحاري في راجستان ، فـلا عجـب أن تلاحظ عربات خشبية تجرها . جِمال، محّملـة بمكعبـات الأحجـار والـصخور، فـضلاً عـن الأخـشاب. و

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد -5 ، لا تاريخ ، ص 555-557 .

[2] راتب الزّيات ، عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعيّة ، لا طبعة ، جـزء -1 ، 1996 ، ص 108 .

تتناثر محطات الإستراحة العامة على امتداد طريق الرحلة، وهي أشبه بالمقاهي ، والمطعم والبقالة في ذات الوقت، ومما يلفت الانتباه النساء والفتيات الراجستانيّات وهن يرتدين أزياء راجستان ذات الألوان الفاقعة الحمراء والصفراء والبنفّسجية، وذات القميص الصغير والتنورة الواسعة جداً، والمتصل بها مايشبه الغطاء الواسع أيضاً[1]

يغلب اللون الزهرّي المميّز، على المنازل والمباني في جيبور وكثير من المدن والقرى الراجستانيّة فهو يستقبل الزائرين، وكأنه يحيهم ببهجة وسعادة، تسمى جيبور عاصمة راجستان بالمدينة الزهريّة، بسبب الحجر الطوب الزهريّ الأحمر، الذي جلب من الهضاب وبنيت به ملاعبها وقصورها وقلاعها، سطحها مستوٍ إلا جهة الشمال والشمال الغربيّ، وهي من أظرف مدن الهند العليا وأرضها الكبرى تتقاطع بزوايا قائمة، ويقطعها أزقة أصغر من الأولى، ووسط المدينة المقام الملكيّ، ويوجد بها المرصد الفلكيّ الكبير والترسانة، وقد خطط هذه المدينة جاي سينغ في القرن الثامن عشر، عِوضاً عن آمبر (عمبر) التي كانت العاصمة القديمة.

تم بناء عاصمة راجستان وفقاً لمبادئ علم التنجيم كما تقدم فالراجا سينغ، وهو عالم النجوم وزع أدوات التنجيم في جنوب الهند ليراقب السماء من خلالها، ورأى أن الوقت المناسب لينقل عاصمته من آمبر هو 17 نوفمبر 1727 كمبشر بالنجاح، وصممّت المدينة وفقاً لأوضاع النجوم والكواكب.

يعد المرصد جنتر، من أبرز معالم المدينة، والذي يضفي كما يرى البعض جواً خفياً مع لون عقارب الساعات الشمسيّة، ويقع مباشرة إلى الجهة الجنوبيّة من المرصد قصر المدينة بباحاته وطبقاته السبّع المصممة رمزياً. يوجد داخل المبنى متحف يعطي انطباعاً عن حياة وعظمة أمراء المهراجا، ثيابهم الفخمة، سيوفهم، وبنادقهم المرصعة بالجواهر، فضلاً عن الهراوات العظيمة المسّقفة الجهتين، إضافة إلى الأواني، والمقاعد و الأطقم الفاخرة في غرف الطعام والنوم، فضلاً الأدوات الموسيقيّة من التراث الهنديّ ومخطوطات باللغة العربيّة والأورديّة والهنديّة والإنجليّزية، ومجموعة من المصاحف الشريفة، ومخطوطات إسلاميّة، ويوجد بين التحف ، جرّة معدنية ، أو خزان ماء ، وقد حملها المهراجا معه في إحدى رحلاته إلى بريطانيا، حيث ملاءه من الهند، لأنه لا

[1] راجستان ، جيبور، الهند، إبريل، 2007

يريد أن يشرب من الماء في بلد الإنجليز أو يستخدم أدواتهم، مما يوضح أن الهندوس، لاسيما طبقة البراهمة، لايتناولون الطعام في أطباق استخدامها الغير، كما لايستخدمون أدوات الآخرين، بل يخصصّون أطباقاً للغرباء، وتلك اعتقادات وطقوس لها صله بالهندوسّية وطبقاتها، وسوف نشير إليها في فصل لاحق.

يطل على الشارع وسط المدينة قصر الهوى أو هوى محل، وهو مقصورة ملكيّة كبيرة مؤلفة من خمسة طوابق، تستطيع السيدات الأميرات الجلوس فيها ومشاهدة مرور المواكب أثناء الاحتفالات وتعبرُ الشرفات البارزة، عن طابع جيبور الخاص إذ يمثل لون القصر الزهريّ الحجر الأحمر الرمليّ، الذي بسببه أعطيت المدينة هذا الاسم، ولا يتغير اللون من فصل إلى آخر بل حسب ساعات النهار فهو زهريّ ثم عنبريّ اللون، فبرتقاليّ ناصع وباهت بلون (أكسيد الحديدك). وذلك حسب انعكاس أضواء شمس الصباح فالظهيرة ، ثم الغروب [1]

تقع قلعة آمبر على بعد 9 كلم شمال شرقيّ جيبور على هضبة تشرف على ممر ضيق وقد قدمت أهمية عسكريه للمدينة والمهراجا، إلا أنها لم تكن مناسبة للمدينة الموسّعة، يمّر الطريق صعوداً إلى القلعة، عبر مناظر راجاستانيّة تقليديّة، فالهضاب تحيط بها بحيرة مواتا، حيث الخيول والمواشي ترعى أو تغفو بكسل تحت أشعة الشمس. كما تمر الجمال أحياناً وكانت في وقت من الأوقات وسيلة نقل هامة، ولا يزال الجمل يستخدم للنقل ناقلاً حمله على خشبة مثبتة بإطارات قديمة. تضم قلعة آمبر القصور الملكية، بغرفها وشرفاتها ونوافذها، وممراتها ومخابئها وسلالمها الأرضيّة، وتتهادى الأفيال المزينة بالأعلام والأقمشة المطرزة الزاهية وسط باحة القلعة ويستقلها السائحون للمرور عبر القلعة وطرقاتها.

كما يمكن الوصول إلى حديقة كبيرة فيها حشود من القرود، عن طريق بوابة الشمس، ويمكن مشاهدة القرود الآسيويّة الطويلة الذيل، ويمثل قصر المرايا في هيكل كالي الألوان الراجبوتيّة الوهاجة التي تغطى الجدران باللون الأخضر والبرتقاليّ والزجاج الأرجوانيّ ، بينما تزين السقوف بآلاف المرايا المتصلة ببعضها.

---

[1] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، جزء -1 ، 1422 – 2002 ،ص 114-113.

تجذب قاعة السرور، ذات الأبواب المطعمة بالعاج وخشب الصندل، المشاهدين إلى قصر كالي وكالي زوجة شيفا عند الهندوس، كما أن المياه في داخل قاعة السرور قد سحبت من السّطح بواسطة شلال صناعيّ ومن الرخام الأبيض بينما تتسلل نسمات الهواء العليل خلال شعيرات من الحجر المنحوت بالإزميل، لقد صمم جاي سينغ المدينة على محور من مدخل الشمس من الجهة الشرقيّة حتى مدخل القمر غرباً. وهو الشارع الرئيسيّ، الذي أصبح حالياً يعج بالحركة والنشاط[1].

جـ- قرية جنتر منتر

تعكس قرية جنتر، طبيعة الشعب المرحة وبساطته، وحبه للحركة والميل للنشاط والخفة، وتذوق الموسيقى وتعد قرية جنتر منتر وهي على إسم المرصد الفلكيّ ، متنزهاً عاماً تبدو فيه عروض مسائية، تقدم فيها أنواعاً من التراث والثقافة الراجستانيّة، الهنديّة بشكل عام. تشمل العروض، رقصات شعبية راجستانيّة ممتزجة بموسيقى كوجراتيّة، باكستانيّة. فضلا عن نماذج تمثل قرى وبيوت راجستان لاسيما الصحراوية منها، وما يستخدم من مصابيح إنارة وسجاد أرضي ومقاعد خشبية تعكس التراث الراجستاني.

كما يمكن للزائر أن يقف على العادات الراجستانيّة الهنديّة، لاسيما قراءة الكف فضلاً عن عادة وضع الحناء، وهناك قسم مخصص لوجبة العشاء التقليديّة الهنديّة في راجستان، فهي وجبه نباتية تتكون من الأرز، والسامبا، والكاري والخضار، وأنواع من الخبز الهنديّ .

[1] المؤلف مجهول، دليلك إلى الهند، بيروت، مطبعة الدار العربيّة للعلوم، الطبعة 1، جزء -1، 2002/1422، ص 113-114.

أما العربة التي تجرها أبقار وحشية أشبه بالثيران، فيمكن أن تقوم مع صاحبها، بجولة كاملة بحيث تلقي نظرة عامة على القرية، ويشعرك سائق العربة بحسن الضيافة والمرح، فأبرز ما يميزه الظرف واللطف[1].

هكذا انتهت الجولة ما بين معالم راجستان، المدينة الزهريّة المسّورة، وما حولها لنبدأ بحثاً عن معالم مدينة راجستانية أخرى، إنها جادبور.

د- طريق جادبور أوديبور

تستغرق الطريق إلى جادبور من أوديبور خمس ساعات بالسيارة، تمر خلالها على طرق وقرى، تلفها أشجار لا مثيل لألوان أوراقها وزهورها وأشكالها، حيث يميل لون أوراق الأشجار إلى أحمر برتقاليّ ، وتحتل حقول الأرز والقمح وقصب السّكر مساحات واسعة ، تتناثر في ولاية راجستان الجبال والهضاب التي تحيط بالمنطقة ، وتتحول المساحات إلى واحات خضراء وطرق رمليّة صحراوية أحياناً، وبراريّ خضراء ، وينتشر المزراعون والرعاة في البراريّ ووسط الحقول، يحرثون الأرض ، ويحصدون المحصول ، فضلاً عن جمع أعداد القشّ وتكديسها على شكل كوم صغيرة، ويرعى البعض المواشي ، فالحقول والمراعي لا تخلو من الأغنام والجواميس والأبقار، لاسيما الوحشيّة منها ، يتخذ المزراعون والرعاة جانباً من الطريق، ليتناولوا وجبة الإفطار المتأخرة، أو وجبة الغداء.

حينما تصل إلى الفندق بعد رحلة طويلة ممتعة، تستقبل غالباً في راجستان بوضع عقد من النسرين أو الياسمين، وأحياناً زهور صفراء وحمراء، حول عنقك، فضلاً عن إشارة الهندوس الحمراء التي توضع على الجبهة، ودون حرج يمكنك رفض العلامة، وتقبل الزهور.

[1] راجستان ، جيبور ، الهند ، إبريل ، 2007م.

2- مدينة جاد بور (جود هبور)

أ- موقع جادبور، الولاية، التاريخ

كانت جاد بور أو جود بور (جود هبور) القرن الخامس عشر ولاية من أكبر الولايات الوطنيّة الراجبوتيّة في الهند «... وكانت تسمى مروار، واقعة بين ْ4312 وْ7402 من العرض الشماليّ وْ047 وْ5237من الطول الشرقيّ ...، وأهم حاصلاتها القمح والقطن، الذي قد يتلفه الجليد في ليلة واحدة وتكثر بها الجمال والخيل والماشية والغنم والحيوانات البريّة والحيات حتى يلزم الأهالي أن يلبسوا أحذية سميكة للوقاية منها وكثر بها الملح ويستخرج الحديد وبها الكثير من الحجر الأحمر الصالح للبناء ويصنع فيها أنواع كثيرة من المنسوجات الصوفيّة وتجارتها نشيطة وسكانها أكثرهم من الجين (الجينة)، وهم تجار ماهرون وصاغة بارعون، وكان واليها يدفع الضريبة لبريطانيا سنوياً.

تقع جاد بور على بعد 300 ميل من دلهي إلى الجنوب الغربيّ ما يقارب 343 كلم بناؤها جيد يحيط بعدد من أزقتها أشجار ورستاق اسمه (ماهو مندر) خارج أسوارها يحيط به سور حصين مع ألف بيت للسكن، سمي بذلك من هيكل له منارة شامخة ومزخرف من الداخل. وأهم المصنوعاتّ بها أيضاً العاج والآنية، وقد بنيت العاصمة 1459، لتكون قاعدة لمرور عوض مندور التي لا تزال خرباتها قائمة على مسافة 5 أميال شمالاً...»[1]

ب- مدينة جاد بور، أبرز معالمها

تلك كانت جادبور القرن الخامس عشر والتاسع عشر، حيث الاحتلال البريطانّي، وهي الآن مدينة وجزء من راجستان، لا تزال هذه المدينة وباقي المدن في الولاية والأقاليم تشتهر بزراعة القمح وغيرها من الحاصلات، فضلاً عن الحجر الأحمر الذي يستخدم في البناء، وصناعة التماثيل الحجرية، وأنواع من البلاط تعد الجينة أو الجين طائفة دينيّة يطلق عليها أيضاَ اليان (اليانية)، ويرى البعض أنها مختلفة

[1] بطرس البستانّي ، دائرة المعارف ، بيروت، مطبعة ، دار المعرفة، لا طبعة ، المجلد- 6، لا تاريخ ، ص 580.

تماماً عن الهندوسيّة، بينما يراها آخرون فرعاً من فرع الهندوسيّة المتعددة[1]. تتميّز جاد بور بالحصن الرائع الذي تحول إلى متحف، والقصر الملكيّ الذي تحول إلى فندق، والأسـواق الجميلـة ذات الجاذبيـة، وتعكس هذه المعالم تاريخ أمراء الولاية، حيث تزوج الإمبراطور أكبر حينما قرر أن يكسب الراجبـوتييّن، شقيقة أحد خصومه (جوده بيا) والتي بنى لها قصراً كما تقدم في فاتح بورسـيكري ولم تعتنـق الإسـلام. يعرض الحصن المقتنيات الأكثر أهمية، وهي مجموعة من المدافع القاذفة، ويمكن رؤية المدينة الزرقـاء من سطح الحصن، والتي طليت باللون الأزرق عوضاً عن اللون الأحمر الحجـريّ لرخـصه، إلا أن اللـون أكسبها طابعاً مميزاً، ويوجد في الحصن قصر جميـل كبـير للـسكن، وفخامتـه تبـدو مـن شرفـات قـصر الحريم ذات الشبكات الحجريّة الدقيقة، ويعرض متحف القصر مجموعة عن المعروضات التـي تلقـى الضوء على حياة المهراجا، من هوادج فخمة، (ومهود) للأطفال، فـضلاً عـن المقاعـد والـستائر الفـاخرة، وغرف النوم، والمحفات المقفلة التي تحمل العروس داخلها تبدو عند بوابـة المخـرج الحديديّـة منـاظر لحياة زوجة المهراجا المؤثرة، إذ هناك خمسة عشر مخطوطة قرمزيّة اللون على الجـدار، تمثـل الأرامـل اللواتي رمين بأنفسهن على محرقة أزواجهن كتـضحية طقـسيّة [2]، ومحافظـة عـلى التقاليـد المتبعـة في المنطقة، إذ كان يعد ذلك شرفاً للزوجة في اعتقادهم، وقد تلاشت هذه العادة، إلا أن هناك مـن يقـوم بها متوارياً عن الأنظار. وبين البراهمة، وهم أعلى طبقة في الهندوسيّة.

يقع سوق سادر، وسط جاد بور القديمة، وهو سوق ناشط، يقع في محـيط بـرج الـساعة، فـأي حلاق من الأثنى عشر وحسب أرقام الساعة على استعداد لقص شـعر الزبـون أو حلاقـة ذقنـه، تحـت شجرة الإثل أوالتين البنغاليّ، ولا غرابة في أن تـصادف الحـلاق التقليـديّ في الهنـد، في معظـم الولايـات، وهو جالس تحت مظلته الخشبيّة على الطريق، ومعه عدته، أو مايـشبة الـصندوق الخـشبيّ الـصغير، وبه أدواته القديمة البسيطة، بينما نجد في المدن والعواصم الكبرى، أحدث الصالونات لاسيما الرجاليّة.

(1) سنتحدث عن ذلك في الباب الثالث

(2) المؤلف مجهول، دليلك إلى الهند، بيروت، مطبعة الدار العربيّة للعلوم، الطبعة 1، جزء -1، 1996، ص 115- 116.

نجد في سوق جاد بور أكواماً متنوعة الألوان مرصوصة أو مكدسة من البهارات والحبوب، وحيث يعرض التجار بضاعتهم بطرق تجذب المشتري بينما يقف الحصن صامداً ملوحاً في الآفق. وكأنه يذكر باستمرار المدينة وتاريخها، وتستطيع رؤية السوق أيضاً من سطح الحصن أو شرفات القصر، تتميز جاد بور بموسيقى راجستانيّة تقليديّه، توارثتها الأجيال عن بعضها، ولا يزال الأب يعلمها لأبنائه ذكرانا وأناثاً، إنها آلة من خشب مشدود إليها أوتار دقيقة وناعمة جداً مصنوعة من شعر الخيل، أو الماعز، تعزف أجمل وأعذب الألحان، بحيث يمسك العازف جانباً من الأداة بيده، واليد الأخرى تحمل أداة مقوسة يمررها على الأوتار الخشبيّة.

يحرص الراجبوت أو من ينتمون إلى ولاية راجستان، على وضع الرجال للأقراط الصغيرة في الآذن اليمنى، وذلك تقليد متّبع منذ ولادة الطفل، أما الإناث فيضعن القرط الكبير أو الصغير في ثقب من الأنف، وهو من الفضة، أو النحاس، وأحياناً من الذهب، وتبدو الألوان الزاهية المزركشة مشتركة بين الرجال والنساء. ذلك من خلال ما يعرض من عرائس متحركة تمثل الزيّ التقليديّ للرجال والنساء[1].

جـ - سحر براريّ راجستان

تتميّز راجستان، لاسيما مدينة جاد بور بالصحاري الرمليّة الممتدة فضلاً عن لأراضي البريّة، والتي تؤلف مايشبه الواحات الخضراء الجميلة في قلب الصحاري والبراريّ ، فالطرق والدروب قديمة رمليّة غير مرصوفة، وتبدو المنازل أو البيوت الحجرية ذات الطابع الصحراوي قليلة جداً، الأراضي تربتها خصبة حمراء طينيّه، ممتدة بامتداد البصر حيث ترعى الخيول، ويمكن مشاهدة الطيور لاسيما الطاووس، فضلاً عن الغزلان الصغيرة البريّة ، التي غالباً ما تختفي في لمح البصر، تبدو الشجيرات المتناثرة جافة، ذلك في شهر إبريل ، ولك أن تتصور جمال البراريّ في موسم نزول المطر، ويبدأ غالباً من يونيه حتى سبتمبر.

[1] راجستان ، جادبور ، الهند ، إبريل ، 2007م.

تبدو الحياة قاسية على سكان المنطقة، إلا أنهم يواجهونها بصبر وتحد، فهم ينقلون المياه من آبار، أنشأتها حكومة الولاية، وغالباً ما تقوم الشابات الصغيرات، فضلاً عن النسأء بهذه المهمة لاسيما في الصباح والمساء حيث الحاجة إلى الماء .

تتناثر وسط الصحاري والبراريّ بيوت أشبه بالمعامل، حيث تتم في أجزاء من البيت ، صناعة الفخار والذي يصنع بواسطة الطين ، حيث يحول إلى مئات الأشكال من أوان وأباريق وجرّات وتماثيل متنوعة، وأدوات تنظيف وغيرها، فالمصنع والمخزن يوجدان في جانب من فناء البيت الواسع تقريباً، والذي يضّم أفراد عائلة بأكملها، أي العائلة التقليديّة الممتدة، والعمال معظمهم من نفس العائلة، هذا إلى جانب معامل النسيج أيضاً، والتي تتم في جانب من البيت التقليدّي أيضاً، وحيث تحول الخيوط إلى أجود الأنواع من السجّاد بأيدٍ محترفة مدربة[1].

إنه الاستغلال الأمثل لمظاهر الطبيعة وهي هنا الصحراء التي تحول إلى معلم من معالم السياحة، وذلك بنقل ما يتطلبه السائح من وسائل الترفيه والراحة، وهذا ما يجب أن تكون عليه السياحة المثلى في أنحاء العالم.

وبما أن راجستان تتميّز بالصحاري لذا فإنه تقام مهرجانات شتويّة رائعة، فالفنادق تنقل على شكل خيم ضخمة فاخرة إلى الصحراء، وحيث يسافر السائح على ظهر الجمل، إلى الفندق، ويجد هناك جو الصحراء ، الخيمة الفندق، والنيران الموقدة ، والأثاث الصحراويّ البسيط، والأشجار البريّة المقاومة للرياح الموسميّة.

كانت راجستان تشتهر بمدن الصحراء، وطريق القوافل المحملة بالبضائع من الشرق الأوسط، وآسيا الصغرى، ومن أقدم المدن الصحراويّة المحصنة، مدينة جسالمير، التي تعود مبانيها ومنازلها إلى القرن الثاني عشر للميلاد 1156[2].

[1] راجستان ، جادبور ، الهند ، إبريل ، 2007م.

[2] المؤلف مجهول، دليلك إلى الهند، بيروت، مطبعة الدار العربيّة للعلوم، الطبعة 1، جزء -1، 1996، ص 118.

د- رحلة بالقطار من جادبور إلى دلهي.

تسّير قطارات سريعة كثيرة يومياً بين المدن الكبيرة وتؤمّن خياراً من درجات السفر المتنوعة، عربات الدرجة العامة أساسيّة جداً وذات مقاعد خشّبية قوية، أما عربات الدرجة المكيفة، فهي من الجلد ومكيفة ومريحة نسبياً، قد تستغرق الرحلة بين مدراس (شيناي) في الجنوب ومومباي في الغرب، نهاراً وليلة 1300 كلم، ويمكن حجز مقعد للنوم، يقدم الطعام النباتيّ وغير النباتيّ على متن القطار، ويتجول صبية وفتيات ورجال بين العربات يقدمون المشروبات الباردة ، والوجبات الخفيفة والمكسرات. يتوقف قطار الرحلات الطويلة لمدة عشر دقائق، وهكذا يكون لدى الركاب الوقت للنزول إلى رصيف المحطة وشرب كوب من الشاي، وشراء بعض الفواكه أو ربما صحيفة من منصة بيع الكتب في المحطة، وحتى من الصبيّة والباعة المتجولين، وتعيق الإشارات المروريّة مرور القطار، فيتوقف لفترة طويلة بين المحطات، وقد تعيق الرياح الموسميّة تقدم القطار بحيث تجرف الخط بعض الأمطار[1].

وغالباً ما يستمتع الراكب بالقطار الهنديّ ، إن كان صبوراً، بحيث يجد المسافرين الهنود غالباً ميالين إلى الألفة والتودد وسريعاً ما يفتح مجال الحديث .

يصف أحد المسافرين رحلته في أوائل القرن العشرين من رام بور قائلاً «... فالقطار كان مبدأ سيره جهة طريق (بونه)... ثم أخذ يسير بطريق آخر يخترق وسط الهند... وكانت الأراضي التي يمر عليها القطار خصبة مزروعة قد أجدب فيها الجديد بقدرة الخالق.. فلما غربت الشمس أرسلت المصابيح أنوارها فازداد القلب انشراحاً بأشعتها الرائعة ...»[2].

تستغرق الرحلة بالقطار من جاد بور راجسّان غرباً، إلى دلهي شمالاً اثني عشر ساعة، 600 كلم تقريباً، والمحطة مليئة بالحركة والنشاط، فالحمالون يعرضون خدماتهم بحمل الحقائب حتى عربة القطار، فضلاً عن الباعة المتجولين والمنتظرين من

---

(1) راجستان، جادبور الهند، إبريل، 2007م

(2) عبدالحسين الأعسم ، الرحلة الأعسمّية في الدّيار الهنديّة ، مطبعة، المطبعة الحجازية، مومباي، لاطبعة، جزء -1، 1346هـ ، ص 10.

المسافرين لقطارات أخرى، إضافة إلى المتسّكعين والمتشّردين الذين يتخذون من المحطات مـأوى لهـم ولا سيما في الليل، ومما يطرب السامع أصوات تنادي علي الشاي (الماسالا) الهنديّ ، فضلاً عـن وجبـات نباتيّة خفيفة، ثم يصعد هؤلاء الباعـة، إلى عربـات القطـار وتـشاهد مـن القطـار البيـوت التـي تـشبه الكهوف، بنوافذها الصغيرة، فضلاً عن المواشي التي تنتشر على جوانب الطرق البريّة، من أبقار وحـشيّة وحمير وغيرها.

وكما وصف أحد المسافرين رحلته «... وصل القطار إلى محطة كبيرة ضخمة البناء وكانت هـي المحطة الخامسة فنزلنا... فرأينا فيها فواكه مما لا يعّد أجناسها.. هذا وإني متبهج لـذلك المنظـر البهـيج حيث الجبال شاهقة تناطح السحاب لارتفاعها العظيم ... وكثير ما يوجد فيها من أنواع الأطيـار، وهـذا جزء من مئة جزء ما يتصف بتلك المحطة والأرجاء ... ثم سار القطار ينهب الأرض نهبـاً فلـم نـشعر إلا ونحن بمحطة (جبل يور) وإذا بصّبي حامل علي رأسه طبق فيه الفواكـه الـشهيّة فابتاعنـا إياهـا بـثمن بخس وهذا ما يدل على رخاء المعيشة هناك ...»[1].

تجمع محطات السكك الحديديّة ، القطارات، كما أنهـا محطـة لألـوان مـن الحيـاة والتقاليـد والممارسات اليوميّة، إنها محطات اقتصاديّة تجاريّة اجتماعيّة ثقافيّة تمدنا بالكثير الكثير عن هذا البلد.

[1] عبد الحسين الأعسم ، الرحلة الأعسمّية في الديار الهنديّة ، مطبعة ، المطبعة الحجازية ، مومبـاي، لاطبعـة، جـزء - 1، 346هـ ، ص 12.

الفصل الرابع

مومباي

أهم المنتجعات حولها والهياكل غرباً

1- مدينة مومباي ، أهم معالمها

أ- مومباي الولاية ، الموقع ، التاريخ

مومباي بمُباي [1]، كانت سابقاً ولاية على حدود بحر العرب تشتمل على قطعة أرض طولها نحو 900 ميل ممتدة من حدود السند شمالاً إلى ميسور في الجنوب على أكثر ثلثيّ شاطئ الهند الغربيّ ... وتقسّم هذه الولاية فيما مضى إلى أربعة أقسام هي، سندي شمالاً والتي تشمل تلاع نهر السند الأسفل والأعلى. الكونكانان ويتألف منها المنطقة البحرية الجبليّة القاحلة، وهي نحو 330 ميلاً طولاً في عرض 25 إلى 50 ميلاً وموقعها بين غوتس (الغاتس) أو الغاته الغربّي وبحر العرب، القسم الثالث السّفح الشرقيّ من غاتس الغربيّ، ثم البقع المسطّحة غربيّ خليج كمباي[2]. كما أن مدينة مومباي تقع على جزيرة باسمها في ذات الولاية، محاذية الشاطئ الغربيّ من النهر، يفصلها عن البرلسان ضيق من البحر وهي جميلة المنظر جداً، أغلب سكانها من الهنود (الهندوسييّن) والمسلمين، والكبُر[3] والأوروبيّين ... والجزيرة التي كانت أول ما ملكها الإنجليز في الهند طولها ثمانية أميال وعرضها ثلاثة اميال ، والمدينة واقعة على طرفها الجنوبيّ ، وفي أواخر القرن الخامس عشر فتحها المسلمون ثم سلموها إلى البرتغاليّين

---

[1] بمُباي أيضاً مدينة قديمة من أيطاليا الجنوبيّة تبعد 12 ميلا عن نابولي إلى الجنوب الشرقيّ على حضيض جبل فيسو فيوس، بطرس البستانيّ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لاطبعة، المجلد- 5، لا تاريخ، ص 714.

[2] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة ، دار المعرفة ، لاطبعة ، المجلد-5، لا تاريخ ، ص 594.

[3] سوف نتحدث عن الكبر تالياً.

1530، وقبل تزوج كارلوس الثاني بكاترنيا براغانزا بقليل انتقلت مومباي إلى التـاج الإنجليـزيّ كقـسم من مهر تلك البرنسة وبعد ذلك بنحو سبع سنين نقلها الملك إلى شركة الهنـد الـشرقيّة، فاسـتولوا عليهـا وكانوا يدفعون عنها إيجاراً سنوياً قدره عشر ليرات إنكليزيّـة إلى سـنة 1859 حـين تـسلّمت الحكومـة الإنكليزيّة أملاك الهند الإنجليزّية الشرقيّة نازعة إياها مـن يـد الـشركة. كانـت مدينـة مومبـاي تتميّـز بالنشاط والحركة في مجال التجارة والصناعة، كما تتفوق مناظرهـا عـلى سـائر المـدن في الولايـة، وكـان يطلق على القسم القديم منها القلعة، وأبنيتها الكثيرة ظريفة ... والبيوت التي داخل الأسوار مبنيّة من الخشب ومحاطة بإيوانات ومسقوفة بالقرميد وأما الفقـراء، فبيـوتهم مـن طـين وسـعف النخـل وبهـا مخازن ومحلات تجاريّة كثيرة وفي حي الإفرنج منازل كثيرة ظريفـة والكنيـسة الإنجليزيّـة الكـبرى هـي أشهر الأبنية العموميّة ويوجـد بهـا كثـير مـن الكنـائس وهياكـل ومعابـد لليهـود ودار الحكومـة ودار للبلدية وأخرى للرسومات ومدرسة طبيّة ومستشفى بناه تاجر كُبريّ . وتتـصل المدينـة بجزيـرة سـلتي المجاورة بواسطة طريق وجسر معقود بالقناطر... وميناء مومباي آمن سهل المراسي وهو أحسن موانئ الهند... والمد والجزر هناك كافيان لبناء مراكب كبيرة والسفن المبنيّـة في هـذا المينـاء مـشهورة بمتانتهـا والمدينة مركز تجاريّ عسكريّ معاً كانت مومباي تصدر القطـن وأكـثر التجـارة الخارجيّـة مـع إنجلـترا وفرنسا والـصين والمـواني الخليجيّـة العربيّـة، وأمـا سـائر المحاصـيل والبـضائع المـصّدرة، فهـي الأفيـون والصوف والبذور والكشمير. والشالات والبن والحبوب والطيوب والسّكر والشاي والحرير والمـسنوجات الحريريّة وملح البارود والتبغ... كانت مومباي تتصل بكلكتا آنذاك بسلك مـن التلغـراف أنـشئ 1854، ومع إنجلترا بسلك أنشئ 1870 وتحت سطح البحر دون اتصال بالبر، عن طريق عـدن ومالطـة وجبـل طارق ومومباي مقر حاكم الولاية وكرسيّ الأسقف الإنكليزيّ في القرن التاسع عشر وبها مجلس الولايـة، ومن أشهر المشروعات فيها الجمعيّة الآسيويّة الملكيّة المشهورة...» [1]

[1] بطرس البستاني، دائرة المعارف، بيروت، مطبعة دار المعرفة، لا طبعة ، المجلد 5، لا تاريخ، ص594-595.

ب- مدينة مومباي، تاريخها

بومباي اليوم هي عاصمة ولاية مهارشترا، حيث أعيد تقسيم الولايات عند الاستقلال وتغيرت بعض التسميات ، مازالت مومباي المدخل الطبيعيّ إلى الولاية جهة بحر العرب ، ومازالت حياة الترف والرفاهيّة تبدو وراء المدخل الحجريّ ، وطريق الميناء، ونادي اليخوت ، وحوض السفن، فضلاً عن حركة ونشاط حمالي المرفأ وعربة الركشه الصغيرة، التي يجرها رجل واحد، إلا أن هذه الحركة استبدلت بحركة، رجال الأعمال والعمال الذاهبين والعائدين من الخليج العربيّ... بومباي هي المركز الصناعيّ والتجاريّ ، الأشد نشاطاً وازدحاماً حيث ناطحات السحاب تتزايد، إنها نقطة التركيز على صناعة السيارات، الأقمشة، الطاقة الذرية، السفن التجاريّة فضلاً على السينما وتحديث الفن الهنديّ . يقارب هذا التطور والازدهار والثروة الضخمة، الفقر المدقع. إنه التنوع والتعدد والتناقض المثير للعجب عيش هؤلاء النسوة في الأكواخ المقابلة في الهند، يلخص ذلك وضع النساء اللواتي يحملن القرميد على رؤوسهن لبناء منازل باهضة الكلفة، إلى جانب الأكواخ من القش أو الخيش.

كانت مومباي تعد منطقة الحكم العسكريّ للإمبراطوريّة البريطانيّة في الهند، لم تكن سوى مستنقعات من الجزر التي تنتشر منها الملاريا، يسكنها بعض صياديّ السمك والقرويون الذين يشربون عصير النخيل، حتى أن سلطان كوجرات المسلم تخلى عنها للبرتغاليّن 1530 وسلموها بدورهم للبريطانيّين، واشترتها شركة شرق الهند مقابل 10 ليرات إنجليزية ولمدة 62 سنة، تدفق إليها بعد سنوات الهندوس والفرس والتجّار اليهود، حيث المرفأ المتبدئ، وقد نشفت الجزر المستنقعة وربطت ببعضها من خلال ردم البحر، مكونة جزيرة مومباي، والتي يفصلها عن اليابس خليج تانا، الذي أقيم فوقه جسر وبنيت أحواض السفن العصريّة ومعمل القطن 1853، فكانت مومباي مركز البحريّة البريطانيّة الهنديّة ، وبقيت حتى اليوم المركز الرئيسيّ للبحريّة الهنديّة [1] .

[1] بطرس البستاني، دائرة المعارف، بيروت، مطبعة دار المعرفة، لا طبعة، المجلد 5 ،لا تاريخ، ص595.

تمثل بوابة الهند والمدخل إليها رمزاً حضارياً حيث بدأ الملك جورج الخامس زيارته الثانية 1911 بني عند هذا المعلم المعروف أمام البوابة، تمثال الفارس الهنديّ شيفاجي بني 1961 تكريماً لبطل المهراته من القوميّة الهندوسيّة، الذي حارب المغول، وإلى جانبة فندق تاج محل، وهو معلم تم بناؤه من قبل أحد أعضاء (تاتا)، السلالة الحاكمة للصناعييّن الفرس، وهم من كان يطلق عليهم الكُبر ، يعد تاج محل خليطاً من الأنماط الغربيّة والشرقيّة ومن الانطباعات التي تركتها جولات السائحين من الغرب ، والتاج عبارة عن مجموعة ضخمة لها فروع كثيرة في جميع الولايات الهنديّة ، ويوجد فرعان آخران، تابعان للفندق في نفس المنطقة من مومباي .

جـ- منطقة الحكم

تقع منطقة الحكم إلى الشمال الغربيّ من فندق التاج، وفي قلب المنطقة التي تحيط بما كان قلب بومباي البريطانيّة، ويسميه بعض المطلعين على الهندسة المعماريّة بالإنتقائيّة، بينما يرى المعادون للثقافة البريطانيّة والغربيّة بأن ذلك من هجين دخيل، وعلى الرغم من ذلك فإن المهندسين المعمارييّن كانوا بريطانيّين والحرفيّين من الهنود، سواء أكان ذلك في هندسة وبناء أمانه السر ومكتبة الجامعة الفرنسيّة ، ومكتب التلغراف والمحكمة العليا وكاتدرائية سان توماس، فهذه المباني توصف بأنها قوطيّة.

يعود برج الساعة في مومباي إلى الجامعة، ويحمل أربعة وعشرين شكلاً ترمز إلى طبقات مهارشترا والتي عاصمتها مومباي، وتضم الكاتدرائية في مومباي نقوشاً مؤثرة على قبر الجنديّ المجهول ، حيث قضى كثير ممن يخدم في الجيش أو الخدمة المدنيّة من أجل بلادهم، أما أبرز المعالم في مومباي، فهي محطة سكة الحديد فكتوريا فيما مضى، والتي أصبحت الآن تعالج السير في الضواحي، وهي في ميدان يذكرنا ببريطانيا وطابعها المميّز، ويقع شمال غرب محطة فكتوريا سوق كراوفور حيث الأكشاك باقية كمجموعة تدل على ما كانت عليه في الماضي ، الخضار إلى اليسار والفاكهة والأزهار إلى اليمين، واللحوم والدجاج والسمك أمامنا مباشرة[1].

[1] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة ،1 ، جزء -1، 1422/ 2002، ص 135- 138.

د- مومباي الهنديّة العريقة، أهم المحطات

يعتبر الهنود المنطقة التي تقع وراء سوق كراوفور، مومباي الهنديّة، قلب الحياة النابض في شارع مومباي، حيث يلتقي، الهنود من جميع شبه القارة الهنديّة، يتنافسون، مع المهاراشترانيين النشطاء في الأسواق، وحيث الهياكل الهندوسيّة ذات الألوان الصارخة المتنوعة، والمساجد الرقيقة المتواضعة في الأحياء المسلمة، ويبيع التجار اليانيون الذهب في سوق زافرييى، بينما يبيع آخرون الفضة والنحاس الأصفر والنحاس والجلد وأدوات الزينة. وتمتد مومباي الهنود من متنزه المارينا الذي يحيط بها خلف الخليج حتى منطقة الملبار السكنيّة، وحيث شاطئ شوباتي، الذي هو شاطئ ليس للاستحمام بل محطة الدراويش والنسّاك الذين يزاولون مهناً توفر لهم قوت يومهم، فهناك من يمشي على النار، وينام على المسامير، يتسلق الحبال في الهواء أو يدفن رأسه في الرمال، بينما يتجول باعة الأطعمة والمثلجات والمكسرات والبهارات المحليّة. مومباي لا سيما الهنديّة عريقة أصلية، وإن تغيرت فنحو الأفضل، تغادرها وتأتي إليها بعد خمس سنوات أو عشر أو أكثر، فتتوقع قدم المباني بل وسقوطها بسبب كثافة الأمطار والرطوبة، كما تتوقع زيادة المخلفات وكثرة الأوساخ، فضلاً عن ازدياد الكثافة السكانيّة، وبالتالي، كثرة المتسولين، إلا أن مومباي تصبح أكثر حداثة ونظافة، دون مبالغة فهناك أحياء مكتظة وبها القذارة والمخلفات، إلا أن هناك مومباي حديثة أنشئت قريباً من مومباي القديمة فضلاً عن الشوارع والطرقات والفنادق التي رممت أو أعيد بناؤها، فالدولة تشرف على ذلك، وتعاقب من يخالف القوانين.

يشعرك ميدان التاج أي فندق التاج العريق، الذي يشرف على بحر العرب، بأنك تعيش أيام المهراجا والسلاطين، فالعربات التي تجرها الخيول، تزينها الألوان الذهبيّة والفضيّة المطرزة جوانبها بخيوط الذهب والخشب الملون ومقاعد العربة ذات الوسائد المريحة، فضلاً عن سائقي العربات، الذين يستعرضون عرباتهم في زهو وخيلاء ، فترة المساء وعند الغروب. فضلاً عن المتنزهات المفتوحة مثل شاطئ جو هو وحديقة سانجي غاندي وهي أحدث ما يعرف بحدائق الحيوانات البريّة، ويجتذب معرض جيهانغير عروض الرسم المختلفة داخل القاعات فضلاً عن العروض على جانبيّ الطرقات. كما يبدو للزائر بعد فترة أن الفقراء والمتسكعين والمتسّولين، قد قلوا

أو اختفوا، إلا أن أصحاب العاهات والإصابات يتواجدون في أماكن معينة من مومباي الهنديّة، وحيث مساجد المسلمين ومطاعمهم، فنرى المتسولين، وقد اصطفوا في صفوف منتظمة لتلقي المساعدة لاسيما وجبة الأرز المطبوخ، وقد تكون الوجبة اليوميّة الوحيدة، كما يتواجد المتسولون من الهندوس والمسلمين ، وعلى بعد عدة كيلومترين أو اكثر من مومباي عند جامع الشيخ البخاريّ ، الذي اتخذ مزار يؤمه المسلمون والهندوس، ويبدو أن المسلمين بعضهم من المتصوفة الذين يزورون الجامع ويقدمون لصاحب الضريح النذور والكرامات، يقع هذا المسجد في منطقة على بحر العرب، على شكل شبه جزيرة وسط البحر، يؤكد زوار المسجد وبخاصة الهندوس بأن نذورهم وأمنياتهم تتحقق، حينما يزورون المسجد، ومما رسّخ ذلك في عقولهم أن موجات التسونامي أضرت بما حول المسجد، بينما لم يطاله المدّ، ذلك بسبب وجود المسجد على منطقة صخرية مرتفعة وكأنه جزيرة يحيط بها البحر ويتواجد أيضاً عند المدخل إلى المسجد وعلى جانبيه الكثير من المتسولين، رجالاً ونساءً، وبعضهم من ذوي العاهات وأمامهم الأواني النحاسيّة التي تحتوي وجبة بسيطة، ويبدو أنهم يقضون يوماً كاملاً في المكان، وحيث القطع النقديّة، توضع في علبة، بينما، يرتبها بعضهم بطريقة عمودية، أو حسب قيمتها النقديّة. يفسّر ذلك نوعاً ما اختفاء المتسولين من بعض والطرق والشوارع والضواحي في مومباي[1].

هـ طائفة الكُبّر

ومما يدعو إلى البحث عماله علاقة بالطقوس والتقاليد، طائفة الكبُر و«الكُبر... (أي سلالة عبدة النار القدماء) هم أحسن الأهالي في عقولهم ونشاطهم واقتدارهم على الأشغال وغناهم العظيم وهم بعد الإفرنج أعظم الأهالي سطوة، باعتبار الهيئة الاجتماعيّة والتجارة والسّياسة. ومقبرتهم المسّورة والمعتنى جيداً بحراستها واقعة على قمة تل ملبار وهي أجمل ضواحي المدينة[2] .

---

[1] مهارشترا ، مومباي ، الهند ، فبراير ، 2008م.

[2] المدينة هي مومباي .

وتحتوي على خمسة أبراج مستديرة قطر كل منها ستون قدماً وارتفاعة خمسون قدماً، وجثث الموتى حديثاً توضع على تلك الأبراج ومتى أكلت الغربان اللحم تسقط العظام إلى أسفل...» [1]

يسمى البرج عند الكُبر برج السكينة ، وهو برج، يضعون فيه موتاهم لتأكلها العقبان[2]. ينتمي الكبُر البارسيّين إلى الزرادشتيّة، وقد وصف أمين الريحانيّ أحدهم، إذ التقاه في اليمن «... وعلى رأسه عمارة أبناء قومه شارة مذهّبة... وعندما يجلس يظهر ... طرف قميص بيضاء تدُعى في دينهم «سُدراو» أي الصراط المستقيم، وفيها جيب صغير يدعى «كيس صواب» أي كيس الأفكار والأعمال الصالحة...» [3]

لا تزال هذه المقبرة في نفس المنطقة، من مومباي، وتحيطها غابات كثيرة من الأشجار المتشابكة بحيث لا ترى الأبراج، أو الداخل، ويمنع الدخول إليها من غير البارسيّين (الفرس)، والمنطقة حول المقبرة مهيبة، موحشة وتوجد في إقليم ديوي، القريبة من كوجرات، مقبرة للكبُر، يسمح بالدخول إليها، إلا أنها أشبه بالمنطقة الأثرية، إذا لا تدفن الجثث فيها حالياً، بينما يوجد مايشبه البئر وهو واسع وعميق، وحوله مايشبه مجرى الماء، حيث تسيل الدماء، إلى المجرى ومن ثم إلى البئر، فتروي الأرض، فهم يعتقدون بالفائدة من الجثة ، بأكل العقبان لها، أما الدماء فتتحلل إلى الأرض، نجد أن البحث الأول قد ذكر الغربان بينما ذكر البحث الثاني العقبان، وهو الأصح إذ يؤكد الهنود أنها طيور كبيرة جداً، ضخام الرقاب.

تنتمي عائلة (تاتا) البارسّية إلى هذه الطائفة أو نفس السلالة. ويجمع معظم الهنود على أن هذه العائلة، ذات فكر مستنير ونشيطة فهي تمتلك الكثير من الشركات والمجموعات التجاريّة، منها مجموعة فنادق التاج، وشركات الشاي التي كانت تسيطر

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، المجلد- 5 ، لا تاريخ ، ص 594.

[2] أمين الريحانيّ ، ملوك العرب ، بيروت ، مطبعة دار الجيل ، الطبعة 8 ، جزء-1، 1987 ،ص 283.

[3] أمين الريحانيّ ، ملوك العرب ، بيروت ، مطبعة دار الجيل ، الطبعة 8 ، جزء - 1، 1987، ص 282.

عليها الشركة البريطانيّة الشرقيّة ثم الحكومة الهنديّة والآن هي شركة يساهم فيها الأهالي بنسبة 60٪ في بعض الولايات كما تمتلك هذه العائلة مجموعة من شركات السيارات، والزيوت، ونـشاطهم الاجتماعـيّ في بعض الولايات ملحوظ فهم يساعدون الفقراء المحتاجين بتقديم نفقات العلاج فضلاً عـن المـساهمة في بناء الشقق السكنيّة للمحتاجين، وتوفير فرص العمل، لاسيما للفتيات والنساء.

2- أهم منتجعات التلال الغربية والهياكل

أ- التلال الغربيّة

تستغرق الطريق إلى بعض التلال الغربيّة مـن مومبـاي، مـا يقـارب الـثلاث سـاعات بالـسيارة، وتحيط الطرقات غير الرئيسية جداول مياه الأنهار والبحيرات، ويـصطاد الـصيادون في الأنهـار بواسـطة الشباك على الضفاف أو في قوارب الصيد، وتنتشر أكواخ صـغيرة عـلى شـكل كـوم بنيـت لتخـزين الأرز ومحاصيل أخرى مثل القمح وقصب السكر ويعتمد عـلى الطاقـة البـشريّة والحيوانيـة كثـيراً في أعـمال الزراعة وتحرث الحقول بواسطة المواشي لاسيما الجاموس، والثيران، أما الجرارات الزراعيّة، فهي نـادرة ، أما روث الحيوان، لاسيما البقر، فهو مصدر هام للطاقة، إذا يجفف ثم يحرق في منازل القـرى لتـأمين[1] الحرارة كموقد للطهيّ، فضلاً عـن اسـتخدامه كقرميـد، عـلى سـقوف الأكـواخ وجـدرانها، فهـو يحفـظ الحرارة، كما يستخدم لإنتاج الغاز الثنائي. تنقل العربـات الـصغيرة لا سـيما الأوتوركـشه أكـوام القـشّ ، الذي يستخدم حشواً للمخدات، والفرش، فضلاً عن حافظ للأطباق والأكـواب الزجاجيّـة، وتمتـد حقـول القطن والأرز في الأجزاء الساحلية فضلاً عن قصب السكر والشعير والتبغ.

لقد غادر الإنجليز مومباي كعـادتهم أيـام احـتلالهم الهنـد في القـرن التاسـع عـشر، حيـث الرطوبـة والحرارة والازدحام، مسافرين إلى التلال الغربيّة ، فأنشأوا، البيوت التقليديّة ذات الطابق الواحـد والكنـائس وملاعب الجولف، وزرعوا الفراولة وأشجار التوت الكشمش في حقولهم ذات الارتفاع العالي و تقع تلال غربيّ الهند بين سلاسل الجبال التي تخترق ولاية مهارشترا، كوجرات ومادهيـا بـراديش، هـذه المنتجعـات المرتفعـة

[1] مهارشترا، مومباي، الهند، فبراير، 2008

بها الكثير من المزايا للسائح، إذ يمكن الإنطلاق إليها بالقطار، أو السيارة من المدن الرئيسّية لاكتشاف جمال الطبيعة وروعتها، وممارسة رياضة المشي على الأقدام وركوب الخيل والقوارب، فضلاً عن العربات التي تجرها الخيول وأهم منتجعات التلال الغربيّة، في مهارشترا عن طريق مومباي، لونافلا، مهاباليشوار ما ثيران.

ب- لونافلا

تتميز لونافلا بالهدوء، وبرودة الجور، وجمال الطبيعة، من وديان، وقرى متناثرة تشرق على المرتفعات والهضاب، تغطي الأرض مساحة واسعة خضراء من الأشجار والحشائش كما تشتهر لونافلا، بالبحيرات التي كونتها الأمطار، كما تطل الهضاب والمرتفعات على أجمل الوديان، والأنهار، فضلاً عن أجمل المحطات التي يمكن رؤية منها منظر غروب الشمس.

ج- مها باليشوار

تعد مها باليشوار العاصمة الصيفيّة للرئاسة في مومباي، وأشهر تلالها، تبعد مسافة 290 كلم على ارتفاع 1372متراً، الطريق إليها رائعة، تحيط بها الهضاب والمرتفعات، فضلاً عن الأكواخ البسيطة المتناثرة، وحقول ومزارع الفواكة والخضراوات، من جزر وبطاطس وذرة، وحيث ينتشر الباعة المتجولون، أمام عرباتهم، يبيعون التين، الذرة، الموز، البصل، الليمون وغيرها وتشتهر مهاباليشوار، بالمدارس الخاصة في معزل طبيعيّ جميل، ويدرس فيها أبناء الطبقات الثريّة. وتعدُ نقطة أليفستون، وهي غابة كبيرة من الأشجار والطرق المتعرجة، ذات الانحدار والارتفاع، والسلالم الصخريّة التي تؤدي إلى نقاط أعلى.

توجد معالم أخرى على مسافة من مهاباليشوار منها هضبة باتشجاني، التي هي مرتفع ضخم، يبدو عن بعد على غير حقيقته من حيث المساحة، وروعة المناظر، إذ يمكن مشاهد، مهاباليشوار وما حولها من قرى، فضلاً عن البحيرات، والسفوح الخضراء. تتجمع عن مدخل الهضبة العربات التي تجرها البغال والخيول، وتعتقد أنك

لا تحتاج إليها، ثم تدرك أن المشي على الأقدام في أنحاء الهضبة يستغرق أكثر من ساعة [1].

تعّج الطريق على بعد عدة مترات من الهضبة بالحياة التقليديّة الهنديّـة، حيـث يتمركـز باعـة الخضروات وما الفواكة، وحيث تنتشر الحقول والمزارع الـصغيرة أمـام الأكـواخ، بيـنما اسـتعد أصـحاب الجياد لخدمة السائحين، فهناك جولات بركوب العربات التي تجرهـا الجيـاد، أو بـالركوب عـلى الخيـل وسط جو مرح بهيج، ثم يبدأ ظهور القوارب الصغيرة، إذ توجد في هذه المنطقة بحيرة صـغيرة جميلـة، تستغرق الجولة بالقارب ساعة بواسطة المجاديف، أما العامل على ظهر القارب، فهـو يعمـل بالمنطقـة منذ خمسين عاماً، أنذاك كان ثمن التذكرة كما حدثنا 50 بيزة، أي أقل من خمسين فلـساً، ولازال يعمـل في خفة ونشاط، ولايعنى أنه متقدم في السن، فربما عمـل وهـو في سـن العـاشرة أو دونهـا، وهـذا مـن عادات العائلات الهنديّة التي تدفع بأبنائها لمساعدتها بالعمل ، ولاتزال تلـك التقاليـد موجـودة، وربمـا قلت بسبب تحديد النسل والانخراط في التعليم، ومع ذلك، تجد صبياً صغيراً يبيع الجرائد، وهو يرتدي ملابس المدرسة، أي يعمل قبل ذهابه للمدرسة. كما تقع حصون هامة للمعبود الهندوسيّ شيفا، وهـي ريجاده، وبراتا بجارة، سنهاجاد. مكونة ما يشبه القلعة أوالحصن الضخم، وبحيث يشرف هذا الحـصن على مملكة شيفا، ويمكن لشيفا أن يراقب الأعداء من داخل الحصن المرتفع، الذي يصعد إليه بواسـطة سلالم حجرية، كثيرة الدرجات، مما ينّم عن ارتفاعة[2].

د- ماثيران.

أقرب منتجع من مومباي، هو ماثيران، وتعني العبارة، القمة الغابيّة، وهو اسم مأخوذ من التلال المغطاة بألف شـجرة خـضراء وتقـع مـاثيران عـلى ارتفـاع 800 مـتراً ويبدو الطقس بارداً، بسبب الأشجار المهيبة التي تحيط بالمنتجع. تعد مـاثيران مثاليـة لركوب قطار صغير في رحلة تستغرق ساعتين كما أنها مثاليـة لـرحلات العربـات التـي

---

[1] مهارشترا ، مهاباليشوار ، الهند ، أكتوبر ، نوفمبر ،2007 م.

[2] مهارشترا ، مهاباليشوار ، الهند ، أكتوبر ، نوفمبر ،2007 م.

تجرها الخيول، تتوافر طرق خاصة تمتد إلى مساحة أحد عشر كيلومتراً، يمكن مشاهدة القرود والآيل، كما يمكن مشاهدة أضواء مدنية مومباي في الليالي الصافية. إلا أنك قد لا تشاهد العربات التي تجرها الخيول، ولا القطار، ذلك لأن الرحلة إلى داخل القرية، حيث الفندق، تستغرق ساعة، حيث تستقبلك عربة خشبية يجرها صبيان، لحملك والأمتعة، تستغرق رحلة العودة من ماثيران، إلى مومباي 295كلم، تجتاز السيارة طريقا على جانبيته أجمل مناظر التلال الغربيّة، وحيث الهدوء وسحر الريف الهنديّ[1].

هـ - كهوف أجانتا وإلورا

نحتت هياكل كهوف أجانتا في صخور الصوان من جبال فندايا الواقعة شمال غربيّ دِكان، وتعّد من بين عجائب الهند، فهي مميزة لأنها تجاويف صنعها الإنسان في داخل الصخور، ونتج عن ذلك مجموعة متشابكة من الهياكل والأديرة المتطورة المنحوتة بالأدوات البسيطة، وهي أعمال فنّية تتباهى بالرسم الملموس والنحت المعبر عن الطراز الفنيّ الرفيع.

يمكن الوصول إلى الهيكلين عبر بلدة أورانغ آباد في مهارشترا، وتعود كهوف أجانتا، إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وبقيت دون أن تمس مدة 1000 سنة إلى أن اكتشفها الجنود البريطانيّون عندما كانوا في رحلة صيد النمور 1890، وكانت تلك الكهوف تستخدم كمنازل ويعود استخدامها كمكان مقدس، إلى عهد الإمبراطور أشوكا خلال القرن الثالث قبل الميلاد، حيث قام الرهبان البوذيون المتجولون بتشكيل نظام دينيّ أمّن لهم الإمبراطور خلايا منحوتة في الصخر كملجأ من الرياح الموسميّة، فأضاف الرهبان قاعة للعبادة سميت هيكلاً.

توجد خمسة هياكل من بين تسعة وعشرين مغارة بوذية، والباقي أديرة قطعت من صخرة بشكل حدوة، حصان ارتفاعها خمسة وسبعون متراً، تقع فوق ممر ضيق، يمر عبره جدول ماء صغير، وتّم ترميم الكهوف ابتداءً من الجهة الغربيّة إلى الجهة الشرقيّة.

[1] مهارشترا ، ماثيران ، الهند ، فبراير ،2008 م.

يعود الكهف الأقدم، وهوالعاشر إلى ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد، صحنه وأجنحته مقسمة إلى تسعة وثلاثين عموداً، ذات ثمان زوايا توصل إلى برج بوذيّ على شكل قبة مع تجويف دائـرّي في الحائط الشرقّي للكنيسة يشبه محراب المسجد. يعّد الكهف التاسع مكاناً مقدساً يعود إلى القرن الميلادي الأول، واجهته ذات طبقتين، مع نافذة تعود أشكالها لبوذا و يوجد فيلان عند مدخل الكهف السادس عشر، ويمثل الكهف السابع عشر بجدرانه الفن المتمّيز في القرن الخامس للميلاد، وهو يشير إلى قوة بوذا وثباته في المقدمة، حيث يظهر من الرسوم بأنه محارب يهاجم أعداءه، يمثل الكهف السادس عشر، غزارة الهندسة المعماريّة وغناها، الذي يبدو في صناعة القناطر والأعمدة المنحوتة حيث يتربع بوذا في أحد المزارات، كما يتميّز الكهف الأول والثاني بالزينة الفخمة، فالجدران مزينة بحيوانات مثل الآيل، الطاووس، القرود والفيلة، فضلاً عن صور تشير إلى حياة البذخ. مثل رسم أحد الأمراء، راكباً الخيل[1].

قطعت كهوف إلورا من منحدر التل المكون من صخر البازلت الصلب، وهو من أصل بركانّي، وهو أكبر حجماً من أجانتا، وهو ملجأ للقروييّن المحلييّن، فهم يعتمدون عليه أثناء الأوبئة والرياح الموسميّة، أنشئت كهوف إلورا الأربعة والثلاثين بين القرن السابع والثاني عشر، فالكهوف الأثنى عشر، بوذيّة، وخمسة يانيّة، والباقي هندوسّية. وقد كشفت أهم التنقيبات الأثريّة عن الهيكل المقدس العاشر، من بين الهياكل البوذيّة، ويعود إلى القرن الثامن، تتميّز دعامة الهيكل المقدسة بأنها جميلة، وسقفه على شكل كاتدرائية غربية، حيث يجلس بوذا في البرج المقبب. ويوحي الكهف الرابع عشر من بين الهياكل الهندوسيّة أنه من البوذيّة، حيث يجلس فيشنو موحياً بذلك. تبلغ مساحة كايلازا السادس عشر، مساحة هيكل أثينا، بنيت هذه المنشأت في ديكان من قبل الملك كريشنا الأول والهيكل ومزارته في ديكان يبلغ طوله اثنين وثمانين متراً وعرضه سبعة وأربعين متراً، وقد قامت الأجيال المحترفة بإكمال نقوش الهيكل المذهلة من خلال قطعة صخر واحدة مما أنتج هيكلاً هندوسيّاً يقارن بالهياكل التي بنيت منذ حوالي خمسين عاماً في المنطقة الجنوبيّة بالتاميلنادو. وقد تّم

[1] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1، جزء-1 ،2002/1422، ص 126-129.

التنقيب عن الكهوف من الرقم ثلاثين إلى أربعة وثلاثين، بين القرن الثامن والثالث عشر، وتعد كهوف أجانتا وإلورا، مادة للبحث والدراسة، لمحبي الآثار والهندسة حيث يؤمها الكثير من السائحين لاسيما الهندوس[1].

خاتمة الباب الأول

هكذا بدا الباب الأول، حيث ألقينا الضوء على أهم مدن الجزء الشماليّ من الهند، دلهي، أغرا فاتح بور سيكري، شملا، شانديغار، وما حول تلك المدن من معالم وآثار ومنتجعات وهياكل كما تطرقنا إلى غريب العادات والتقاليد العامة.

لقد وجدنا أن تلك المدن والمعالم استحقت البحث عنها، ذلك لا يعني عدم تميز الكثير من مدن ومعالم شبه القارة الهنديّة، إلا أن منهجية البحث لا تسمح بالتوسع كثيراً، لقد تعاقبت القرون على تلك المدن والمعالم ولا تزال شامخة، كأنها شيدت اليوم ومما أغنى تلك الصروح، التنوع والتعدد العرقيّ، والدينيّ والحضاريّ ، فاضفى ذلك عليها مزيداً من التألق والجمال، وكتب لها الأصالة .

ومما يلفت للنظر حب السلاطين والمهراجا، للظهور، وتخليد الذكّر، فضلاً عن الميل إلى حياة البذخ والإسراف، والتمتّع بملذات الحياة، ولاننسى، ما صاحب ذلك من تدبير المؤمرات والدسائس، حتى بين الأبناء والأخوة، لاسيما المغول، إن المبالغة في إنشاء القلاع والقصور وتشيّيد المدن، وما واكب ذلك من إبداع المهندسين والمخططين في التصميم والهندسة المعماريّة ينّم عن العشق للمادة وبذل الأموال الطائلة في سبيل ذلك، أما الحرفيون فهم أصحاب الأيدي التي وقع عليها العبء الأكبر في تحقيق المجال، والذين عانوا الحرّ والبرد، ونقل الأثقال من أحجار وصخور قطعوها من جبال حيث جلبت من أماكن بعيدة، لاسيما أن وسائل المواصلات لم تكن متقدمة أنذاك ولقد نتج عن ذلك فسيسفاء ذات نقش وإبداع يعبر عن التنّوع والتعدديّة. ويثير الإنتباه أن المدن التي هدمت بمعالمها وأثارها أو تحولت إلى خرائب، باتت كنوزاً حضارية وسياحيّة، كما أقيمت مدن أخرى إلى جوار القديمة أو على

[1] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1، جزء-1 ،1422/ 2002، ص 130-133.

أنقاضها فيما يشبه عملية الترميم، لقد منح ذلك البقاء لهذه المدن والمعالم، بحيث لا يبدو عليها التغيّر منذ عدة عقود، بينما لا تزال الآثار والمعالم شاهدة على الامتزاج بين الأعراق والحضارات، حيث تمتزج الآثار العربيّة التركيّة الإسلاميّة، والمغوليّة والهندوسيّة معاً، ذلك من حيث الفن المعماريّ والزخارف والخطوط والنقوش، فضلاً عن إضافة وتحسين الحكومة البريطانيّة، ولا تزال الحكومة الهنديّة تعمل على صيانة وتحسين تلك المعالم، دون تغيير طابعها، وجذورها، فضلاً عن ترميم المباني والمنازل العامة المتداعية، مما يحفظ للمدن رونقها، وشكلها. لذا نجد أن الهند تجمع ما بين القديم والحديث ، الغنيّ والفقير، وذلك سر من أسرار السياحة وكنوزها، حيث التعدد ، إذ توجد كنوز من العادات والتقاليد والحياة الاجتماعيّة، التي قد لا تضاهي روعتها القصور والقلاع أحياناً.

يوضح لنا ما تقدم أنه لا حرج من إبقاء تراثنا المتداعي وتقديمه للسائح باعتزاز وفخر، ولا يمنع ذلك ترميمه ، فضلاً عن الاستفادة مما تركه المحتل الدخيل وتطويره والاهتمام به دعماً للسياحة والاقتصاد.

الباب الثاني

السياحة الطبيعيّة في الهند ، مقوماتها

التمهيد

يتناول هذا الباب السياحة الطبيعيّة في أجزاء من الهند ، أهـم مواطنهـا ، والملاحظـات العامـة حول الطرقات ، الحقول ، المباني غريب العادات والطقوس العامة ، فضلاً عن أبـرز المـدن والمنتجعـات السياحيّة ، في أنحاء الهند ، ذلك من خلال المراجع والمصادر التي تناولت الهند ، فـضلاً عـن الـسياحة ، والملاحظة المباشرة .

وقد اعتمدنا على رحلة ابن بطوطة ، وعالم المدن حول العالم ، مع محاولة الربط بين ما ورد في المصادر ، وبين ملاحظاتنا ، ذلك كي يتسنى لنا المقارنة بين القديم والحديث ، الـذي ورد بـشأن مـواطن السياحة الطبيعيّة ، لاسيما رحلة ابن بطوطة لـ غووا (جووا) في الغرب ، وكولام وكليكت وكوتشين وما حولها ، في كيرلا جنوباً.

ينقسم هذا الباب إلى أربعة فصول وأجزاء فرعيـة ، حيـث بـدأنا بمعـالم الـسياحة في راجـستان الغربيّة ، مدينة أوديبور ، وجبل أبو ، ومن ثم ولاية غووا، ويبدأ الفـصل الثـاني بـأهم مـواطن الجـذب الطبيعيّة والسياحيّة في كيرلا .

وسوف نبحث في الفـصل الثالـث أهـم منـاطق الجـذب الطبيعيّـة في الـشمال الهنـديّ، حيـث كشمير وعاصمتها سرينجار ، وما حولها من متنزهات وحـدائق وبحـيرات، ومنتجعـات جبليّـة تغطيهـا الثلوج ، فضلاً عن الآثار والثقافة الدينية، وثقافة المطبخ في هذه الولاية ، كما أننا سوف نشير إلى معـالم السياحة حيث البنغال في الشرق ودار جيلينج في البنغال الغربيّة ، وسكيم وعاصمتها جـانجتوك. علـماً بـأن هنـاك مـواطن سـياحيّة طبيعيّـة تـستحق الـذكر وهـذه جـزء منهـا، إلا أننـا أرتأينـا التركيـز عـلى المشاهدات الهامة . ولقد طرحنا الأسئلة التالية لتحقيق ذلك وهـي بـم تميـزت الـسياحة الطبيعيّـة في الهند ؟ وما أبرز مقوماتها ؟ وما هي الانطباعات والملاحظات التي يمكـن للزائـر لهـذا البلـد أن يـدونها حول الطرقات ، الحقول الغابـات ، المنتجعـات ، العـادات ، الثقافـة العامـة ؟ ومـا مـدى تطـابق تلـك الملاحظات مع ما ورد في المصادر والمراجع التي اعتمدناها ؟

الفصل الأول

1 – معالم السياحة الطبيعيّة في راجستان

أ – الغابات من مواطن السياحة الطبيعيّة

تعد الغابات والمساحات المزروعة من أهم مقومات الاقتصاد ، و السياحة إذ تغطي الغابات حوالي 20 % من مساحة اليابسة في الهند لاسيما الشمال ، حيث المنحدرات الباردة للهيملايا ، إذ تنمو أشجار صنوبريّة جميلة شبيهة بأشجار الألب ، بينما توجد غابات جميلة استوائيّة ممطرة في أجزاء من البنغال الغربيّة ، وحيث يتدفق نهر الغانج إلى البحر.

كما توجد الغابات ذات الأشجار المتشابكة الكثيفة الخضراء ، وحيث تبدو الطبيعة وكأنها لم تمس . هذه الغابات تلاحظ أيضاً في الجنوب والغرب ، وتستغل تلك الغابات للتنزه ، ورياضة المشي، ومراقبة حيوانات الغابة والمناظر الجميلة من سفوح وحقول و مساقط مياه ، وتعمل الحكومة وأنظمتها على عدم قطع الغابات ما لم تستبدل رغبة في زيادة المساحة المغطاة بالغابات لحماية الحياة البريّة ومنع انجراف التربة ، بسبب مياه الأمطار ، وقد شجعت الأنظمة الحكوميّة على زراعة الأشجار وأقامت يوماً سنوياً لزراعة الأشجار المناسبة المثمرة مثل المانجا ، والبن والرمان والموز وأنواع كثيرة من الفواكه[1].

تعد الغابات أيضاً مصدراً للحطب ، إذ ينتج الخيزران وخشب الصنوبر الطريّ، والأخشاب الصلبة الجيدة مثل التك والمطاط ويمكن ملاحظة ذلك جنوباً وغرباً. والمنتجات التي مصدرها الأشجار منها الصمغ ، والراتنج والأوراق التي لها استعمالات متنوعة، مثل أوراق نبات الكيندو التي تلف لصنع نوع من الأشجار الصغيرة كما أنها تستعمل عوضاً عن الأطباق كما أن الزراعة أيضاً من مقومات الاقتصاد والسياحة ، حيث تنتشر مساحات واسعة من الحقول ، والمتنزهات والبساتين ، ويستعمل نصف مساحة اليابسة في الهند لزراعة القمح ، الأرز ، الحبوب الغذائيّة ، مثل البقول التي يعد منها أطباق الخضار و العدس ، وهناك موسمان رئيسيان

[1] هيماشال براديش، شملا، الهند، إبريل، 2007.

للمحاصيل يتصلان بالرياح الموسميّة، يبدأ موسم الخريف في آيار (مايو) ويعتمد على الرياح الموسميّة الجنوبيّة الغربيّـة ، ويبـدأ موسـم الربيـع في منتـصف شـهر أكتـوبر ، ويعتمـد عـلى الريـاح الموسـميّة الشماليّة الشرقيّة ، لإنتاج المحصول ، الذي يحصد في نيسان (إبريل) ، والمطر عامل هام في نجاح حصاد المحصول[1].

لا بد أن نشير في هذا السياق إلى ما ذكره ابن بطوطة عن الزراعة في الهند، حيث أن ذلك القول يطابق النظام الحالي فهو يقول : «... وببلاد الهند من فواكه بلادنا الرمان ، ويثمر مرتين في السّنة ، ولا ينقطع له ثمر ، وهم يسمونه (أنار) ، وأظن هو الأصل في تسمية الجلنار ، فإن (جل) بالفارسيّة الزهر (ونار) الرمان...»[2].

ويتحدث ابن بطوطة عن مواسم الزراعة في الهند قائلاً «... وأهل الهند يزرعون مرتين في السّنة ، فإذا نزل المطر عندهم في أوان القيظ زرعوا الزرع الخريفيّ وحصاده بعد ستين يوماً من زراعته ، ومن هذه الحبوب الخريفيّة عندهم الكذرو وهو نوع من الدخن ، وهذا الكذرو وهو أكثر الحبوب عندهم ، ومنها القال ... ، ويخرجون لجمع ما نبت منه من غير زراعة ، فيمسك أحدهم قفة كبيرة بيساره ، وتكون بيمناه مقرعة يضرب بها الزرع فيسقط في القفة ، فيجمعون منه ما يقتاتون به جميع السّنة ، (وحب الشاماخ وهو من البقول) صغير جداً ، وإذا جمع وضع في الشمس ، و يدق في مهارس الخشب ، فيطير قشره ويبقى لبه أبيض ، ويصنعون منه عصيدة يطحنونها بحليب الجواميس ، وهو أطيب من خبزه ...» [3].

إن ما ذكره ابن بطوطة يكاد يتطابق مع الزراعة في الهند حتى يومنا الحالي، فهناك موسم للزراعة كما تقدم وهناك موسم للحصاد وهو (إبريل) ، بل إنه أشبه بالمهرجان ، وهو عطلة رسميّة ، وتشارك في هذا المهرجان جميع الطوائف الهندوسّية والمسلمة وغيرها ، فضلاً عن المواسم التي لا تنقطع فيها الزراعة والثمار .

---

[1] كارناتتاكا، بنغللور، الهند، مايو، 2008.

[2] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009 / 1430 ، جزء 2-، ص23

[3] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009 / 1430 ، جزء 2-، ص 23-24

لقد تحدثنا عن الغابات والمساحات الزراعية ، لكونها مـن مقومـات الـسياحة الطبيعيّـة التـي تجذب الزائر للبلد ، فعلى امتداد البصر سواء أكـان ذلـك بالـسيارة أم القطـار , وحتـى بالطـائرة عـلى ارتفاعات منخفضة أثناء الرحلات الداخلية ، لا يشاهد المرء إلا غابات كثيفـة خـضراء وفي الطريـق مـن أجمير إلى جبل أبو ، وأديبور ، في راجستان ، وكذلك غووا غرباً .

أما أبرز المحطات الغربيّة ، فمنها منتجع جبل أبّو ، ومدينة أوديبور المعروفة بمدينة البحـيرات والقصور ، فضلاً عن غووا .

ب - منتجع جبل أبو , وما حوله

يعد أبو جبلاً مشهوراً في راجبوتا قديماً راجستان مـن الهنـد حاليـاً ، علـوه خمـسة آلاف قـدم ، 1200 متر عن سطح البحر وفيه هياكل ومقامات أولياء الهند ومزارع وقلاع ومدافن كثـيرة ، يـرد إليـه الزوار من سائر أقطار الهند[1].

تعد قمة جبل أبو منتجع التلال الوحيد في راجستان ويرتفع في أراخياليس الممتدة عبر المنطقة بكاملها ، ولقد تم بناؤه حول بحيره ، وهو محـاط بـتلال غابيّـة كثيفـة ، ذات منـاظر طبيعيّـة رائعـة ، واشتهر فيما مـضى بـالمعتزلات الملكيّـة لـلأسر الحاكمـة الـسابقة ، مثـل راجبوتـا (الطبقـة الهندوسّـية الحاكمة) ولا يزال هذا المنتجع الغابيّ متنفساً وملاذاً للباحثين عن الاسترخاء والتأمل في عظمـة الخـالق وصنيعه .

تمثل معابد ديلوار لطائفة الجين أو اليانيّة معلماً من المعالم الـسياحية ذات الأهميـة ، لطائفـة الجين في الهند ، ويتميز كل معبد بغابة من الأعمدة الرخاميّة البيضاء المنحوتة بأكملها . نشأت الجـين أو اليانيّة وهي ديانة هنديّة في القرن السادس قبل المـيلاد ، وأساسـها تحريـر الـروح بالمعرفـة وحـسن السلوك ، ومفهومهـا (أل أهـيما) ومعنـاه الـلا عنـف ، يرتـدي الجـين القمـيص والـسروال ، الأبيـضين الواسعين ، ويطلق عليهم (السيفيتا ميا راس) وهم نباتيون يعيشون على الخضار والحبوب والفاكهة ، كما أنهم لا يتناولون بعـض المزروعـات ، أو الحبـوب . يعتـبرهم الـبعض فرعـاً مـن فـروع الهندوسّـية

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، لا تاريخ ، المجلد -1 ، ص 766 .

المتعددة ذات الفروع التي قد تصل إلى ثلاثة آلاف رمز ، والبعض الآخر يعدهم ديانة مستقلة .

تتميّز معابد ديلورا في جبل أبو بالجمال لوقوعها على مرتفعات تشرف على أجمل المناظر الغابيّة ، ذات الأشجار المتشابكة ، والبحيرات ، ويزيد الغابات جمالاً ، الموقع والهدوء ، وبرودة الجو ، حيث السماء ملبدة بالسحب والغيوم ، وحبات المطر الخفيف تتساقط بين الحين والآخر ، مما يلطف المنتجع ويزيده روعة وسحراً . و تشرف نقطة يطلق عليها ، ضوء القمر على أجمل الوديان والسفوح الخضراء ، فضلاً عن الغابات المحيطة بها ، إنها محطة من المحطات الرومانسيّة الهادئة التي تجلب السائحين من الهند ، لاسيما الولايات المجاورة ، مثل كوجرات ، وحيث الرحلة بالباص العام ، تستغرق من تلك الولاية ، إلى منتجع أبو ما يقارب الساعتين ، لذا يرى الزائر أعداداً كثيرة من السائحين من كوجرات ، قد لا يعرف السائح من خارج الهند عن هذا المنتجع الروحيّ الساحر.

ويتّميز المنتجع بوجود الكثير من المماشي والمتنزهات والحدائق العامة ، التي تتيح للسائح رياضة المشي على الأقدام ، تلك المتنزهات ذات تشجير جميل، وأزهار متنوعة ، وتنسيق جميل ، فضلاً عن الغابات البكر الطبيعيّة .

يمكن أيضاً التوقف عند نقطة الغروب ، لمشاهده غروب الشمس وغالباً ما تكون الشمس محتجبة إلا أنها محطة جميلة ومثيرة للإنتباه ، حيث الغابات الكثيفة والسفوح الممتدة الخضراء التي يمكن مشاهدتها من على المصاطب العالية، ولتصل إلى تلك المحطة لا بد من السير لمدة عشرين دقيقة في طريق ذات ارتفاع وانحدار محاطة بأشجار المطاط والسرو المتشابكة ، أو يمكن امتطاء حصان مقابل مبلغ معين ، وقد تجرب عربة حديديّة صغيرة جداً ، أشبه بلعبة الأطفال مثبت أسفلها عجلتان صغيرتان، ويجرها صاحبها ، بينما الراكب داخل العربة ، تلك العربة هي بديل للركشه ، التي لا توجد في المنتجع ، ماعدا بعض سيارات الأجرة ، و الباصات وهي قليلة جداً ، تتميز المنازل حول المنتجع ، فضلاً عن الأسواق بالبساطة ، فالحياة تقليدية، غير معقدة .

هكذا بدا منتجع جبل أبو في راجستان غربيّ الهند ، وسوف نتحدث فيما يلي عن أوديبور مدينة البحيرات.

جـ - أوديبور ، مدينة البحيرات والقصور

تقع أوديبور في حضن تلال أرافالي ذات الغابات الكثيفة ، وتوجد ثلاث بحيرات تشكل نقطة تجاذب سياحيّ للمدينة ، فأديبور مدينة البحيرات والبساتين، التي ترتفع في وسطها قمم مهيبة من القصور العسلية اللون لتشكّل مجمع قصر المدينة وشقق القصور وتطل سلسلة القصور على بحيرة بيشولا ، التي تضم جزيرتها قصراً تحول إلى فندق ، والقسم الآخر إلى متحف ، بينما تعيش عائلة المهراجا التي توارثته منذ القرن السادس عشر ، في القسم الفخم وهو الثالث . وتتناثر البيوت المتوجّة بالكلس الأبيض على ضفتي بحيرة بيشولا، ولقد تم إنشاء بحيرات من قبل المهراجا أداي سنغ ، حيث بنى مدينته الجديدة . يبلغ طول بحيرة بيشولا 4 كلم وعرضها 3 كلم ، والطرف الجنوبيّ من بحيرة بيشولا يعد الأجمل منها ، إذ يمكن رؤية قصريّ الجزيرة ومدينة القصور وراءها .

يعود بناء مدينة القصور إلى القرن السادس عشر كما تقّدم ، على الشاطئ الشرقيّ للبحيرة بأقسامه الثلاثة . تضم الأقسام الثلاثة ، الفندق ، والمتحف الملكيّ ، والسكن للعائلة الحاكمة ، يعود الفندق واسمه شيفا نواس بالاس إلى الأجيال التي توارثته عن المهراجات السابقين ، ولا يزال الجو يشعرك بأجواء وحياة القرون الماضية، فالغرف ونوافذها ، ذات العوارض والمقابض والأقفال الحديديّة الضخمة ، التي قد تزن عدة جرامات ، فضلاً عن الهندسة والتصميم الشرقيّ الهنديّ الأصيل حيث زخرفة الغرف وتنجيد الستائر والفرش والقماش الفاخر المطرز بخيوط الذهب والحرير ، والخزائن الخشبيّة القديمة المطلية بماء الذهب ، وشموع ، وتحف نادرة فضلاً عن الإستراحة وهي شرف ذات شبابيك على شكل مشربيات أو مفتوحة ، بحيث يرى الجالس ما حول المدينة دون أن يراه أحد ، الأجواء تشعر بالقرون الماضية من حيث الترف وحياة البذخ ، وحتى التقاليد والأنظمة ذاتها ، فعند الساعة السادسة مساء يومياً تعزف الموسيقى وتدق طبول الخيالة ، الذين يترجلون الخيول ، إنها عادة المهراجا والسلاطين المسلمون والهندوس منذ ما يزيد عن العشرة قرون ، فهذه

الطريقة تؤذن بحلول المساء أو وجوب دخول كل فرد إلى المدينة والسكن ، يوحى هذا النظام بالمحافظة على التقاليد العريقة مع دمج الحداثة في كثير من المدن والولايات ، فضلاً عن رغبة الأجيال الحاكمة في أن تحيا حياة المهراجا منذ قرون، فالحكومة صادرت من المهراجات والسلاطين والملوك الإمارات , مقابل مبالغ مالية , والعيش في ذات الولايات أو الإمارات التي تنازلوا عنها بعد الاستقلال ، ولا يزال البعض يطلق عليهم المهراجا ، وقصورهم موجودة داخل المدن الرئيسيّة ، وفي الأقاليم النائية من بعض الولايات .

تحول القسم الآخر من مدينة القصور والبحيرات إلى متحف فخم يضم كنوز وروائع حكام راجستان الغربيّة ، من حيث الغرف والقاعات والممرات ذات الزخرفة والهندسة المعماريّة الفنيّة ، فالأعمدة الرخاميّة تشير إلى ما ينفق على القصور الملكيّة ، فضلاً عن الجدرانيات والأرضيّة المزينة بأجود أنواع الرخام و الفسيسفاء ، كما تتوسط القاعات والغرف أطقم من الأثاث الفاخر ، من المقاعد ، والطاولات ، والمكاتب وغرف النوم والطعام ، فضلاً عن المطبخ وذات الأدوات الضخمة التقليديّة من قدور وملاعق وأطباق[1] .

وتزين القاعات النوافذ ذات الزجاجيّات الملونة ، والزخرفة الدقيقة ، فضلاً عن اللوحات الرائعة الثمينة ، لاسيما صالة الحفلات والأعراس ، التي تشبه الحديقة الغناء الجميلة ، فهي منسّقة تزينها أشجار النسرين والياسمين وغيرها من نباتات وأزاهير ، ولا تزال الأسر الغنية تقيم حفلات الزفاف في تلك الصالة البهيجة المفتوحة .

كانت تمارس في هذا القصر طقوس الهندوسّية ، وربما لا يزال نزلاء القصر من العائلة يقوم بذلك ، فهناك شرفة واسعة مفتوحة تشرف على الحوش (الفناء) مقابل جهة شروق الشمس ، وترمز الشمس للمهاراتا ، إذ تقدم له طقوس الولاء والطاعة في أيام الرياح الموسميّة ، وحيث يجلس الملك صباح كل يوم ، فيتناول إفطاره جهة الشروق ، ولا تزال اللوحة الجدرّانية وهي بحجم جدار الشرفة الكبيرة ، مرسوم عليها

[1] راجستان ، أوديبور ، الهند ، إبريل ،. 2007

صورة للملك وهو يقوم بهذا الطقس اليوميّ ، واضعاً تاج الملك على رأسه ، ومرتدياً البدلة الملكيّة الراجستانية ، وهي صفراء ذات ألوان زاهية فاقعة .

تعرض في مرآب خارج القصر الكبير ، مجموعة من السيارات الفارهة ، فضلاً عن إسطبل الخيول، تعود السيارات إلى أربعينيات القرن العشرين ، وقد استغلت كواجهة سياحيّة ، تعرض أفخم السيارات الفارهة ذات المبالغ الخيالية الباهضة التكاليف، ولازالت هذه السيارات تستخدم ، وتجرى لها الصيانة وبحيث تبدو حديثة وملفتة للانتباه[1] .

د - أهم المعالم حول أوديبور

لعل أبرز مقوم للسياحة في أوديبور أنها مدينة تضم القصور والمتنزهات الملكيّة، فضلاً عن البحيرات التي تحيط بها الإستراحات والحدائق الملكية ، فالزائر لهذه المدينة ، يشعر بأيام مهراجا القرن السادس عشر ، وحياة الترف والأزياء الراجستانيّة، لاسيما في الفنادق ، وهذا لا يعني وجود حياة أخرى على الجانب الآخر من البحيرات حيث الأسواق الشعبيّة التقليديّة المكتظة بالمتاجر الصغيرة والمشترين ، بينما يتواجد على ضفاف البحيرة من الجهة البسيطة أناس من الطبقة الدنيا وربما المتوسطة وهم يستحمون في البحيرة ، أو يغسلون الأواني والملابس ، بينما يراقبون عن مسافة ، قصور البحيرة ، وفنادقها الفخمة ، والسائحين الذين يتنقلون من منطقة سياحيّة إلى أخرى مستقلين أحد القوارب التابعة للفنادق في جولة سياحيّة تستغرق ما يزيد عن الساعة ، ذهاباً وإياباً ، وهكذا تبدأ الجولة صباحاً وتنتهي الساعة الخامسة مساءً حيث تسير القوارب وسط بحيرة بيشولا ، إلى القصر الصيفيّ للملوك ، بينما تشاهد قصور المدينة المتلالئة عن بعد ، إذ تشرف شامخة على البحيرة ، مشيرة إلى ماضٍ عريق وحداثة زاخرة . لاشك أن أبرز مقومات السياحة الطبيعيّة في الهند تقوم

[1] راجستان ، أوديبور ، الهند ، إبريل - يوليو ، 2007/2010

على الربط بين التراث والحَضارة بطريقة ذكية فنية ، هذه المعالم من قصور وفنادق فخمة ، ومدينة ذات تاريخ ، وبحيرات طبيعيّة جميلة تستحق أن تكون أعجوبة من عجائب العالم .

تربط بوابة تشرف على السوق ، وعلى البحيرة بين الجانب الغنيّ والفقير من المدينة ، بحيث يجد الإنسان نفسه و كأنه في عالمين مختلفين ، حيث معبد جاجديش في الجزء الشماليّ من المدينة ، ويبدو ذلك مقوم آخر من مقومات السياحة الجميلة في شبة القارة الهنديّة حيث التعدد والتناقض والتنوع فوسط المدينة زاخراً بالأسواق التقليديّة ، إذ تكتظ المحلات بمختلف أنواع البضائع فضلاً عن الخضار والفواكه التي تعرض على عربات خشبية ، ويتوسط المدينة ، ميدان الساعة الذي يؤدي إلى الأسواق والمحلات التجارية بمختلف أنواعها ، كما تشرف طرقات المدينة الضيقة على بحيرات أوديبور الثلاث التي تحيط بها المناظر الطبيعيّة من أشجار متشابكة ومرتفعات خضراء ، فضلاً عن القصور والمنازل الفخمة ، وتجوب هذه الطرقات العربات التي تجرها الجياد ، لذا يتواجد السائحون والمقيمون بكثرة ، لاسيما مساء ، فالجو يكون لطيفاً حيث تشتد درجات الحرارة ظهراً ، إلا أن جو أوديبور لطيفاً بسبب وجود البحيرات ، مقارنة بمدن راجستان الأخرى مثل جيبور وجادبور .

تشتهر مدينة أوديبور كما في المدن الراجستانيّة ، بتقديم عروض من التراث والثقافة الهنديّة الغربيّة ومنها عرض للأزياء والرقصات التقليدية من راجستان وسائر الولايات الهنديّة . والتي تقدم لوحات راقصة من مواسم الزراعة و الحراثة ، والحصاد والصيد فضلاً عن تقاليد المطبخ وحاملات الجرار، ويبدو هذا التراث أيضاً فيما يقدمه مسرح العرائس من عروض مثل الأزياء الراجستانيّة والرقص التقليديّ وكذلك رقص الحيات [1].

هكذا بدات أوديبور مدينة القصور والبحيرات ، وهذا شأن معظم الممالك الهنديّة منذ عدة قرون ، ولا تزال آثارها شاهدة عليها ، وقد بالغ المهراجا والسلاطين

---

[1] راجستان ، أوديبور ، الهند ، إبريل - يوليو ،2010/2007 .

في تشييد القصور والمتنزهات والقلاع ، ومن ذلك وصف أحدهم القصور في بداية القرن العشرين قائلاً : «... فلما وصلنا القصر رأيت أمامه فضاء تحيطه أشجار باسقة وأزهار رائعة ورياض باسمة تتجلى ببنائه الفخم بينها كالبدر بين الكواكب ، أما الفضاء فأرضه روضة بهجة خضرة ، وأزهار نضرة تزين سرتها بركة بيضوية وفي وسطها ثلاث فوارات متباعدات الواحدة عن الثانية ثلاثة أمتار ومن بدء باب القاعة ينشق منها جناحان يستديران حول فناء مستدير بالبركة ينتهيان إلى داركاه القصر وهو عمارة تتقدم باب القصر.

وقد بلغ هذا التفنن في الزخرفة والعمارة مما فيه من الأبهة والعظمة التي تدهش الأفكار وقد خالجني في تلك الدقيقة أن أدخل القصر مسرعاً خوفاً من أن تظهر على محياي أمارات التعجب والاستغراب ... ، فدخلت دركاه وإذا بساحته أربعين متراً مربعاً والبناء قائم على أربع أساطين من المرمر الناصع تبرز فيه نقوش و تصاوير بديعة ، ولما أطلعت على ما فيه خرجت وتوجهت بالسير إلى يسراه ... حتى انتهينا إلى محل ولي العهد ... وهذا المحل خاص لمجلسه ... وهو مخمس الوضع قد أحيط عليه الرواق وله خمسة أبواب من السيسم [1]يزينها الزجاج السميك و وراؤها أبواب آخر من الفولاذ المشبك ، ومساحة محل المجلس خمسة عشر متر مربع مبلطة بالرخام الأبيض مسطح سمائه رفيع ببنائه وطليت حيطانه وسماؤه بالأصباغ البهيجة فتلألأت من سمائه [2] المصابيح الكهربائية لهيئة الثريا ومن جهتها تتدلى مروحتان ، وفي جهات القاعة ووسطها كراسيّ وسرر قد نظّمت تنظيماً رائقاً أفرنجيّاً ، وهي من الأبنوس مقاعدها من الحرير الأبيض المزركش قد حشيت بالقطن ، ومناضد متعددة منتشره في جهاتها ووسطها ، فالمناضد بعضها مربعة وبعضها مستطيلة وعلى كل منضدة علبة

[1] السيسم : الألمنيوم .

[2] السماء هنا : السقف

سيكارة ومزودة بعضها من الذهب النظّار وبعضها من خالص [1]اللجين ...»[2].

وهكذا يمضي الزائر في وصف القصور وممراتها وغرفها وستائرها ومنها الحدائق وما بها من تحف وسجاد مستشهداً بالأشعار لانبهاره ، حقاً أن الطبيعة والقصور والمتنزهات والحدائق لا زالت تلفت الانتباه

يمكن استغلال القصور القديمة والسيارات الفارهة ذات الطراز القديم كعامل جذب سياحي في بلادنا، حيث تحول معظم القصور الحضارية إلى مكاتب وغرف مظلمة، وحيث ينسى الرئيس أو الحاكم فتزال صوره وتماثيله بل ولا تنسى أن معظم السائحين يرون في الماضي القريب متعة وإثارة بينما يفضل آخرون وهم المتخصصون دراسة الأحجار والتماثيل.

2- أهم مواطن الجذب الطبيعيّ في غووا

أ - وصف الطريق إلى غووا

تؤدي بعض الطرق البريّة إلى غووا غرب الهند ، عن طريق ميسور في كارناتاكا ، أو حيدر أباد في أندرها براديش الجنوبيتان ، وكذلك عن طريق مومباي أو مهاباليشوار في مهارشترا غرباً ، ولمن لا يميل إلى زيارة المعابد والهياكل والكهوف التاريخيّة ، فإن رؤية المناظر الطبيعيّة عبر رحلة بريّة يعد من أجمل الرحلات ، ولعل ذلك ما يميّز السياحة في الهند ، تبدأ أجمل الرحلات غرباً ، حيث التلال الغربيّة التي سبق أن أشرنا إليها حول مومباي ، فضلاً عن مساقط المياه والشلالات لاسيما في موسم هطول الأمطار ، وحيث تلتقي طرق مهاراشترا وكارناتاكا وراجستان وأندرها براديش في رحلة تستغرق ما بين السبع والعشر ساعات ، حسب عوامل الطبيعة وخبرة السائق ، يجد المسافر وعلى امتداد البصر حقول القطن وقصب السّكر والقمح والذرة ،

[1] اللجين : الفضة

[2] عبد الحسين الأعسم ، الرحلة الأعسّمية في الديار الهنديّة ، بومبي ، مطبعة ، المطبعة الحجازيّة، لا طبعة ،1346 هـ ،جزء1، ص18-20.

مساحات خضراء ممتدة وحقول تحرث بـالطرق القديمـة بواسـطة الثـيران والإنـسان ، وتجـر الأبقـار الوحشيّة التي تشبه الثيران العربات الخشبيّة «...، هذا البقر قرناه معقوفان مخروطيـان منحقفـان إلى الوراء وهما إما إسطوانيان أو منضغطان متحلقان ، يتألف من مؤخر رأسـه ومقدمـه زاويـة منفرجـة ، وهو أنواع ، ما يشبه الإبل ، أجملها وأظرفها يعيش قطعاناً يتنقل من مكان إلى آخـر ، أعظـم مواطنهـا أفريقيّة ، ومنها أنواع جميلة الأشكال في الهند ، ومن أنواعها ما يـشبه الثـور ... وأصـله أدغـال الهنـد ، وهو شرس الأخلاق ...»[1] وحينما يراها الإنسان يعتقد أنها ثور ، ولا تزال تتواجـد بكـثرة في راجـستان ، فضلاً عن ولايات أخرى بقلة .

تسير السيارات عبر الطرق القديمة الضيقة غـير المرصـوفة ، مـما يجعلهـا أكـثر جـمالاً وهـدوءاً بالنسبة للسائح ، بينما يفضل السائق الطريق السريع ، يرى المار بالطرقات الداخلية غابـات متـشابكة متقابلة من الأشجار المتنوعة ذات اللون النظر الذي لا يمله البصر ، كما يرى المـسافر بـالطريق الـبريّ ، جانباً من الحياة الاجتماعيّة في الطرقات والشوارع ، فالأكواخ تنتشر على جانبيّ الطريق ، حيث القـرى الصغيرة ، فضلاً عن الهضاب والمرتفعات الخضراء ، التي يلفها الضباب بكثافـة ومـن ثـم تـزداد بـرودة الطقس ، كلما ارتفعت المنطقة عن سطح البحر ، تكسو الـسفوح والوديـان الحـشائش الخـضراء ، كـما ترعى المواشي من جواميس وأبقار وأغنام كأنها الغزلان ، تتلون التربة مـن منطقـة إلى أخـرى وحـسب نوع الحجر الذي تشتهر به ، أحياناً تكون سوداء بسبب وجود الجرانيت وأحياناً حمراء طينيّة ، وأحياناً صفراء ذهبية رمليّة، يمكن مشاهدة طقوس الحياة اليومية البسيطة تمارس في هذه الحقول .

كما تشاهد عبر الطرق السريعة ، وأمام غابات من الأشجار أطفـالاً صـغاراً في التاسـعة من العمر ، أجسامهم نحيلة ، ابتساماتهم لطيفة ، سمرتهم صافية ، تلك وجـوه لا تنـسى عـبر الزمن ، وتظل محفورة في الذاكرة ، لن تنسى إشارتهم باليـد إلى الفـم ، وبحيـث تتـساءل هـل يـسألون المـارة طعامـاً أو نقـوداً كعـادة الـبعض ؟ أم هـل يلقـون بالتحيـة عـلى المـارة، إلا أن الجـواب يـشير إلى أن تلـك الإشـارة إعـلان عـن أنهـم يبيعـون حليـب الأبقـار مـن

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، لا تاريخ ، المجلد5- ، ص.65

تلك المراعي ، لعمري أنه أجمل إعلان يمكن أن تشاهده لـشراء الحليـب ، لكـن لا تـستطيع الوقـوف تقديراً أو مساعدة لهم ، فالطريق سريعة جداً لا تسمح بذلك.

كانت تلك أبرز مواطن السياحة الطبيعيّة في غووا ومـا حولهـا ، مـن خـلال الطريـق ، وسـوف تشير إلى معالم السياحة الطبيعية ، في غووا ذاتها .

ب – غووا ، تاريخها

تعتبر غووا (جووا) ولاية صغيرة في الهند ، تحديداً تسمى اتحاد ، وهي أكبر منتجع بحـريّ في الهند ، كما أنها تشتهر بوجود اليخـوت والبـواخر الـسياحيّة في شـواطئها ، تلـك اليخـوت تعـد عـصب اقتصاد الولاية ، فهي مخصصّة للعب القمار لـيلاً، وحفـلات الموسـيقى الـصاخبة ، إلا أن هنـاك بـواخر يستطيع السائح العاديّ القيام بجولة على سطحها نهاراً لاسيما في المساء ، لمشاهدة منظر الغروب.

وجدنا تاريخياً أن الرحالة العربيّ ، ابن بطوطة نزل غووا في القرن الرابع عشر الميلاديّ ، وكانت تسمى تندابور ، فهو يقول: «... ولما أقلعنا عن هـذه المدينـة (أي إحـدى المـدن الواقعـة غـرب الهنـد واسمها قوقة وصلنا بعد ثلاثة أيام إلى جزيرة تندابور وهي جزيـرة ، في وسـطها سـت وثلاثـون قريـة ، ويدور بها خور، وإذا كان الجـزر فماؤهـا عـذب طيـب ، وإذا كـان المـّد فهـو ملـح أجـاج وفي وسـطها مدينتان ، إحداهما قديمة من بناء الكفار ، والثانيـة بناهـا المـسلمون عنـد اسـتفتاحهم لهـذه الجزيـرة الفتح الأول ، وفيها جامع عظيم يشبه مساجد بغداد عمّره حسن والد السلطان جـمال الـدين محمـد الهنوري...» [1].

بدت غووا في القرن الرابع عشر جزيرة حولها قرى ، ولازالت غووا ، محاطة بالبحار وتعمرهـا المـدن والقرى والمنتجعات ويبدو أن غووا تعّرضت للاستيطان والفتح من الغربييّن والمسلمين ، أما الإشارة إلى الميـاه العذبة عند الجزر ، فهي تدل على أن تحـت الأرض ميـاه طبيعيـّة عذبـة ، وهـي التـي تـسمى بالينـابيع أو العيون ، ذلك كما هو الحال في البحـرين ، التـي تـشتهر بميـاه الينـابيع الطبيعيـّة العذبـة ، التـي تنبـع عنـد

[1] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009/1430 ، جزء 2-، ص 156 -157.

انحسار مياه البحر المالحة . ولقد نزل الرّحالة البرتغاليّ فاسكو دجاما شـواطئ المليبـار جنوبـاً 1498 ، فاستكشف المنطقة لقومه البرتغاليّن الذين استولوا على غووا كمستعمرة مدة 450 عاماً ، بعد انتزاعها من سلطان بيجبور 1580 م. ظلت غووا تربط تجارة المستعمرات البرتغاليّة في المحيط الهندي ببعـضها ، كما أصبحت قاعدة مهمة لأنشطة الإرساليات التبشيرية، ذلك لتعاقب مختلف المـذاهب عليهـا مـن فرنسيكان ويسوعيّن وغيرهم، ولا يزال معظم الهنود في غووا يعتنقـون المـسيحية ، ولا تـزال الكنـائس القديمة والحديثة موجودة في غووا ، كما أن رفاة فرانسيس زافيير كزافبي ، الذي قدم إلى غـووا 1542 ، توجد في كنيسة أو بوم جيزو [1]، ولقد ظلت غووا فترة بعد الاستقلال تحت سيطرة البرتغاليين ، إلا أن الزعيم الهنديّ جواهر لال نهرو انتزعها منهم عام 1961 .

جـ - غووا ، أهم مدنها :

تقع غووا القديمة شمالاً ، وتبدو شبه مهجورة ، وهي تضم مجموعة من أكبر الكنائس وأقدمها ، منها الكاتدرائية ، وأبوم جيزو . وتعد مارغو وباناجي العاصمة من أبرز المدن في غووا ، فهما تحتويان على البيوت الخاصة ، والمباني الحكومية التي تعود إلى عهد البرتغاليّن.

وتنتعش الحياة الاقتصاديّة والتجاريّة في مدينة مابوسا ذات الأسواق التجاريّة ، فالبضائع تعـرض بمختلف أنواعها في المحلات التجاريّة ، فـضلاً عـن عرضـها عـلى الأرصـفة والـشواطئ ، في أشـكال جميلـة جذابة ، وتعّد مدينة مابوسا ومارغو ذات أغلبية مسلمة ، وتتميز الأحيـاء فيهـا بأنهـا قديمـة ومتواضـعة، والأهالي فيهما بسطاء ، يبدو أن إحدى هاتين المدينتين هي التي أشار ابـن بطوطـة.إلى افتتـاح المـسلمين لها ، ومما يؤكد ذلـك وجـود الكنـائس في قـسم منهـا ، كـما أن هنـاك جـامع عظـيم قـائم ، ويبـدو أنـه

[1] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلـوم ، الطبعـة 1 ، 1422 / 2002 ، جـزء-1 ، ص 141 – 142 ..

نفس الجامع الذي وصفه ابن بطوطة فهو قديم على الرغم من صيانته وترميمه ، كما أنه مهيب ملفت للنظر ، يوحي بالأجواء الدينيّة الروحانيّة الخالصة لله تعالى .

وهذا المسجد مربع البناء سوره ليس عالياً ، وهو مطلي باللون الأخضر، وكسائر معظم المساجد في الهند ، يبدوأنه ملحق به مدرسة لتدريس القرآن الكريم وتعاليم الإسلام لأبناء المسلمين .

تتواجد في أحياء غووا مجموعة من السائحين الأجانب معظمهم من الغربييّن ، لاسيما الألمان والبرتغال ، وهم يجوبون الطرقات والشواطئ بدراجاتهم النارية ، التي يستأجرونها من الشركات السياحية الخاصة بوسائل التنقل ، أو قد يشترونها ثم يبيعونها عند الرحيل ، كما أن البعض من هؤلاء مجموعة تشبه المشردين .

تشتهر غووا ، لاسيما المنطقة الجنوبيّة بالشواطئ الممتدة ، حيث بحر العرب ، ومن الشواطئ الشهيرة التي يؤمها السائحون ، لاسيما من أوروبا ، شاطئ فاجوتو ، وأنجونا وبيغا وكندوليوم ، تمتد تلك الشواطئ وأمامها الرمال التي خلفها خط متواصل من نخيل جوز الهند ، والبابايا ، فضلاً عن أشجار الموز والكاجو ، كما تنتشر شواطئ أخرى مثل ميرامار ، كولفا ، كالنغاتا .

تعرض على الشواطئ وفي الأحياء ، المنتجات البحرية من أسماك ، وأصداف، فضلاً عن القوارب الصغيرة ، التي تسّير رحلات بحرية قصيرة تستغرق الساعة أو يزيد ، وتباع في المحلات التجارية منتجات مختلفة ، لاسيما ماله علاقة بالبحر من ملابس ، وحقائب وإكسسوارات وأدوات الزينة ، كما تشتهر غووا بإنتاج الكاجو ، فضلاً عن النبيذ ، والمطاعم المفتوحة (الدابا) والتي تنتشر على شكل مقاهي أيضاً ، والوجبة الرئيسّية التي تقدم في غووا هي الأسماك بمختلف أنواعها ، إلى جانب الأطعمة النباتيّة الخفيفة[1].

لقد صبغت أربعمائة وخمسون عاماً من الحكم البرتغاليّ ، غووا ، وقراها، ومبانيها ، وأهلها بثقافة فريدة ، فالكنائس المطلية بالكلس تكلل المعالم الطبيعيّة وتحيط بها القرى الهادئة الساكنة وحقول الأرز والموز والعنب ومراعي المواشي ، فضلاً عن

[1] غووا ، الهند ، فبراير ، 2008

المرتفعات الخضراء ، حول الولاية . كما تبدو الأسواق ومنها أسواق الخضروات والفاكهة واللحوم من حيث هندسة البناء والنوافذ ، والألوان والأسطح المسقوفة بالقرميد الأحمر بأنها ذات طابع مختلف عن الطابع الهندوسيّ المغوليّ ، وكذلك المباني والمكاتب والمؤسسّات الحكوميّة .

د – أهم المعالم حول غووا

تعد قلعة غووا من المعالم البارزة ، فقد بنيت هذه القلعة الضخمة على مرتفع ، يشرف على أجمل مناظر شواطئ بحر العرب المترامية الأطراف ، وتحيط بها المباني الفاخرة ، لقد صمم البرتغاليّون هذه القلعة كقاعدة بحرية حماية لوجودهم ومستعمراتهم في الهند من هذا المنفذ الذي يعد شريان الحياة بالنسبة لهم .

تضم هذه القلعة ، الغرف ، والمكاتب ، والاستراحات ، فضلاً عن المخابئ والحصون والمنافذ وآبار الماء التي أتقن البرتغاليّون جلبها بالحفر ومد الأنابيب، إضافة إلى المحاكم والسجن .

ويجذب السائحين متحف التراث البرتغاليّ الذي يعكس جانباً من الحياة الاجتماعيّة والتاريخيّة ، لمن عاش في غووا ، أو استوطنها ، يبدو هذا المتحف على شكل منزل صغير الحجم ، يعود إلى عائلة برتغالية منذ 400 عام ، حيث كان لهذه العائلة الدور في حكم الولاية ، وتوارث أبناؤها ذلك ، وقد سلمه صاحبه البرتغاليّ إلى أحد الهنود أو من يسمون أنفسهم (غوون) وقد حوله إلى متحف يصور نظام الحياة منذ عدة قرون ، حيث تعرض غرفة الاستقبال والمكتبة ، والقاعة العامة ، بما فيها من مقاعد تقليديّة ، فضلا عن السجاد والثريات والزهريات ، والتحف النادرة كما يعرض المطبخ والمخزن ، فالمطبخ يضم المواقد القديمة ، فضلاً عن أدوات الطبخ من قدور وأطباق وجرة كبيرة من الجرانيت لتخزين السّكر والحبوب والماء ، والطرق البسيطة التقليديّة ومنها إبعاد الحشرات عن تلك الأواني ، ذلك بوضع صينية من رخام تحت الجرة ، بها ماء، بحيث تنزلق الحشرات فيها لاسيما النمل ، فضلاً عن المراوح ، وطرق التهوية ، لاسيما في المطبخ والحمامات[1].

---

[1] مهارشترا ، غووا ، الهند ، فبراير ،. 2008

يقع على مقربة من متحف التراث ، متحف المائـة خطـوة ، بحيـث تخطـو مائـة خطـوة فـيما يشبه الغابة المليئة بالأشجار والأزهار والنباتات كما تعـرض أنـواع مـن تـراث غـووا التقليـدي ، وسـائر ولايات شبه القارة الهنديّة ، من صناعة السفن ، وأدوات صيد السمك ، والحيوانات المفترسة و الداجنة ، إضافة إلى بعض الصناعات اليدويّة مـن نـسيج الأقمـشة ، والأزيـاء الهنديّـة ، ولا بـد أن نـشير إلى أن الأزياء في غووا تميل إلى الطراز الغربيّ ، حيث اختلط البرتغاليون بالجنس الهنديّ عن طريـق التـزواج ، ونتج عن ذلك ما يسمى بــ (غوون) وكأنهم جنسية أخرى تختلف عن الجنس الهنديّ ، ويبـدو ذلـك واضحاً في الأزياء المختلفة عن الزيّ التقليديّ الهنديّ ، وهو الساريّ أو الزي الراجستانيّ الذي أشرنا إليه أو البنجابيّ ، وتعرض أيضاً زوايا تمثل مختلف المهن من حـدادة ، وزراعـة ونجـارة وذلـك فـيما يقـارب المائة خطوة .

تتميّز غووا بكونها منطقة جذب سياحيّ طبيعيّ ، فهي جزيرة تحـيط بهـا الـشواطئ والمنـاظر الجميلة والغابات والحقول الخضراء ، فضلاً عن كونها ولاية صغيرة هادئة تتميـز بالنظافـة والتنـسيق ، وصفاء الشواطئ .

الفصل الثاني

الطبيعة الساحرة في الجنوب

1 – مواطن الجذب الطبيعيّ في ولاية كيرلا

أ – كيرلا ما بين القديم والحديث

توحي الرحلة إلى الجنوب بالمغامرة والفرح ، حيث الحضارة الغنية المتنوعة بمعالم الطبيعة من السواحل والمرتفعات وساعدت الرياح الموسميّة التي تحدث مرتين بالسنة ، على هطول الأمطار في فصل الصيف ، وأوائل الشتاء ، على أن تكون الثمار والأشجار في الجنوب ذات حجم ولون بهيج نضر ، فالمناظر بما فيها من غابات على الساحل الغربيّ من المليبار ، حيث تمتد الأشجار والنخيل ذات اللون الداكن ، فضلاً عن البرك الخفيفة وبرك اللوتس والبحيرات المغطاة بالزنبق الأحمر .

وتمثل كيرلا ، قطاعاً طويلاً من الأرض الساحرة النائمة جنوب شرق غربيّ الهند ، لقد استمدت كيرلا اسمها من الطبيعة ، من كلمة كيرام أي شجرة جوز الهند ، كما أطلقه البريطانيّون ، بينما يرى أهل كليكت في كيرلا ، وأغلبهم مسلمون ، وحيث الاتصال بالعرب غرباً وجنوباً ، أن كيرلا تعني (خير الله) حيث أطلق العرب عليها ذلك اللقب لما بها من بركة وخيرات وفيرة من أشجار ومياه جارية .

ويحفل تاريخ كيرلا بالعلاقات التجاريّة ، منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، مع الفراعنة والفينيقيّين والصينيّن والبابليّن والعرب والبرتغاليّن حيث نزلوا 1498 وتبعهم الهولنديّون والبريطانيّون الذين طمعوا بثرواتها من العاج وخشب التيك والتوابل[1] .

تتخذ الرحلات والتنقلات بين أنحاء الهند، خط سير ممتعاً وجميلاً ، لاسيما إذا كانت الرحلة بريّة ، أو بحريّة ، إذ يمكن رؤية الطبيعة ، بما فيها من تنوع وسحر ، فضلاً عن ملاحظة الطرق ، والقرى ، وما يؤدى على جنباتها من ممارسات الحياة البسيطة في ظاهرها العميقة في معانيها ، وسوف نشير في هذا السياق إلى خط رحلة

[1] كيرلا، كوتشين، الهند، فبراير، 2006

ابن بطوطة، وأبرز ملاحظاته حول المدن والطرق ، والطبيعة ، والطقوس الدينيّة ، والعادات والتقاليد في المجتمع الهنديّ آنذاك ، مع محاولة الربط بين ملاحظاته ، ومشاهداتنا .

يقول ابن بطوطة بعد تجاوزه غووا غرباً متجهاً إلى الجنوب بحراً :... » ورسينا على جزيرة قريبة من البر فيها كنيسة وبستان وحوض ماء ...» ثم وصل إلى مدينة ساحلية أخرى اسمها هنور فهو يتحدث عن أزياء النساء في هذه الجزيرة : «..ونساء هذه المدينة وجميع البلاد الساحليّة لا يلبسن المخيط ، وإنما يلبسن ثياباً غير مخيطة تحتزم إحداهن بأحد طرفي الثوب ، وتجعل باقيه على رأسها وصدرها، ولهن جمال وعفاف ، وتجعل إحداهن خرص[1] ذهب في أنفها، ومن خصائصهن أنهن جميعاً يحفظن القرآن الكريم . ورأيت بالمدينة ثلاثة عشر مكتباً لتعليم البنات وثلاثة وعشرين لتعليم الأولاد«... [2]

نجد أن ابن بطوطة يصف الزيّ وهو الساري الهنديّ حالياً مع فروق قليلة ، فهو غير مخيط ، ودون الصد يرى القصير ، الذي يرتدى معه حالياً ، ومما يلفت أن المرأة المسلمة كانت ترتدي هذا الزيّ لاسيما في المناطق الساحليّة ، حيث الرطوبة والحرارة، إذاً الساريّ كان شائعاً بين النساء المسلمات ، إلا أنه اختفى حالياً بينهن ، فهن الآن يرتدين الزيّ الإسلاميّ ، العباءة الواسعة والحجاب أو النقاب ، بينما لا تزال النسوة لاسيما في راجستان يضعن طرف هذا الساريّ أو الغطاء على الرأس والوجه بحيث يغطيه ، كما لا تزال أغلب النساء في الهند يضعن الحلق وبمختلف الأحجام والأنواع ، فقد يكون حجمه كبيراً أحياناً ، لاسيما في راجستان إلا أن هناك نساء مسلمات في كولام وكوفلام في كيلا يرتدين الأزياء الهندوسية فالكم قصير ودون غطاء أو جلباب

ولا تزال دروس تعليم القرآن تنتشر في معظم ، وربما جميع الولايات الهنديّة ، وقد يعجب أحدهم من وجود ذلك في بلد ، الهندوسّية فيه ذات نسبة عالية جداً ، مما

[1] الخرص : قطع صغيرة تشبه القرط من ذهب أو فضة.

[2] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009/1430 ، جزء 2-، ص 158 -157.

يؤكد أن الإسلام الحق راسخ ومتأصل في أنحاء من الهند ، فهناك مراكز أو مدارس إسلاميّة لها دور في تعليم القرآن وحفظه ، و مدارس الحكومة بها صفوف للمسلمين خاصة بهم ، في بعض الولايات ، فضلاً عن مراكز التعليم في العطل أو الفترات المسائيّة

ذكرنا كما تقدّم أن رحلة ابن بطوطة بدأت من قوقة سندا بور ثم غووا ، حتى وصل كولام وهي إحدى المدن في كيرلا ، وقد استغرقت الرحلة البحرية شهرين[1].

يصف ابن بطوطة ، كيرلا التي كان يطلق عليها بلاد المليبار ، قائلاً : «... هي بلاد الفلفل ... والطريق في جميعها بين ظلال الأشجار ، وفي كل نصف ميل بيت من الخشب فيه دكاكين يقعد عليها كل وارد وصادر ... وعند كل بيت منها بئر يشرب منها ورجل كافر موكل بها ، فمن كان كافراً سقاه في الأواني ، ومن كان مسلماً سقاه في يديه ولا يزال يصّب له حتى يشير له أنه يكفّ . وعادة الكفار ببلاد المليبار ، أن لا يدخل المسلم دورهم ولا يطعم في آنيتهم ، فإن طعم فيها كسروها أو أعطوها للمسلمين ، وإذا دخل المسلم موضعاً منها لا يكون فيه دار للمسلمين ، وطبخوا له الطعام وصبوه على أوراق الموز وصبّوا عليه الإدام، وما فضل عنه يؤكلونه الكلاب والطير ...[2].

يتطابق ما تقدم ، مع ما تبدو عليه الطرقات والقرى في الجزء الغربيّ والجنوبيّ وحتى في أجزاء أخرى ، من وجود نخيل جوز الهند والباباي ، فضلاً عن أشجار المطاط و المانجا الظليلة ، حيث تحيط بمساحات واسعة من حقول الأرز ، فضلاً عن البحيرات والأنهار والبحار الجارية الغنية بثمار البحر .

نجد أن السياحة في الهند تقوم بشكل عام على المحافظة على القديم الذي يوحي بحياة البدائية مع التقدم ومواكبة الحديث ، إذ لا تزال البيوت الخشبية قائمة في القرى وأطراف المدن ، وطرقات الغابات النائية ، كما أنه لا وجود للبقالات الكبيرة

---

[1] نظر ، الملحق ، ص 291.

[2] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009 / 1430 ، جزء 2-، ص. 161

في تلك الأماكن النائية ، وأحياناً بعض المدن ، ويمكن ملاحظة وجود دكاكين صغيرة تبيع بعض المستلزمات للمارين ، كما تقدم المطاعم المفتوحة الوجبات الخفيفة للمسافرين ومرتادي الطرق البعيدة[1] .

وقد أشار ابن بطوطة إلى بعض تقاليد الضيافة ، وحسن معاملة الغريب ، ومن ذلك وجود البئر ، ولا تزال تلك الآبار موجودة في الأماكن البعيدة عن يد العمران ، وحيث يحفرها أهل الخير لاسيما من دول الخليج العربيّ ، فضلاً عن تجار وأثرياء الهنود المحسنين من المسلمين وغيرهم . كما يلفت الانتباه أن الكفار ويقصد الهندوس ، أنهم لا يتناولون في أطباق المسلمين ، وربما هو عكس ما يحدث الآن في بعض البلاد الإسلاميّة ، ولا تزال الطبقة العليا في الهندوسّية وهي البراهمة تتجنب تناول الطعام مع من هم أدنى منها خاصة في . ويبدو أن وضع أوراق الموز في الطبق ووضع بعض الوجبات فوقه لاسيما السمك أو المشويات فضلاً عن الخبز الذي يلف أو توضع تحته محارم ورقية في سلة من المامبو عادة متبعة حتى الآن . كما أننا نلمح في أقوال ابن بطوطة عادة إكرام الغريب واعتباره ضيفاً يقدم له الطعام ويسقى الماء ، لاسيما من تقطعت بهم السبل .

ونتبين من أقوال ابن بطوطة نظام ملكية البساتين ، وتنظيم الطرقات ، وهندسة البناء ، فهو يصف الطريق في سيره لمدة شهرين ونزوله أحياناً بعض المحطات قائلاً : "... ليس فيه موضع شبر فيما فوقه دون عمارة ، وكل إنسان على حدة وداره في وسطه ، وعلى الجميع حائط خشب أي مسّور والطريق يمر في البستان ، فإذا انتهى حائط إلى بستان كان هناك درج خشب يصعد عليها، ودرج آخر ينزل عليها إلى البستان الآخر هكذا مسيرة الشهرين..." [2]

نجد مما تقدم هندسة المباني وتنظيم الطرق ، في القرن الرابع عشر للميلاد، ولا يزال جزء من هذا النظام موجوداً ، لاسيما في القرى والأرياف وحتى أطراف المدن ،

[1] كيرلا، كوتشين، الهند، فبراير، 2006.

[2] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 1430 / 2009 ، جزء -2 ، ص 161 .

فإن تغيرت الأشكال والأحجام والزخرفة أحياناً في البيوت والأكواخ البسيطة الخشبية وسط الحقول ، إلا أن المنازل مسورة بالأشجار والنخيل وتتخللها أيضاً الطرقات والدروب ، وأحياناً السور الخشبيّ الذي يشبه الحد الفاصل ،و تبدو الأكواخ والبيوت المتواضعة وأحياناً الفخمة ، على امتداد الطرق البريّة والساحليّة ، وما بين الغابات والمرتفعات ، حيث هي وسط بساتين أو حقول خضراء بهيجة ، ويزرع في الحقول الأرز والقمح والموز والبطيخ و الكاجو وغيرها .

لا يزال النظام وإن كان قديماً يعمل به تقريباً ، وإن حدثت بعض التغييرات ، فالبيت وما حوله من حقول ومزارع تتوارثها الأسرة التي تمتلكها ، حيث تقتطعها الدولة للمواطن، بالمشاركة وقد تمتلكها مع مرور الزمن مما يعمل على تطوير الزراعة والاهتمام بالتنمية الزراعيّة[1] .

كما يشير ابن بطوطة أيضاً إلى طريقة التنقل أثناء السفر بين القرى والمدن والسواحل في أنحاء الهند ، فهو يقول "... لا يسافر أحد في تلك البلاد ولا تكون الخيل إلا عند السلطان ، وأكثر ركوب أهلها في دولة على رقاب العبيد أو المستأجرين ، ومن لم يركب يمشي على قدميه كائناً من كان ، ومن كان له رجل أو متاع من تجارة وسواها ، اكترى رجالاً فترى هناك التاجر ومعه المائة فما دونها أو فوقها يحملون أمتعته ، وبيد كل واحد منهم عود غليظ له زج حديد في أعلاه مخطاف من حديد ، فإذا أعيا ولم يجد دكانه يستريح عليها ، ركز عوده بالأرض وعلق حمله منه فإذا استراح أخذ حمله ومضى..." [2] نجد أن تلك الطرق كانت تستخدم قديماً للتنقل منذ القرن الرابع عشر وما قبله ، ثم استخدمت بعد ذلك في المناطق المرتفعة ، ومثال ذلك (منار) وهو منتجع سياحيّ في كيرلا ، حيث كان الموظفون البريطانيّون يحملون على أعناق أربعة رجال ، بعد أن يعتلوا ما يشبه المحفة الخشبيّة أو مفرش من الخيش ، ذلك في القرن الثامن عشر والتاسع ، بينما استخدمت في قصور السلاطين والمهراجا ، لاسيما في

---

[1] كيرلا، ترانتنا بورم، الهند، يوليو، 2010

[2] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 1430 / 2009 ، جزء -2 ، ص 161 .

الأعياد وحفلات الزفاف ، الهوادج ، أو ما يشبه الكرسيّ الذي يحمل هو وراكبه على الأعناق ، أو يدفع مثل العربة ويسمى (البوش بوش) ولا تزال تستخدم في القرى والمدن الصغيرة ، كما تقدم عربات حديديّة أو خشبية يجرها الإنسان ، أما العربات التي تجرها الثيران والأبقار الوحشيّة والجمال فهي كثيرة فضلاً عن التنقل سيراً على الأقدام فغالباً ، ما تجد من يسير على قدميه بين الغابات والأدغال ، فالأسرة تنتقل مسافة تقدر بساعات ، توفيراً لتكاليف المواصلات ، كما أن البعض يرى في المشيّ صحة للبدن والروح ، و يسير البعض أياماً متتابعة ، ويتوقفون للراحة، ويفعلون ما يفعله من أشار إليهم ابن بطوطة ، إذ ينامون ، ويتناولون الطعام ، ويستحمون في استراحات مخصصة في الطرق النائية ،ومنهم الذين يؤدّون الطقوس الخاصة بهم في معبد ويقطعون إليه تلك المسافات البعيدة حيث بلدة فارناسي الدينية[1]

ويمضي ابن بطوطة متحدثاً عن الأمان والسلامة في الطرق قائلاً :"... ولم آت طريقاً آمن من هذا الطريق ، وهم يقتلون السارق على الجوزة الواحدة ، فإذا سقط شيء من الثمار لم يلتقطه أحد حتى يأخذه صاحبه ..." [2].

لا زالت تلك الطرقات تنعم بشكل عام بالأمن وحسن التنظيم ، حيث الإجراءات الأمنية ، والملاحظة لمحطات الدخول والخروج ، وحيث أن العنف ضد الأجانب غير معروف في الهند ، ولعله كما يقول البعض آمن لك أن تسير ليلاً في ساعة متأخرة في دلهي ، أكثر من أماكن عدة في بلادك .

ويؤكد ذلك شركات السياحة والسائقون ، وأصحاب الفنادق ، إذ تبدو الطرقات والمدن آمنه في الهند ، عدا طريق أو طرق قليلة داخلية يتجنبها السائقون ليلاً فقط ، فضلاً عن ولايتين ينصح بتجنب عصابات تقوم بالسلب والنهب فيهما ، وهما بيهار ، وأوترابراديش .

---

[1] كيرلا، منار، الهند، يوليو، 2010/2006

[2] درويش الجويدي، رحلة ابن بطوطة، بيروت، مطبعة أبناء شريف الانصار،1430/2009 جزء2،ص162.

ويتحدث ابن بطوطة أثناء سفره بحراً إلى بلاد المليبار ونزوله في بعض المدن والقرى عن أشجار الفلفل التي تشاهد على امتداد الطرقات ، وفي المزارع التي تشبه الغابات لما بها من أشجار وثمار متنوعة ... شجرات الفلفل شبيهه بدوالي العنب ، وهم يغرسونها إزاء النارجيل [1] ، فتصعد فهو يقول:" شجرات إلا أنها ليس لها عسلوج [2] ، وإذا كان أوان الخريف قطفوه ، وفرشوه على الحصر في الشمس كما يصنع بالعنب ... ولا يزالون يقلبونه حتى يستحكم يبسه ويسود ، ثم يبيعونه إلى التجّار ... ولقد رأيته بمدينة قالقوط [3] يصّب للكيل كالذرة ببلادنا..." [4].

نجد مما تقدم ، أن ابن بطوطة وصف بدقة شجرة الفلفل ، والطريقة المتّبعة في تجفيفه وغيره من البهارات ، ولا تزال هذه الطرق هي المتّبعة بدقة ، ومنها فصل القشر عن الأرز ، وإعداد علف للمواشي من بقايا سنابل القمح والأرز وغيرها ، لا غرابة في أن تجد ما يشبه الحصير أو الخيش مبسوط كسماط المائدة في الطريق وعليه نخالة القمح أو الذرة ، فضلاً عن بعض الحبوب والبهارات لتجفيفها و إعدادها للبيع فيما يسمى الجون كيس الخيش أو القماش ، ذلك على مرأى من المارة في الطرق المؤدية إلى الحقول والبساتين[5] .

وتقع الأكواخ أو البيوت الصغيرة قريباً من الحقول ، فالهنود يعيشون في بيوت صغيرة من الطين أو الخشب ، حيث تعيش العائلة الكبيرة في ذات المنزل ، وتقسّم الغرف بين الرجال والنساء ، وتعتني العائلة بالمحاصيل في تلك الحقول الخاصة بها ، أو في حقول أناس آخرين لقاء أجر يوميّ ، وحتى العائلات الثرية ، لاسيما من أجيال الملوك السابقين يهتمون بزراعة المحاصيل والخضار الخاصة في

---

[1] النارجيل : نخيل جوز الهند.

[2] العسلوج : الغصن اللين الطريّ.

[3] قالقوط : مدينة كلكيت وتعرف الآن باسم كوزيكود.

[4] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 1430 / 2009 ، جزء -2 ، ص 156 .

[5] التاميلينادو، شيناي، الهند، ديسمبر، 2006

حدائقهم بمساعدة العاملين ، فضلاً عن تربية المواشي ، بخاصة الأبقار و الجواميس والماعز والدجاج لذا نجد أن العائلات الزراعية وهي كثيرة جداً في الهند تختزن الأرز والقمح في المنازل بعد الحصاد ، وتعد لذلك ما يشبه الأكواخ الصغيرة من القش والتي تكون على شكل كوم يكدس فيها المحصول ، فضلاً عن تخزين الأخشاب لاسيما في المناطق الباردة. أما التسوق فيكون مرة في الأسبوع أو ما بين الأسبوعين لشراء الضروريّ ، والأطعمة معظمها طازج ، لا وجود للمعلبات ، لاسيما في الأرياف وأطراف المدن ، وبحيث تعّد البهارات يومياً وتخلط لاستعمالها طازجة ، وغالباً ما تباع هذه المواد في أكياس من ورق حيث لا وجود للمعلب أو الزجاج أو الثلاجات ، و إن وجد ذلك ففي المدن الكبرى وهو نادر[1] .

ونعود إلى استمرار ابن بطوطة في وصفه للمدن التي مرّ بها وبالترتيب ومنها مدينة منجرور ، والتي يمّر بها المسافر عن طريق البرّ من كوتشين ، وكذلك من ولايات أخرى فهو يقول" :... وأول مدينة دخلناها من بلاد المليبار مدينة أبي سرور[2] وهي صغيرة على خور [3] ، كثيرة أشجار النارجيل ، وكبير المسلمين بها الشيخ جمعة ، أحد الكرماء أنفق أمواله على الفقراء والمساكين ، وبعد يومين وصلنا إلى مدينة فاكنور [4]مدينة كبيرة بها قصب السّكر الكثير الطيب ، وبها جماعة من المسلمين وقاضي وخطيب ولما أرسينا على فاكنور بعث سلطانها إلينا بولده ، فأقام بالمركب كالرهينة ونزلنا إليه . فأضافنا ثلاثاً بأحسن ضيافة ، تعظيماً لسلطان الهند وقياماً بحقه ... ومن عادتهم هناك أن كل مركب يمر ببلد ، فلابد من إرسائه بها ، وإعطائه هدية لصاحب البلد يسمونها حق البندر.[5]ومن لم يفعل ذلك خرجوا في أتباعه بمراكبهم ، وأدخلوه

[1] التاميلنادو، شيناي،الهند، ديسمبر، 2006

[2] سرور : اسمها حالياً برسلور.

[3] خور : الخليج.

[4] فاكنور : يبدو أن هذه المدينة اندثرت.

[5] البندر : البندر المرسى أو الميناء ، أي حق المرور بالميناء.

المرسى قهراً ، وضاعفوا عليه المغرم ، ومنعوه من السفر.." [1] وهكذا حتى وصل ابن بطوطة منجرور [2] بعد ثلاثة أيام فهو يقول ... وقد كان ينزل بها تجار فارس واليمن، وفيها الكثير من الفلفل والزنجبيل ... اتجه ابن بطوطة إلى مدينة اندثرت حالياً وتسمى هيلي وقد كانت حسنة العمارة على خور عظيم تدخله المراكب ، ومدينة هيلي معظمة عند المسلمين والكفار بسبب مسجدها الجامع ، فإنه عظيم البركة مشرق النور، وركاب البحر ينذرون له النذور الكثيرة وله خزانة مال عظيمة ... وبهذا المسجد جماعة من الطلبة يتعلمون العلم ولهم مرتبات من . مال المسجد ، مطبخه فيها الطعام للوارد والصادر ولإطعام الفقراء من المسلمين بها ... ثم سافرنا من هيلي إلى جرفتن.[3] ، و يستمر ابن بطوطة في حديثه عن المدن التي تقع على الخلجان ، وكثرة البساتين التي بها نخيل جوز الهند والفلفل والفول والقلقاس الذي يطبخ مع اللحم ، ويشير إلى كثرة الموز ورخصه فضلاً عن أشجار الباين العظيمة حيث طوله خمسمائة وعرضه ثلاثمائة قدم ، وحوله قبب من حجر عددها ثمان وعشرون وكل قبة بها أماكن للجلوس ... وقد عمر هذا البناء وبقربه مسجد هندوسّي ، ونجد ذلك في قوله ".. الذي عمّر المسجد و الباين أيضاً هو أحد أجداد كويل ، وإنه مسلم ولإسلامه خبر عجيب نذكره . رأيت إزاء هذا الجامع شجرة خضراء ناعمة ، تشبه أوراقها أوراق التين ... وعليها حائط يطيف بها ... وعندها محراب ... واسم هذه الشجرة عندهم درخت الشهادة ، وأخبرت هناك إنه إذا كان زمان الخريف من كل سنة ، تسقط من هذه الشجرة ورقة واحدة بعد أن يستحيل لونها إلى الصفرة ثم الحمرة ، ويكون فيها مكتوباً بقلم القدرة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وأخبرني جماعة من الثقاة ، أنهم عاينوا هذه الورقة و قرأوا المكتوب الذي فيها ، وأخبروني أنه إذا كانت أيام سقوطها ،

---

[1] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009 / 1430 ، جزء 2-، ص163 -162

[2] منجرور : هي مدينة منقلور

[3] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009 / 1430 ، جزء 2-، ص. 164 - 163

قعد تحتها الثقاة من المسلمين والكفار ، فإذا سقطت أخذ المسلمون نصفها وجعل نـصفها في خزانـة السلطان الهندوسّي ، وهم يستشفوون بها للمرضى [1]...."

يجدر بنا هنا أن نـشير إلى أن مدينـة جـرفتن اسـمها اليـوم(كنـانور)، وفي الطريـق إليهـا مـروراً بكليكت يوجد مسجد كبير يتوقف عنده المسلمون والهندوس لتقديم النذور أو التبرك بدفع مبلغ ولو بسيط من المال دفعاً للشر وطلباً للخير كما يعتقدون، كما أن حقول الأرز ونخيـل جـوز الهنـد وغيرهـا من ثمار ، فضلاً عن الخلجان أو البحيرات التي كونتها الأمطار ، لا تزال موجودة ، وإن أشار الـبعض إلى زحف العمران والقضاء على الأخضر منذ ثلاثين عاماً تقريباً .

ونجد أن فئة من الهندوس اعتنقت الإسلام ، وأعـدادهم كثـيرة في كـيرلا ، لاسـيما كلكيـت ومـا حولها ، كما نقف على طرق المعاملة للـضيف ، فتقـديم الـضيافة ، واجـب لمـدة ثلاثـة أيـام ، وتقـديم الهدية واجب أيضاً على الزائر ، وهذا ما يشبه ضرائب أو رسـوم الـدخول ، وتوضـح لنـا قـصة الـشجرة الاعتقاد بالماورائيات و الغيبيات لاسيما الهنود ، الذين كانوا يحترمون العرب ويجلونهم ، لهـذا اعتنقـوا الإسلام، أما ما حدث بشأن الورقة التي تتساقط من الشجرة ، فقد أكد ابن بطوطة ذلك عن ثقـاة ، ولم يرها هو والـلـه أعلم .

يتحدث ابن بطوطة أيضاً عن مسجد آخر في مدينة ، يوجد بها براهمة وهم عظـماء عنـد الهندوس ومن أشرافهم . ولم يهدم هذا المسجد مع بغض البراهمة للمسلمين آنذاك ، ويؤكـد ابـن بطوطة أن أحد البراهمة أزال سقفه ليـصنع منـه سـقفاً لبيتـه ، واشـتعلت النـار في بيتـه فأصـبح البراهمة لا يتعرضون للمسجد بسوء . وجعلوا بخارجه الماء للسبيل وعلى بابه شـبكاً كي لا تدخلـه الطيور ، تدل هذه القصة إن دلت على شيء على احترام الهنـود للإسـلام وتعظـيمهم لـه وللعـرب واعتقادهم بسوء العواقب ، وحمداً لله لا تزال مدينة كلكيت في كيرلا تشتهر بكثرة وجود المساجد التابعـة لأهـل الـسّنة والجماعـة ، ففـي كـل خطـوة تقـدّر بكيلـومترين أو يزيـد تجـد مـسجداً

[1] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 1430 / 2009 ، جزء -2 ، ص 165 .

وإن كان صغيراً ، بين المباني أو جنباً إلى جنب مع الشقق السكنيّة ، فضلاً عن أمهات المساجد الكبرى، التي توجد وسط الروضات والبساتين .[1]

ب - مدينة كلكيت ، تاريخها ، أهم معالمها

تعد (كاليكوت) كلكيت يطلق عليها (كوزيكود) وقد ذكرها ابن بطوطة قالقوط من المدن الهامة في كيرلا، وتبعد عن (كوتشين) 225 كيلومتراً ، أي ما يقارب خمس ساعات بالسيارة تسير في طريق يلفه حزام من نخيل جوز الهند والباباي ، وأشجار الموز وغيرها ، كما تزينها البحيرات والأنهار والشواطئ الجميلة ، وقد أشار ابن بطوطة إلى مدينة كلكيت وما حولها وقد تحدثنا عن بعض المدن فيما تقدم ، أما وصفه لكلكيت فهو "... ثم سافرنا إلى مدينة قالقوط ، وهي إحدى البنادر العظام ببلاد المليبار ، يقصدها أهل الصين والجاوة وسيلان والمهل [2] وأهل اليمن وفارس ويجتمع بها تجار الآفاق ، ومرساها من أعظم مراسي الدنيا.."[3]

تتميز مدينة كليكيت بأنها ساحلية ، و تشرف على شواطئ بحر العرب ، لاسيما شاطئ كاباد الشهير ، حيث وقف أمامه الرحالة المستكشف البرتغاليّ فاسكود جاما 1498 وتعّد منطقة جميلة ذات جذب سياحيّ طبيعيّ ، فضلاً عن كونها منطقة للإبحار وصيد السمك .

ومما يجعل كيرلا لاسيما شمال غرب ، منطقة طبيعيّة خلابة ، هو وجود شواطئ بحر العرب ، حيث يلتقي البحر بالبحيرات والأنهار والمحيط الهنديّ ، مكوناً ما يعرف بالماء الخلفي ، تتميّز كليكيت وما حولها ، بالبيوت الحديثة وأحياناً الفخمة التي تحيط بها البساتين والحقول التي يمتلكها أصحاب المنازل ، فضلاً عن وجود البيوت الطينيّة والخشبيّة المتواضعة ، فالأحياء الداخلية قديمة يعود بعضها إلى 200

[1] كيرلا، كليكيت، الهند، فبراير، 2006

[2] المهل : جزر المالديف

[3] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009 / 1430 ، جزء 2-، ص. 166

عام أو أكثر ، ذلك من حيث هندسة المباني ، وبناء البيوت القديمة المفتوحة ، ووجود البرك التي تشبه العيون المائية الكبيرة وسط الأحياء ، حيث يستحم فيها الأهالي وخاصة الأطفال ، وحيث تحيط بها كسائر أنحاء الولاية الأشجار الخضراء ونخيل جوز الهند فضلاً عن بعض الدكاكين الصغيرة ، كما توجد المدارس بمختلف أنواعها ، وهي صغيرة متواضعة مكتظة بالتلاميذ ، و توجد المدارس الحديثة والمساجد في بعض المناطق ، كما توجد المراكز التجاريّة وسط بعض المحافظات ، والتي تشبه أسواق الخليج العربيّ ، و بخاصة دبيّ ، ويبدو أن التجار العرب فضلاً عن الهنود لا يزالون يمارسون التجارة وبمنظور حديث ، فالمحلات التجاريّة معظم واجهاتها مكتوب عليها باللغة العربيّة ، إلى جانب الهنديّة ، وأحياناً الإنجليزيّة ، وتزدحم المحلات بمختلف البضائع لاسيما العطور والعود بمشتقاته ، والأقمشة ، كما تتميز تلك المنطقة بوجود مراكز الصرافة بكثرة ، و شركات السياحة والسفريات ، وتنتشر في كليكت حيث معظم الأبناء يعملون في الخليج العربيّ بالثقافة الخليجيّة العربية سواء أكان ذلك في طراز البيوت أو تنظيم الطرقات والشوارع ، أما المطاعم فكثيرة هي التي تبيع الأطعمة الشرق أوسطية التي تشتهر بها دول الخليج العربيّ ، ومنها الأكلات الأردنية والتركية.[1]

ولا بد أن نذكر في هذا السياق أن ابن بطوطة تطرق إلى الطعام الهنديّ ، إعداده وترتيبه ، وقد لخص ذلك في الحديث عن (الطالم)"..: وترتيبه على مائدة السلطان أن يؤتى بمائدة نحاس ، ويجعل عليها طبق نحاس يسمونه الطالم ، وتأتي جارية حسنة ملتحفة بثوب من حرير فتقدم قدور الطعام بين يديه[2] ، ومعها مغرفة نحاس كبيرة ، فتغرف بها من الأرز مغرفة وتجعلها في الطالم ، وتصّب فوقها السمن ، وتجعل مع ذلك عناقيد الفلفل المملوح والزنجبيل الأخضر والليمون المملوح والعنب . فيأكل الإنسان لقمه ويتبعها بشيء من تلك الموالح ، فإذا تمت الغرفة ، غرفت غرفة أخرى من الأرز ، وأخرى دجاجة مطبوخة في سكرجة فيؤكل بها الأرز أيضاً ، فإذا تمت الغرفة الثانية ، غرفت ألواناً أخرى من الدجاج ... فإذا تمت ألوان الدجاج ، أتوا

[1] كيرلا، كليكيت، الهند، اغسطس، 2009.

[2] يديه : أي يدي السلطان.

بألوان من السمك ، فيأكلون بها الأرز ، فإذا فرغ ذلك كله أتوا بالكوشان ، وهو اللبن الرائب وبهذا يختمون طعامهم ، فإذا وضُع علم أنه لم يبق شيء يؤكل بعده ، ثم يشربون على ذلك الماء الساخن لأن الماء البارد يضّر بهم في فصل نزول المطر..."[1]

لقد أجاد ابن بطوطة وصف وجبة طعام دسمة ومتنوعة ، حيث تقدم بين يدي السلطان ، ولا يزال المطبخ الهنديّ متنوعاً بتنوع ثقافته وحضارته ، حيث يقدم الطعام النباتيّ الجنوبيّ ، والشماليّ النباتيّ كذلك ، فيما يعرف باسم (التالي)في بعض اللغات واللهجات الهندية وهو الطالم ذاته على شكل وجبة رئيسّية نباتيّة جنّوبية في صينية ، عليها عدد من الكاسات النحاسيّة الصغيرة ، وكل كأسة أو طبق عميق به الأرز الأبيض ، وأحياناً برياني الدجاج أو اللحم حسب الطلب ، فضلاً عن وجبة آلو جوبي أي قرنبيط بالبطاطس و باهنجان باراتا أي باذنجان مقلي والبانير بمختلف أنواعه وهو جبن الجاموس مع صلصلة حمراء ، أو مشو (تندوري) فضلاً عن مرق البامية مع الكاري والشانا أي الحمص و(الدال) العدس.

قد تصل أنواع هذه الأطباق في بعض الولايات من 16 إلى 36 نوعاً ، وفي بعض الولايات قد تصل إلى ستين طبقاً صغيراً في المناسبات والمواسم كالأعياد . ولا زالت نفس العادة الهنديّة وهي شرب الماء مع الوجبات ، كما أن الهنود لا يميلون إلى شرب المياه الباردة ، إذ لم يعتادوا ذلك ، فهم لا يستسيغون الماء البارد و إن توافر ، وتقدم مع الطالم ريتا، وللتخفيف من النكهات الحارة ، كما تقدم مع الطبق أنواعاً من المخللات ، و السامبا وهي صلصة غليظة حارة يغمس فيها الخبز وغيره[2] .

تعّد العائلة غالباً وجبة رئيسّية في اليوم ، ووجبة أخرى أو اثنتين صغيرتين، بل إن بعض الأسر الفقيرة ، حسب التقارير الإخبارية كانت تعتمد وجبة واحدة ، إلا أن النمو الاقتصاديّ الهنديّ ، قد غير تلك العادات حالياً ، أو هي في طريقها إلى التغيير ،

---

[1] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009 /1430 ، جزء 2-، ص. 159 - 158

[2] كيرلا، كوتشين، الهند، فبراير، 2009.

تستعمل النساء المواقد المكشوفة ، وهي طريقة تقليدية . وتضاف الكثير من التوابل في الطهي ، واللحوم لا تؤكل كثيراً لاسيما في الجنوب ، وأنحاء من الشمال وحتى الشرق والغرب لكون الهنود نباتييّن لا يأكلون لحم البقر ، إلا أنهم قد يتناولون لحم الدجاج والخراف ، وتعّد الأسماك مصدراً للبروتين و بخاصة في الولايات التي بها بحار ، أما العدس ، فهو يؤمن طبق خضار صحّي ورخيص فضلاً عن البطاطا البيضاء والحمراء والقرنبيط ، والبصل والبامية .[1]

كما تصنع أنواع من الخبز الهنديّ الشهيرة مثل الشباتي و النان و البراتا ، والشباتي تقدم منه أنواع منها شباتي بالزيت أو التاوة و التندوريّ بدون زيت ، فضلاً عن البراتا المحشوة بالبطاطس والبصل مع البهارات ، و البراتا الخالية من الحشو . وهناك ما يسمى بالكلجا أي خبز محشو بالجزر والبصل وخضار أخرى ، وبسبب وفرة الأرز والقمح فإن الوجبة الرئيسّية لا بد أن تحتوي الخبز والأرز ، فضلاً عن الخضروات الوفيرة ، كما تعّد منزلياً مقبلات تقدم مع الأطباق ومنها ما يسمى الطرشي أو الأجار، ويحضر من أنواع مختلفة من الثمار والفاكهة لاسيما المانجا والليمون . ويمكن أن نستأنس بطريقة ابن بطوطة في أكل العنبة [2] فقد ذكر "...:وهي شجرة تشبه النارنج ، إلا أنها أعظم أجراماً وأكثر أوراقاً ، وظلها أكثر الظلال ، غير أنه ثقيل فمن نام تحته وعك ، وثمرها على قدر الأجاص الكبير ، فإذا كان أخضر قبل تمام نضجه أخذوا ما سقط منه ، وجعلوا عليه الملح وصيّروه كما يصير الليم والليمون ببلادنا ، وكذلك يصيّرون أيضاً الزنجبيل الأخضر وعناقيد الفلفل ، ويأكلون ذلك مع الطعام ، يأخذون أثر كل لقمة يسيراً من هذه المملوحات ، فإذا نضجت العنبة في أوان الخريف أصفرت حباتها ، فأكلوها كالتفاح، فبعضهم يقطعها بالسكين ، وبعضهم يمصّها مصاً ، وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير

---

[1] كيرلا، ترانتا بورام الهند، يوليو، 2010

[2] العنبة : هي المانجا ، أو شجر المانجا ، وقد تكون أصول الكلمة أورديّة ، فأهل الخليج العربيّ يسمون المانجا (الهمبة) وكأنها مشتركة بين لفظة العنبة .

حموضية ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت بها الأشجار.." [1]لا تزال طريقة إعداد (أجار ، المانجا وغيرها من فواكه شهيرة في الهند ، مع إضافة بعض النكهات الحديثة ، وهي تعد غالباً في البيوت ، والمعامل وبطرق معظمها تقليديّة ، وتباع في المواسم رخيصة وطازجة لكثرتها لاسيما في الجنوب .

جـ - مدينة كوتشين ، أهم معالمها :

تتميز كيرلا بالمدن الرئيسّية التي تطل على أهم المحيطات ، والبحار والأنهار والبحيرات الخفيفة الشفافة ذات السحر الطبيعيّ الربانيّ ، فضلاً عن كونها مدن تتميز بتطور الاقتصاد ونموه إلى جانب المراكز الصحيّة التقليديّة . وتعّد مدينة كوشين (كوتشين)[2] ثاني مدينة رئيسّية بعد العاصمة (ترافاننتابورم) والتي سنتحدث عنها لاحقاً .

أشار ابن بطوطة في رحلته الشهيرة إلى وصوله عن طريق البحر إلى مدينة كوتشين وكان اسمها كنجي كري ، و استغرقت رحلته خمسة أيام ماراً بـ كليكيت وقراها وما حولها من مدن بحراً ، وحالياً تستغرق الرحلة ما يقارب من خمس إلى ست ساعات بالسيارة ، حسب حركة المرور ، وقد ذكرها ابن بطوطة في قوله : «... وهي بأعلى جبل هناك ، يسكنها اليهود ، ولهم أمير منهم ، ويؤدون الجزية لسلطان (كولم /قولم) وجميع الأشجار على هذا النهر أشجار القرفة و البقم [3] وهي حطبهم هناك ومنها كنا نعد النار لطبخ طعامنا في ذلك الطريق ...»[4].

لا تزال كوتشين ميناء طبيعيّ جميل ، وهي مركز كيرلا للتجارة البحرية لعدة قرون ، مما يفسر مرور ابن بطوطة بها في طريقه إلى الصين . وتشهد شبكات الصيد الصينيّة

---

[1] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009 / 1430 ، جزء 2- ، ص.22

[2] كوتشين تختلف عن صحراء كوتش أو كوش شمال غرب الهند .

[3] البقم : هو البطم .

[4] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009 / 1430 ، جزء 2- ، ص.169

التقليديّة القادمة للمد و الفيضانات على العلاقات التجارية بين الهند والصين ، لاسيما كيرلا ، كما تدل المباني المشيدة على امتداد خط الطرف المائي ، على وجود الاستعمار البرتغاليّ والهولنديّ منذ القرن الخامس عشر ، تتميز كوتشين بإنها من أجمل مدن الهند ، وأكثرها ظرفاً وتنسيقاً ونظافة ، فضلاً عن تعايش الأديان بسلام ، والأغلبية الدينيّة في كوتشين مسيحيّة ، إلا أن الأقليات تعيش بتناغم بشكل عام ، وتعتبر كوتشين ، مدخلاً بهيجاً إلى شواطئ وسواحل المليبار ، حيث حياة الاسترخاء والرياضات المائية والرحلات الممتعة بين منتجعات الشاي والبحيرات ، وتشرف المدينة على عدد من الجزر فضلاً اعتبارها من الموانىء الظريفة البهيجة على ساحل بحر العرب ، تضم كوتشين بعض الأماكن السياحية ، مثل القصر الهولنديّ ، الذي بناه البرتغاليون ووسعه وجدده الهولنديون ، وانتقل القصر إلى حاكم كوتشين ، وتحول إلى متحف يرمز إلى الثقافة الهندوسّية ، وتعرض به الملابس والحمالات الملكية ، والأسلحة ، وبعض قطع الأثاث والسلاح .

بنُي كنيس سيناغوغو في مدينة اليهود في القرن السادس عشر 1598 ، وهو مزين بأطباق من النحاس تحمل التوراه اليهوديّة والبلاط الصينيّ المرسوم باليد ، يقع الحي اليهوديّ جنوب حصن كوتشين ، ويتميز الحّي بالشوارع الضيقة جداُ والقديمة ، وتحاط الطرقات بالمتاجر ومحلات الخياطين ، ويمكن رؤية نجمة داود وأسماء يهودية ، كانت أعداد اليهود تقدر بالآلاف ، وتناقصت تلك الأعداد بسبب الهجرة إلى إسرائيل ، ولم يتبق إلا العشرات [1]

كما توجد في كوتشين كنيسة سانت فرنسيس التي يعتقد أنها أقدم كنيسة بناها الأوروبيون في الهند . وقد أودعت فيها رفاة الرحالة فاسكودجاما في بادئ الأمر .كما توجد كنيسة سانت كروز للروم الكاثوليك ، ومقبرة الهولنديين ، ومعبد كونان كوريشو ومعبد شيفا ، مما يدل على الحضارات والثقافات التي طبعت تلك الولاية

[1] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، 2002/1422 ، جزء -1 ، ص 196.

وسائر الولايات الهندية بالتنوع والتعدد وبالتالي الثراء ، لكن دون الإضرار أو التأثير السلبي بشكل عام[1].

ومما تشتهر به كوتشين من معالم ، القرية الصينية ، التي تقع عند حافة البحر في الطرف الشماليّ من شبه الجزيرة ، ويمكن رؤية الشباك الصينية للصيادين ، الذين يرمون على الشاطئ بشباكهم بدفع هرميّ أي أربعة أقطاب ثم تّدلى في المياه ، وترفع بعد ذلك بواسطة جهاز الأثقال الحجرية والبكرات ، و ينتشر على امتداد الشاطئ باعة الأسماك الطازجة ، وباعة الشاي والذرة ، والمثلجات ، والوجبات الجنوبيّة الخفيفة ، فضلاً عن بضائع متنوعة من مستلزمات الزينة ومنتجات خشبية ترمز إلى بيئة البحر ، لاسيما السفن بمختلف أنواعها ، ومنها القارب البيت ، وقارب الصيد الصغير ، وقوارب التجارة القديمة ، وسفن من الخليج العربيّ أيضاً [2].

تقع العاصمة ترانتنا بورم على بعد خمس ساعات بالسيارة ، من كوتشين، وتبدو العاصمة متواضعة مقارنة بـ كوتشين ، و تضم العاصمة مجموعة من المتاحف ، وبه المطار الدوليّ ، والمباني الحكومية ، وقصر الرئاسة ، ويعتبر معبد سري بادماتيسوامي ، وقصر سري بادمان بابورام ، من النصّب التذكاريّة الهامة، تتمتع المدينة بمساحات واسعة خضراء ، وحدائق متنوعة ، وهي مدخل رئيسيّ إلى كيرلا من الجنوب ، واسمها الطويل المعقد مستوحيٍ من (أتاننتا) الثعبان ذو الألف رأس في الميثولوجيا الهنديّة يوجد في العاصمة متحف نابيير الذي يضم مجموعة من برونزيات كيرلا ، ومعرض سري تشتيرا الذي يضم مجموعة لوحات ، وثاني أقدم حديقة للحيوانات ، فضلاً عن متحف التقنيات للعلوم ، وعلى بعد 61 كيلومتراً ، تقع بونمودي وهي مرتفع جميل هادئ تحيط به غابات كثيفة للتنزه والتأمل ، فضلاً عن قرية فيلي السياحية القريبة من العاصمة ، تتميز ترونتنابورام بكثرة الشواطئ الرملية الهادئة ، شواطئ بحر العرب حيث تجد أمامك مسافات تؤدي إلى عمان في الخليج العربيّ، ويعّد شاطئ كوفلام أحد الشواطئ السياحيّة ذات الجذب الطبيعيّ ، لممارسة

[1] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، 2002/1422 ، جزء -1، ص 194.

[2] كيرلا، كوتشين، الهند، فبراير، 2006.

هواية السباحة ، ورياضة المشي على الرمال . وتهب منحنيات الشاطئ حول الخليج المحمي ، وأشجار نخيل جوز الهند و الباباي الباسق ، الخصوصية للسائحين ، وحيث تنتشر المنتجعات الساحلية [1].

يقابل المنتجعات أكواخ الصيادين التي ترتمي بين أحضان الطبيعة ، من بحيرات تحفها الأشجار والنخيل شواطئ البحر الممتدة بأمواجها ، يبعد الشاطئ عن العاصمة اثنى عشر كيلومتراً ، وحيث السعادة القصوى برؤية الرمل الأبيض، والقيام بجولة في قارب بحري ، تحفة نخيل جوز الهند ، وقد يقدم لك أحد الباعة وسط البحر عصير جوز الهند الطازج ، فهو يؤدي عمله على القارب وسط البحر وقد استعد لذلك . ويمكن رؤية آخر نقطة في جنوب الهند من على الشاطئ حيث رأس كومورين ، الذي يقع على بعد ساعتين من كوفلام ، وحيث جزيرة سيرلانكا ثم الوجهة إلى الصين جنوباً من ميناء كولام (كولم) التي توقف عندها ابن بطوطة في رحلته التي قطع فيها مسافة من غرب الهند ، مروراً بكليكيت ، وكوتشين وما حولها بحراً مع النزول للراحة والتزود وقد استغرقت رحلته إليها خمسة أيام بحراً من كوتشين وهي تبعد حالياً عن كوتشين ما بين خمس إلى سبع ساعات بالسيارة ، وتبعد كولام أو كولم مسافة 66 كلم، من العاصمة تيرونتا بورام ، وتعتبر أقدم الموانئ ، التي كانت تستقبل السفن من أنحاء العالم[2].

وصف ابن بطوطة كولام (قولم كولم) في قوله : «... أحسن بلاد المليبار وأسواقها حسان ، وتجارها يعرفون بالصوليين ، وبها من التجار المسلمين جماعة" من أهل العراق " والمسجد الجامع بها عجيب ، عمّره التاجر خواجه مهذب ، وهذه المدينة أول ما يوالي الصين من بلاد المليبار ، وإليها يسافر أكثرهم ، والمسلمون بها أعزة محترمون...» [3].

[1] كيرلا،تيرانتتا بورام، الهند، فبراير، 2006.

[2] كيرلا، كولام، الهند، سبتمبر، 2012.

[3] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 1430 / 2009 ، جزء 2، ص158-159.

لا يزال المسلمون الهنود ، أعزة في كولام ، وهي تعمرها المساجد والمسلمون فيها لهم عادات وتقاليد مستمدة من الخليج العربيّ ، وتركيا مثل الاحتفال بشهر رمضان والمناسبات الدينيّة الأخرى . تتميز كيرلا عن سائر ولايات الهند ، بكثرة المراكز الصحية التقليديّة التي تنتشر في مراكز وفنادق معظم شبه القارة الهنديّة ، إلا أن معقلها كيرلا ، لاسيما مدينة ترانتنا بورم ، ومراكز شهيرة أيضاً في كليكيت وسائر أنحاء الولاية وفنادقها[1] ، ذلك يعود إلى ما للطبيعة من دور وفلسفة الزهد والتأمل، وممارسة التمارين الرياضيّة، والاهتمام بالصحة الغذائية المستمدة من الطبيعة، وفلسفة الزهد في متع الحياة ، حيث ترى الهندوسّية ، أن حاجات الإنسان المادية والدنيويّة رخيصة، ورياضة اليوغا ضرب من الزهد ، وتحرير النفس بالسيطرة على الجسد للوصول فى النهاية إلى تحقيق الاتحاد والحلول في الذات الإلهية العليا كما يعتقدون ، وحيث المرور بمراحل من السلوك القويم ، صفاء الظاهر والباطن بالتحكم في وضعيات الجسد و النفس و مقاومة المؤثرات الحسيّة بالتفكير العميق و التأمل والوجدان الروحيّ [2] ، ومن ذلك نرى أن الشعب الهنديّ يمارس الرياضة صباح مساء ، سواء أكانت رياضة المشي أو رفع الأثقال ، أو ممارسة اليوغا ، وترى ذلك في الحدائق والمتنزهات ، وأمام الشواطئ ، تلك الفلسفة ينتج عنها الاهتمام بالغذاء الصحي والتداوي بالأعشاب والزيوت الطبيعيّة لجميع أجزاء الجسم من الرأس وحتى القدمين ، ويشمل ذلك العين والأنف ، ومساج بالزيوت الساخنة ، التي تعد بالطرق التقليديّة من بهارات وزيوت وأعشاب ، وقطرات للأنف والعين ، والبخار ، والطين الأحمر ، ونصائح حول الوجبات الصحية ، إنه علاج يجمع الطب التقليدي بالطب الروحي ، من حيث التأمل أثناء العلاج ، والتدليك ، فضلاً عن التداوي بالأعشاب أن دعت الحاجة إلى ذلك ، وتنتشر هذه المراكز في العاصمة ، وشواطئ كوفلام بكثرة بحيث نجد في كل خطوة مركزاً ، وتستخدم فى هذه المراكز أدوات

[1] كيرلا، تيرننتا بورام،الهند، يوليو، 2010.

[2] بهيج ملا حوبش ، موسوعة الزاد للعلوم والتكنولوجيا ، مدريد ، مطبعة الزاد ، لا تاريخ، جزء -8 ، ص 1969.

بسيطة تقليديّة بدءاً من السرير ذي اللوحة الخشبية ، إلى القدور ، ومقلاة الزيت ، والمواقد، فضلاً عن جهاز البخار التقليدي ، الخشبيّ . تشكل الطرق في كيرلا وعلى امتدادها حزاماً أخضر من النخيل والأشجار، كما تزين الأرياف والبلدان والمداخل البحيرات والأنهار الصغيرة ، فضلاً عن شواطئ البحار ، ورمالها ، والمرتفعات والهضاب الباردة، وسوف نشير فيما يلي إلى أهم الشواطئ والمنتجعات الجبلية[1].

د - أهم المنتجعات الطبيعيّة في كيرلا

تشرف منتجعات كوماركوم والتي تبعد عن كوتشين ما يقارب الساعتين على بحر العرب ، و تتداخل البحيرات مع الأنهار والبحر ، وتنتشر الأكواخ ، والمنازل البسيطة على جانبي الطرقات الضيقة ، وسط حقول الأرز والقمح ، تبدأ الحياة اليومية برحلة الصيادين الذين يصطادون الأسماك بالشبك أو الطعم ، بينما يستحم الآخرون لينفضوا غبار الأمس ، لمرحلة عمل شاقة حتى المساء ، السيدات يبدأنها بغسيل الثياب ، فضلاً عن الأواني والقدور ، على ضفاف البحيرات والأنهار ، ويمكن سماع ضربات تجفيف الملابس على الصخور أو العتبات الصلبة ، وتمتلئ بعض القوارب المتوسطة الحجم والتي تشبه ما يسمى (بالعبّارة) بالناس من عمال وتلاميذ ، فالطرق إلى بعض المدارس تفصل بينها البحيرات ، وهي بعيدة ، وقد لا تتواجد حافلات في المنطقة ، وهكذا يتسوق الناس ويقصدون المراكز الصحية بهذه الوسيلة الاقتصادية[2].

يقع شاطئ الأبيز على بعد 64 كلم من كوتشين تقطع بالمراكب أو القارب البيتيّ، الذي يشبه البيت أو غرفة الفندق، يقال أن مدينة الأبيز بندقية الشرق ، وهذه المقارنة غير عادلة ، فالبلدان التجارية مبنية على طول بحيرة فمبا ناد وهي ، تجمع بين سحر شبكة قنوات المياه الخلفية، و غزارة الخضرة ، التي تغرق بها أرياف وبلدات ومرتفعات كيرلا ، حيث منابع المياه المتكونة من الأمطار والتقاء البحر العربيّ بالمحيط الهنديّ ، يتمتع الزائر بسباق القوارب ، وغيرها من رياضات مائية لاسيما الاستحمام والصيد ، فضلاً عن رحلات بحرية فى قوارب لا تغادر كيرلا ، ولا تعرف بها إلا

---

[1] كيرلا ، كوتشين ، الهند ، فبراير ، 2006 .

[2] كيرلا ، كوفلام ، الهند ، يوليو ،2010 .

هذه الولاية ، وهي تختلف عن قوارب كشمير ، إلا أن الاسم هو ذاته والقارب يطلق عليه المنزل ، حجمه متوسط ، ويبدو كبيراً مقارنة بقوارب الصيد والتنقل الأخرى , وسطه مسقوف بما يشبه المظلة بالمامبو وخشب وسعف النخيل , أما جوانبه فهي تشبه الشرفة المفتوحة محاطة بسور خشبي ، مشدود بالحبال، والقوارب أنواع من حيث الحجم والجودة ، ولكل تكلفته ، أما مرافق القارب ، فهي ما يشبه صالة للجلوس والطعام ، وجلسة للتمتع برؤية المناظر ، فضلاً عن غرفتين كل غرفة بسريرين ، وإن كانا صغيرين ، إلى جانب الحمام ، ومطبخ صغير تعد فيه الوجبات اليومية الخفيفة .

تعّد صناعة القوارب الكبيرة والصغيرة وسفن الرحلات البعيدة ، ذات قدم في الهند ، لاسيما كيرلا ، فضلاً عن الولايات التي تشرف على مداخل المحيطات والبحار، تلك الصناعة لا زالت موجودة وتستغل لأغراض السفر والتنقل وتصدير البضائع ، لقد ذكّرنا هذا القارب بوصف ابن بطوطة لمراكب الصين وأقسامها ، وطريقة صنعها ، ويبدو أن الخبرة في ذلك متبادلة فهو يتحدث عن أقسام أو ملاحق بعض المراكب قائلاً : "... وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالحصر ، لا تخيط أبداً ويديرونها بحسب دوران الرياح ، وإذا أرسوا تركوها واقفة فى مهب الريح ... وكيفية إنشائها إنهم يصنعون حائطين من الخشب يصلون ما بينهما بخشب ضخام جداً ، موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام ، طول المسمار ثلاثة أذرع ، فإذا التأم الحائطان بهذا الخشب صنعوا أعلاهما فرش المراكب الأسفل ، ودفعوهما في البحر وأتموا عمله وتبقى تلك الخشب والحائطان موالية للماء ، ينزلون إليها فيغتسلون ..."[(1)].

إن طريقة النسيج كالحصر والخيزران ، لا زالت تستخدم في تسقيف المراكب ، كما أن حديث ابن بطوطة عن الحائطين الخشبين ، يشبه ما يوجد في أسفل القارب ، حالياً ، فترى البحارة وكأنهم في قارب آخر ، يغسلون الأواني والأطباق في مياه البحيرة ، كما يغسلون أسنانهم ، فضلاً عن أن القارب يسير بمحرك (بالديزل) إلا أن

---

(1) درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطه ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 1430 / 2009 ، جزء-1، ص 166 – 167 .

التسيير حسب الرياح يعمل به أحياناً ، خاصة إذا كانت المياه ضحلة ، كما أن هذا القارب يرسو مساءً ما بين الخامسة والسادسة ، عند أجمل محطة في الأبيز ، وحيث المبيت في القارب حتى الصباح .

تقدم وجبة الغداء على ظهر القارب ، وهي وجبة نباتية خفيفة بها نكهة البهارات الهنديّة ، وهي تقدم بطريقة (التالي) الطالم ، وإن اختلفت الطريقة ، يقدم في الوجبة طبق القرنبيط مع البصل والذرة ، والبامية مع البطاطس فضلاً عن طبق العدس والأرز ، والخبز (الجباتي) ، والآلوجوبي ، إلى جانب الماء ، وبعض السامبا و(الأجار) ، أما الموز الصغير الحجم ، وعصير جوز الهند ، فيقدمان عند الاستقبال أولاً[1] .

وتعد لحظات الغروب من أجمل اللحظات ، حيث ترسو القوارب في هذه المحطة، وسط البحر ، في خط متواز , على الجانب الآخر ، بيوت القرية المصنوعة من الطوب أو الخشب تحيط بها غابات من الأشجار والنخيل المتشابكة ، التي تغطي تلك البيوت ، وحينما يحل المساء يعم الظلام أرجاء القرية ، يمر أمام القوارب أهالي القرى والبلدات ، يذكرّونا بما يسمى في الخليج العربيّ (العتمة أو السَروةَ) أي الخروج حينما يعم الظلام ويكون التعتيم فمنه جاءت العتمة ، أم السروة فهي الخروج ليلاً . وتشرق الشمس صباحاً ، وجمال الشروق يعادل الغروب ، وبحيث تبدأ حركة العمال ثم التلاميذ ، وترى قبل ذلك البعض وإن كانوا في القرية إلا أنهم يمارسون اليوغا وغيرها من تمارين رياضية لاسيما المشي ، وهكذا يغادر القارب تلك المحطة الجميلة ، وهو يشّق صفحات البحيرات الناعسة ، وسط هدوء لا تقطعه إلا أصوات القربان الناعقة ، وما أكثرها في تلك الجزر ، فضلاً عن أناشيد وترانيم الهندوس الصادرة من أحد أكبر معابدهم عن بعد ، وغالباً ما يكون ، ذلك مسجلاً على آلة التسجيل ، وهذا دأبهم في القيام بطقوسهم ثلاث مرات صباح مساء ، وما بينهما في الظهيرة ، يصل القارب بعد تلك الرحلة إلى مدينة كوتشين ، ومن ثم يواصل مسيرته إلى محطات أخرى[2].

---

[1] كيرلا، الأبيز(ألبي)، الهند، فبراير، 2006

[2] كيرلا ، الأبيز ، الهند ، فبراير 2006 .

لقد ذكرنا سابقاً أن الطبيعة الخلابة هي أبرز مقومات السياحة والجذب السياحيّ إلى شبه القارة الهنديّة ، وهذا جزء منه ، وتعّد منتجعات المرتفعات والهضاب من أجمل الأماكن سحراً في الهند ، لاسيما في كيرلا ، حيث ترتفع الجبال 500 متر فوق السهول ، وبين مزارع الشاي والبن والمطاط والتوابل ، نجد الأراضي العشبية والسفوح الممتدة ، التي ترويها مساقط المياه وبحيث تتحول إلى خطوط فضية متعرجة ، وتنحدر مكونة الأنهار والبحيرات الهادئة ، أما الزهور التي تزهر كل اثني عشر عاماً ، فضلاً عن الزهور الموسميّة ، فهي تضفي الرونق والبهاء على الطبيعة ، فضلاً عن الحياة البريّة والمتنزهات الوطنية التي تشكل غابات واسعة على مرتفعات عالية، ويمكن مشاهدة الجواميس، والغزلان والقرود بين هذه الغابات .

يعّد منتجع تكادي من أبرز ما تقوم عليه السياحة في كيرلا ، وهو يقع على حدود التاميلنادو الجنوبيّة ، مروراً بأجمل مزارع البهارات الهنديّة من هيل وفلفل أسود وزنجبيل وقرفة فضلاً عن أشجار التيك والمطاط وأحياناً غابات الصندل ، ومن عادات الاستقبال على حدود التاميلنادو تقديم الزهور تحية للقادم و أملاً في مبالغ زهيدة[1] . وتقع بحيرة بيريار الوطنية المرتفعة ، ضمن سلسلة جبال غربيّ الجاتس ، في كيرلا وتضم محمية النمور ، وتقع في قلب المحميّة بحيرة رائعة المنظر ، تأوي إلى الغابة التي تحيط بالبحيرة النمور والكلاب المتوحشة والجواميس وغيرها من حيوانات ، ويتنزه السائحون بواسطة سفينة بحرية ، كما يمكن ممارسة رياضة المشي أنحاء الغابة المحمية ، حيث شجيرات الصندل ورائحته الزكية تسود الأرجاء ، كما تقع بلدة كومالي في الطريق إلى (مُنار) أو مونار ، وتبعد عنها مسافة أربعة كلم ، وهي منعزل خلاب به نسبة كبيرة من المسلمين ، وتحيط بهذه البلدة مزارع الشاي ، كما تلفها طبقة شفافة رقيقة من الغيوم ، وتتميز البلدة بالدكاكين الصغيرة التي تعرض الهيل ، فضلاً عن الشاي والبهارات ، ومنتجات مشتقة موادها من الغابة ، من كريمات بنكهة الصندل ، أو الورد الأحمر أو الخيار أو اللوز ، فضلاً عن أنواع من الصابون والزيوت النباتية الطبيعية والقهوة ، كما تتميز هذه البلدة بأن بعض المنازل أو الشقق قد تحولت

---

[1] كيرلا، منار ، الهند، فبراير، 2006

إلى غرف إقامة للسائحين ، لاسيما الأجانب ومن يفضل السكن الرخيص والاختلاط بالعائلات الهندية.

يمكن مواصلة الرحلة إلى (مونار) حيث مزارع الشاي العريقة ، تسير السيارة وسط جو بارد جداً ، وبين غابات الصندل وأشجار البرتقال والأناناس ومزارع الهيل والليمون ، وما أكثر الشلالات الهادرة الكبيرة التي تتدفق بقوة قادمة من الشمال ، تتربع مزارع الشاي في الطريق إلى مونار على شكل سجاد أخضر منسوج على شكل مصاطب ومدرجات ذات انحناءات ومنحدرات تؤدي إلى القرى والمنازل التي تتناثر هنا وهناك بين المرتفعات وعليها[1].

لقد أطلق اسم (منار) أو مونار على هذه المزارع والبلدة على اسم مكتشفها البريطانيّ (جون مونرو) الذي اكتشف الهدوء ، وحيث الغابات البكر التي تكونت منذ أوائل القرن العشرين على يد الزّراع الأوائل ، وقد عرج عليها قبل هذا البريطانيّ بعض العرب والمسلمين ، واكتشفوا جمالها وروعتها وفوائدها، ومن ثم سار على طريقهم من جاء بعدهم . تقع مونار على ارتفاع 1600 متر فوق مستو سطح البحر ، حيث الراحة والاسترخاء ، في جو مبهج مريح ، وتنتشر في مُنار الكنائس القديمة والمباني الحجرية ، والثريات الأثرية والمقاعد الطويلة المصنوعة من خشب الورد [2]، وتتميز الطرق بأنها ضيقة ملتوية ، كلما زاد الارتفاع ، و تفوح رائحة الشاي أرجاء البلد كما تنتشر الكثير من شلالات المياه المتدفقة والكبيرة ، فضلاً عن القرود الأسيوية الطويلة الذيل وما أكثر تجمعها أمام الشلالات ، كما توجد مزارع شاي كوندالي التي تحيط بها بحيرة جميلة وسط السفوح الممتدة ، وحيث ترعى الأغنام والجياد والأبقار ، أما القروبات فهن يرتدين الأزياء الملونة المثيرة للإنتباه حيث يجمعن الحصاد الذي يقمن بإعداده وتنظيفه وتجفيفه وإضافة النكهات إليه ثم تعبئته ، تتواجد متاحف ومصانع ومتاجر الشاي في أنحاء مختلفة في الهند ، لاسيما شركة (تاتا) التي استلمت امتياز شركة الهند الشرقيّة البريطانيّة بعد الاستقلال ،

---

(1) كيرلا ، منار ، الهند ،سبتمبر 2008 .

(2) كيرلا ، منار ، الهند ،يوليو، 2010.

وبحيث تدير المزارع ويشارك فيها الأهالي بنسبة 60% تقريباً وبحيث تكفل لهم ، التعليم والصحة والسكن ، وغيرها من أنشطة[1].

ينقسم الشاي أنواعاً فهناك الأبيض والفضي والأخضر ، والشجرة واحدة إلا أن النوع يعود إلى بداية القطف فالأوراق قبل تسلط أشعة الشمس على الأشجار إذ يكون الشاي أبيض غالباً أثناء غليه ويميل إلى الأخضر بعد فترة قطف أخرى ، ثم يسمى (بالسليماني) [2]أو البرتقاليّ بينما الأسود يكون لونه داكناً ، ويضاف إليه الحليب ، كما تضاف إلى الشاي نكهات الليمون والبرتقال والهيل والزنجبيل ، وهو آخر القطاف بل بعض من هذه المواد والبهارات الأخرى ، ويسمى الشاي (الماسالا) الذي نكهته تميل إلى الحرارة وتشتهر به الولايات الباردة .

توجد على بعد ثلاثين دقيقة من منار شمالاً حديقة إيرافيكولام الوطنية ، وحيث تأوي إلى المحمية ثلاثة آلاف من الحيوانات تتجول بحرية ، أما تحفة منار الآخر، فهي راجمالاى ، خلف مدخل الطريق إلى إيرافيكولام ، و على ارتفاع 2695 متراً ، وتوجد هناك أعلى قمة في جنوب الهند ، قمة أنامودي ، وبحيث ينتقل السائحون في حافلة سياحية فيمرون بأجمل صنع الله وإبداعه ، من مناظر ملفتة وطرق ضيقة متعرجة على انحدارات وارتفاعات ، وسط جو تزداد برودته ليلاً ، وشلالات كثيرة ، فضلاً عن أطول وأعرض شلال يتساقط بقوة وجمال من أعلى قمة[3] . كانت تلك أهم مواطن الجذب السياحيّة والطبيعية في ولاية من ولايات الجنوب ، وسوف نتناول في البحث التالي أهم المعالم السياحيّة والمنتجعات الجنوبيّة في التاميلنادو ، وبعض منها في كارناتاكا .

---

[1] كيرلا ، منار ، الهند ،يوليو، 2010 .

[2] يرى بعض الهنود أن السليمانيّ ، لفظة عربية ، وقد يكون في ذلك صحة وهي تعني ما يجمع بين اللون الأحمر والبرتقالي ، بحيث هناك قط في الخليج العربيّ يطلق عليه سليماني لجمعه بين اللونين ، وذلك الاسم شائع في البحرين ، والكويت أيضاً ، لكن بعض الهنود يرى أنها لفظة هندية ، وقد يكون في ذلك شيء من الصحة ، وهي هنا عربية إسلامية , فهناك ألقاب وأسماء عربية وتركية تعرف بالسليمانيّ

[3] كيرلا، منار، الهند، يوليو، 2010.

2 – معالم السياحة الطبيعيّة في التاميلنادو

أ – مدينة مدراس (شيناي) وما حولها

تعتبر التاميلنادو ، إحدى ولايات جنوب الهند ، معقل الديانة الهندوسّية التي يتواصل ماضيها بحاضرها ، وحيث المعابد ذات القمم المستدقة الشاهقة التي تسمى بالغوبورام وكانت المعابد في التاميلنادو أساس المجتمع ، ولا تزال الأشكال الفنيّة للمعابد لها جذور في عقيدة الهندوس ، حيث تقوم الألوان المتنوعة الفاقعة بإضفاء المرح على الحياة اليومية . تعتبر شيناي عاصمة الولاية نقطة الانطلاق نحو مناطق الجذب السياحيّ الطبيعيّ ، وبها مطار دولي وميناء وشبكة طرق وسكك حديدية ترتبط بالمدن الرئيسية . عرفت شيناي حتى عام 1996 بمدراس ، وهي هادئة ، غير مزدحمة ، تشرف على شاطئ خليج البنغال، وكما يسميه البعض محيط البنغال . وقد سميت مدراس بـ (شيناي) نسبة إلى العائلة المسلمة التي كانت تحكم المنطقة عندما كانت الهند تحت سيطرة الملوك والسلاطين ومقسمة إلى إمارات ، أو دويلات ، فرغبت الأجيال التي تنتمي إلى تلك العائلة، أن يطلق الإسم على العاصمة مدراس الذي يرجّح البعض إنه اسم إنجليّزي للحاكم العسكري وهو (مودراس) ، بينما يرى الآخرون أن إسم مدراس مشتق من المدرسة , ومراكز تدريس وتعليم القرآن الكريم وعلوم الدين الإسلاميّ, ونرجح السبب الأول للتسمية[1] .

كانت شيناي حتى 1642 ، أول محطة تجاريّة لشحن القطن والسّكر شرقيّ الهند على الشاطئ الشرقيّ ، وبعد انهزام الفرنسيين ، نالت المقعد الثاني في الشؤون الهنديّة ، مما أبعدها عن الاضطرابات التي عانى منها شمال الهند ، يعتبر حصن سانت جورج فيها معقل حكومة التاميلنادو والبحرية الهنديّة ، ويوجد داخل الحصن متحف عسكري وبقايا بريطانيّة ، كنيسة مريم العذراء .

يقع متحف الدولة في طريق البانثايون ، و يحتوي برونزيات ومجموعة من المنحوتات ، والهندسة المعماريّة التي تعود إلى القرن التاسع ، كما توجد كنيسة

[1] التاميلنادو ، شيناي، الهند، ديسمبر، 2006.

كاثوليكية جديدة ، وكاتدرائية سانت توماس ، فضلاً عن السوق النابض بالحياة ، حيث المحلات التجارية والمؤسسات الحكومية ، أما شاطئ خليج البنغال ، فهو من أجمل الشواطئ إذ يزينه خط رملي ذهبيّ ، إضافة إلى قوارب الصيادين وشباكهم ومعداتهم[1] .

تشّكل بلدة بونديشيري ، ما يشبه الاتحاد أو الولاية المستقلة عن التاملينادو ، فهذه البلدة كانت مستعمرة فرنسية لزمن طويل ، ولا يزال قليل من سكانها يتحدثون الفرنسية ، كما تعد المنازل الفخمة المشيدة على شواطئ خليج البنغال ، فضلاً عن الشوارع المرصوفة بالأحجار ، وكأنها بقايا الجنوب الفرنسيّ ، وكذلك طابع الفنادق الفاخرة ، وأسماء الكثير من الشوارع لا يزال فرنسياً . كما يقع على أهم شواطئ المدينة التمثال التذكاريّ للحرب الفرنسية ، مقابل أحد معالم غاندي ، التي توجد فى جميع أنحاء الولايات الهنديّة ، وتعرف الطريق (إ م جي رود) لقد استعمرت هذه البلدة لمدة 250 سنة من الاحتلال الفرنسيّ إلى أن استقلت الهند 1947 .

تنقسم هذه الولاية ، إلى ما يشبه المدينتين ، مدينة الفقراء السوداء ، ومدينة الأغنياء البيضاء التي اتسمت بطابع الثقافة والعمران الفرنسيّ ، فالشوارع راقية والمحلات التجارية فخمة ، فضلاً عن المطاعم ، ومطاعم الوجبات السريعة ، التي غالباً لا توجد إلا في كبرى العواصم الهنديّة ، أما القسم الآخر ، فتلاحظ كثرة عربات الأوتوركشه والبيوت الطينية المتواضعة ، أو الأكواخ الخشبية ، وعربات بيع الفواكه والخضروات والدكاكين الصغيرة التي تشبه الأكشاك والشوارع مزدحمة ، بينما تسرح الأبقار والجواميس جماعات في الطرقات والشوارع شأنها شأن المارة[2].

تسير النساء في طرقات القسم الفرنسيّ ، وهن يرتدين الزيّ الغربيّ ، و ينزهن كلابهن ، كما تتميز بعض المنازل في جانب منها من حيث الشبابيك والأبواب والشرفات ، بالطابع المصري التركيّ القديم ، وهذا يدل على أن الحي تسكنه أغلبية مسلمة .

---

[1] التاميلنادو ، شيناي، الهند، ديسمبر، 2006.

[2] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 .

نستطيع أن نتبين العادات والتقاليد الهنديّة ، في بناء المنازل أثناء التجول في بعض الأحياء الميسورة الحال ، حيث يعد ما يشبه الشرفة أمام المدخل للمنزل، كنوع من الضيافة ، للقادم من منطقة بعيدة لبيع الفواكه أو الخضار أو ممن يضطر للقدوم لأسباب أخرى ، وهذا ما كتب عنه ابن بطوطة كما تقدم ، وحيث يسمح للقادم القريب بالراحة بعيداً عن نساء المنزل ، فضلاً عن أن المطبخ ودورة للمياه ، يكونان خارج المنزل ، كي لا تنفذ الروائح داخل المنزل ، مما يفسر استخدام أنواع مختلفة من الزيوت والعطور لتلطيف الجو وإبعاد الروائح لاسيما في المساء والصباح ، ويكون ذلك على شكل عود تشعل فيه النار ، وهو مأخوذ من أشجار مختلفة من الغابات ومنها الصندل والمسك ، والورد والياسمين والعنبر ، كما يفسر ذلك ، رؤية الكثير من الأسر وهي تعد وجباتها أمام المنزل الطينيّ البسيط أو الكوخ ، حيث لا مجال لبناء مطبخ ملحق ، وكذلك الاستحمام والغسيل يكون خارج تلك البيوت المتواضعة ، إذ كان أصحابها من الطبقة الفقيرة[1] .

توجد في مدينة بونديشيري بعض من المعابد الهندوسيّة ، ومنها معبد صغير ، يبدو شهيراً عند أهل البلدة ، ويرتبط ذلك بفترة الحكم الفرنسيّ وهو يقع في سوق أحد الأحياء الصغيرة ، وتعود أهمية هذا المعبد ، إلى اعتقاد الهندوس بأن ما حدث للحاكم الفرنسيّ ، حينما جاء من فرنسا، صعق لوجود تماثيل على شكل أفيال ، وهو الكاثيوليكيّ ، ورمى التمثال في خليج البنغال ، ووجد الحاكم التمثال صباحاً في نفس مكانه ، وهكذا قام برميه أكثر من مرة ، وكان التمثال يعود إلى مكانه [2] ، ثم

[1] التاميلنادو، شيناي، (مدارس) الهند، ديسمبر 2006.

[2] قد يكون هناك من أعاد التمثال إلى مكانه نكاية بالحاكم الفرنسيّ ، إلا أنه ربط بين ذلك ومرضه .

شعر بسوء حالته الصحية ، واعتقد بأن ذلك بمثابة عقاب له ، وهكذا ترك التمثال في مكانه، وأخذ يتبرع للمعبد ، و أسسّ ما يعرف بتلميذ تعاليم الحكيم الهنديّ[1].

تمتد على طول معظم الطريق من شيناي إلى بونديشيري ، شواطئ خليج البنغال ، تتميز مياهه بطبقات بيضاء ، ثم زرقاء لا مثيل لجمالها . كما تشاهد على امتداد الشواطئ ما يشبه الأكواخ الهرمية العالية ، وعند الاقتراب منها تتبين أن تلك الأكواخ والأهرام هي مخازن للملح ، أو أهرام من الملح مغطاة بطبقة بلاستيكية ذات لون أزرق ملفت ، فالملاحات قريبة منها ، حيث يستخرج الملح من البحر ، و يعد أو يخزن ، أما البيوت السكنية ، فهي من سعف النخيل وجذوع الأشجار ، وعند الاقتراب من الهرم الملحي ، ترى العمال يفتتّون الملح ، وبأدوات من حديد مثل المطرقة ، ويقوم بتلك المهمة غالباً النساء ، وقد رأيت بأم عيني إحداهن ، وقد صعدت هذا الهرم الملحيّ ، فهو عال ، وبانت كأنها ملتصقة به كالمصلوبة ، وهي حافية ، ساقاها ممدودتان إلى الأسفل . بينما يداها ممدودتان إلى الأعلى ، تمسك بإحداها الجبل الملحيّ ، وتفتت بإحداها الملح . إنها الطاقة البشريّة التي تعتمد عليها الهند إلى جانب الطاقة الحيوانيّة في إنتاج الكثير من المحاصيل والمنتجات. وحيث يوجد خط ساحليّ بطول 565 كلم ، فضلاً عن الكثير من الأنهار ، فصيد الأسماك مصدر ثمين للغذاء أيضاً ، فأكثر من مليون شخص يكسبون عيشهم من صيد وتصنيع الأسماك في الولايات الساحليّة ومنها التاميلنادو، وكيرلا جنوباً، والبنغال الغربيّة ، وغيرها ، فضلاً عما له صلة بالبحر من ملح ، وصيد لؤلؤ لاسيما في التاميلنادو ، إلى جانب ، السياحة البحرية ، والتجارة [2].

تعد بلدة مهالبورام (ممالبورام) من البلدات التي تقع على شواطئ خليج البنغال ، وبها المنتجعات السياحية المتناثرة على شواطئ البحر ، وكانت مرفأ قديماً لملوك البالفا ، تقع البلدة على بعد 60 كلم شماليّ شيناي ، وهي وجهة السائحين إلى معالم جنوب العالم ، ويمكن مشاهدة النقوش الصخرية في هذه البلدة ، وهياكل الشاطئ .

[1] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 .

[2] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 .

تشتهر مهالبورام بوجود حديقة قديمة جداً ، بها السلاحف والتماسيح ، فضلاً عن الطيور وبعض الحيوانات .

تقع إلى جنوبيّ البلدة مجموعة من المزارات التي صنعت من كتلة صخرية واحدة ، ويوجد عند الطرف الجنوبيّ المزار الأكبر المؤلف من ثلاث طبقات وفيه خمسون تمثالاً بما فيهم الأبطال والأشخاص المتواضعين مثل خدام الهيكل والسّحرة ، وتقع إلى الشمال النقوش الصخريّة القصصّية [1] التي تشبه المنحوتات الأثرية ، فضلاً عن النقوش ، والرسومات و الآثار الفرعونية في مصر و الهياكل والكهوف التي تم حفر جميع معالمها بدلاً من البناء في الصخور الصلبة ، والصخور الصماء التي تم حفرها كانت سلسلة جبال الصوان التي تنتهي عند ساحل كورومانديل وبحيث تبدو تلك المعالم على شكل قلعة مهيبة وكأنها كتلة صخر أو هضبة عظيمة مستديرة تضم داخلها المساكن والمخازن وآبار الماء والمتنزهات وتشرف على أجمل المناظر[2] .

كما يقع هيكل الشاطئ أمام ساحل البنغال ، و قد قاوم الرياح و الأمواج لمدة اثني عشر قرناً ، ويقال أن التسونامي لم يصل تلك المنطقة ، لاسيما أنها محاطة بأسوار وأحجار كبيرة ، وكأنها جزيرة محميّة . و تقع مدينة التماثيل على مقربة من الشاطئ ، وحيث تصنع التماثيل من الأحجار الصماء بمختلف الأحجام ، كما تعرض على رمال الشاطئ الذهبية مختلف منتجات البيئة البحريّة من أصداف بأنواع مختلفة ، وقد رسمت عليها أو طبعت عليها طيور أو حيوانات ، وتبيع المطاعم المفتوحة الوجبات النباتيّة ، إلا أن الوجبة الأكثر إقبالاً هي السمك المقليّ بالزيت والمتبل بالبهارات الهنديّة و يعد طازجاً على الشاطئ ، وتقوم معظم النساء بقلي السمك، ويوضع السمك على ورق شجر الموز الأخضر حيث يغلف وهو ساخن[3].

---

[1] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1 ، 1422 / 2002 ، جزء -1 ، ص 209.

[2] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 .

[3] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 .

تشتهر كنتشي بورام أو المدينة الذهبية ، بالمعابد الكبيرة والضخمة الشاهقة الارتفاع كما تعّد من المدن السّبع ذات الأهمية عند الهندوس بالتاميلنادو، و تشتهر كنتشي بورام ، بجودة الحرير ، وصناعة الساريّ الهنديّ ، إذ يتجه إليها الهنود المقتدرون لشراء الساريّ الذي يوصى السائح بشرائه لجودته ، ويشتري الهنود قماش الساريّ للمناسبات لاسيما حفلات الزفاف ، فهو بمثابة ثوب الزفاف الذي لا بد من شرائه من كنتشي بورام ، إلا أن المزيد من الهنود يعملون في صناعة النسيج أكثر من أية صناعة أخرى في معظم الولايات ، ويصنع معظم القماش في معامل كبيرة ومصانع حياكة ، فإن قدراً كبيراً من القماش ينتج أيضاً في البيوت أو ما يسمى بصناعات الكوخ ، أو في محلات أو مصانع صغيره تجدها في الأسواق ، وتشتهر بنغللور في كارناتاكا بإنتاج وبيع الحرير فضلاً عن كشمير، أما قماش الساريّ الحريريّ، فمدينة كونتشي بورام في التاميلنادو فهي الأكثر شهرة ، وقد شّجع المهاتما غاندي الهنود على غزل وحياكة القطن والخيوط الأخرى في المنازل ، تجنباً لدفع الضرائب الحكوميّة.

يسمى القماش المغزول في البيت خاكي (الخام)، ذلك يفسر رغبة الاكتفاء الذاتيّ عند الحكومة والشعب ، وعدم الاعتماد على البضائع التي تنتجها المصانع أو تجلب من وراء البحار ، حيث يتواجد الصابون المنزليّ الطبيعيّ الزيتيّ ، لغسيل الجسم والثياب ، فضلاً عن الكريمات المحلية المنتجة يدوياً ، وحتى الشوكولاته الكاكاو ، والبهارات وغيرها الكثير ، أما السلع التي لا يحتاجها الأشخاص الذين يصنعونها فتباع في المحلات الكبرى ، حيث تضع حكومة الولاية الأسعار[1] .

حبذا لو نهجت بلادنا العربية هذا النهج من حيث الاكتفاء الذاتي وتشجيع صناعة المنازل، وغيرها من صناعات تقليدية، للحد من الاستيراد...والمساهمة في نمو الاقتصادي.

---

[1] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 .

سوف نتحدث، فيما يلي عن أبرز المنتجعات الطبيعيّة ذات الجذب السياحي، فهو منتجع كوديكانال .

ب - منتجع كوديكانال

يعد الطريق إلى كوديكانال من مدينة بوندي شيري من أجمل الطرق في التاميلنادو ويمكن إجتيازه بالسيارة ، ولمدة عشر ساعات أو تزيد ، وبحيث لا ترى العين إلا حقول ومراع ومرتفعات خضراء ، فضلاً عما يتخلل ذلك من محطات حديديّة وحافلات وأسواق ومداخل قرى جميلة ، مروراً بالمطاعم المفتوحة (الدابا) التي تعد الوجبات الخفيفة الجنوبيّة ، لاسيما الجباتي والبراتا ، وحيث يشكل العجين كرات تمد وترقق على التاوة أو الصاج أمام المارة ، ويمكن ملاحظة ما يعد من وجبات أمام الأكواخ أو المخيمات ، فالأطباق والأواني مصفوفة على رفوف خشبية ، أو فوق الأرض ، فضلاً عن القدور والأباريق وجرار الماء ، بينما يدق الثوم ويحمر البصل ، وتعد الخضار ، والسائح يرصد بكاميرته تلك المناظر التي تعد غريبة عليه ، وأحياناً يكون الحرج من التطفل على الناس ، إلا أن لا حرج في كثير من الأمور عند الهنود ، لاسيما الناس البسطاء ، فالأشخاص الفقراء في المدن أو أطرافها من المحتمل أن يعيشوا في أزقة أو ملاجئ بنيت من الخشب أو صفائح الحديد ، ومن غير المحتمل وجود دورة مياه أو مرحاض في الأزقة ، أو تسهيلات للغسل ، وإن وجد فالأفضل أن يكون ملحقاً خارج المنزل بسيطاً كان أم فخماً ، لذا لا عجب أن يعيش الناس حياتهم على شوارع المدينة ، ويستخدمون الأزقة ، والحقول والمزارع للغسيل وغير ذلك.

وغالباً ما يقال أن هؤلاء البسطاء وافدون على المدن من ولايات أخرى ، جاءوا للعمل حسب المواسم ، لذا فهم يتنقلون من مكان إلى آخر ، إلا أن هناك عائلات ثرية جداً ، وتمتلك المنازل الفخمة والسيارات ، وجميع المعدات الحديثة، ومربيّ الأطفال والحراس [1] وغيرها من وسائل الراحة والترفية ، فضلاً عن التعليم ،في كبريات المدارس والجامعات الخاصة .

[1] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 .

وحينما نتوغل بعيداً ، عن المحطات والأسواق ، تبدو المناظر ذات الجـذب الطبيعـيّ الخـلاب ، من هضاب ومرتفعات شاهقة ، وطرق ومنحنيات ملتوية ، تشرف على أعمق الوديان الخـضراء ، التـي تحيط بها البحيرات الجميلة ويلفهـا الـضباب أحيانـاً والغيـوم ، لا وجـود إلا للطبيعـة البكـر الموحـشة المخيفة حيناً ، والمثيرة للإعجاب والإيمان بالخالق سبحانه وتعالى ، لاسيما منظر أغصان الأشجار المتدليـة وكأنها ستائر ذات لون زيتونيّ أخضر ، ومن ورائها ، ألوان شمس المغيب على امتداد الأفق .

ويقطع ذلك التأمل سيارات تلوح بالأعلام المزينة الصغيرة ، وأبـواق الـسيارات وسـط هـدوء لا مثيل له، ذلك إعلان باستقبال حاكم الولاية ، والذي استعد له الأهالي على الطرقات مقدمين اقتراحاتهم وتوصياتهم ، بشأن الإصلاح وتحسين المستويات الاقتصادية . لقد علقت أعلام الترحيب واللافتـات عـلى الأكواخ البسيطة وبعض المحلات التجاريّة الصغيرة ، وحينما يحـل ظـلام تـزداد الـبرودة ، وتوقـد نـيران الخشب على قارعة الطرق المرتفعة الشاهقة ، أمـام الأكـواخ التـي يـشبه بعـضها الـصناديق الورقيـة (الكارتون) وكأنها كما يقال ريشة في مهب الريح وهـي تـشرف عـلى الوديـان والـسفوح ولا عجـب أن تكتسحها الأمطار والسيول ، يصطف أصحاب الأكـواخ أمامهـا ، وهـم يعرضـون مـا لـديهم مـن فاكهـة وخضروات ، فضلاً عن الشاي والقهوة ، وقد لا تجد أي دليل على كون المنطقة مأهوله بالـسّكان ، وإذا بك تجد وراء الهضاب والغابات ، مدناً قائمة بذاتها تعمرها المباني والفنـادق ، والأسـواق والمطـاعم ، إلا أنها قد تكون متواضعة ، مقارنة بكبرى المدن والعواصم ، وهكذا تبدأ الجولة في كوديكانال بعد طريق طويل إليها[1].

تقع كوديكانال في الطرف الجنوبيّ لتلال بالاينمالاي العليا ، وهي تل جميل ومـن أشـهر الأمـاكن السياحيّة في جنوب الهند ، تبعد كوديكانال حوالي 120 كلم ، عن ماديواري وترتفع 2103 متراً عن سطح البحر ، كما تبعد عن العاصمة شيناي 300 كلم . تعّد هذه البلدة قطعة صغيرة من إنجلترا ، حيـث أقـام الإنجليـز فى أنحـاء مختلفـة مـن الهنـد منـاطق راحـة واسـتجمام لهـم بعيـداً عـن الحـرارة ، والرطوبـة والازدحام في العواصـم والمـدن الكـبرى المنبـسطة ، كـان ذلـك أيـام الاحـتلال البريطـاني للهنـد في القـرن

[1] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 .

التاسع عشر ، والفنادق ذات طراز بريطانيّ قديم ولا يزال بعضها يعود إلى تلك الفترة .

تشتهر بلدة كوديكانال بالجو البارد الجاف، وبالبحيرة التي تحيط بها غابات من الأشجار الخضراء المتشابكة ، وتتميّز مياه البحيرة باللون الأخضر القاتم، الذي انعكست عليه ألوان الطبيعة بأشجارها وهضابها الخضراء ، ويمكن القيام بجولة في أحد القوارب الصغيرة التي تسير بالمجداف لمدة ساعة . ويتواجد أمام البحيرة الباعة الذين يعرضون ما لديهم من سلع ، أما متاجرهم وكأن لاوجود لها ليلاً إلا أنها تتحول إلى سوق تجاري صباحاً ، إذ تعرض السلع على عربات خشبية أو ما يشبه العتبات[1].

توجد في كوديكال أماكن سياحيّة تستحق المشاهدة ، منها تلال بالاني ونهر فيماي ، فضلاً عن الغابات التي هي عبارة عن متنزهات وطنية تحيط بها السفوح والأودية التي تشرف عليها الغابات ، كما يمكن مشاهدة جداول المياه المتقطعة والكهوف القديمة العميقة جداً. تشتهر البلدة بإنتاج الزيوت الطبيعيّة المتنوعة التي تستخدم كعلاج لداء المفاصل والالتهابات والصداع ، والتي تستخلص من أشجار الغابة ، ومنها النيم ، و الهيل والبن ، كما تشتهر تلك البلدة بإنتاج الحلويات المنزلية ، مثل الكاكاو وغيرها ، يفخر أهل البلدة ، لاسيما في الفنادق بتقديم الوجبات الجنوبيّة النباتية على شكل (التالي) ومنها (الدوسة) التي هي خبز رقيق مستدير يقدم خالياً ، أو محشياً بالبصل والبطاطس المهروسة ، والبهارات فيسمى الدوسا ماسالا أو محشياً بالبيض ، أو الجبن وهكذا ، فضلاً عن السمبوسة والبانير، وغيرها من أطباق[2].

وتشتهر تلك البلدان الباردة ، وبخاصة كوديكانال بإعداد الشاي الماسالا ، الذي يعد على أصول تقليديّة ، كما يقول صاحب العربة الخشبية ، الذي ينادي على الشاي بطريقة مثيرة ملفتة ، وهو يقوم بخلط المواد إلى بعضها من قدر إلى آخر ، تلك القدور والأواني القديمة جداً ، إلى جانب العلب التي يخّزن فيها الشاي ، والمواد

[1] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 .

[2] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 .

الأخرى من هيل وزنجبيل وفلفل أسود وغيرها . و يصّب الشاي في كؤوس نحاسيّة أو من ورق ، معطياً نكهة شاي تسمى (الماسالا) ، و التي تعني الحرارة والاصطلاء . يباع الشاي (الماسالا) في بعض الولايات والمدن الهنديّة على شكل مسحوق أو حبات سوداء[1] .

ولابد أن نتوقف عند اسم كوديكانال ، إنها تتألف من كلمتين (كودي) (كانال) الأولى تعني المظلة ، والثانية الأرض الرطبة ، فالطرق والدروب والسفوح تبدو كأنها ظليلة بغابات من الأشجار والهضاب الخضراء التي تحيط بها من كل جانب، مما يعكس البرودة ، ورطوبة الجو على الأرض ويتخيل الرائي من بعيد بأنه أمام نهر من ماء ، ذلك كحال السراب في الصحراء ، فأطلق عليها هذا الاسم الذي يوحي بجمال الطبيعية وسحرها ، ولطف الجو وهدوئه[2] ، وسنتناول فيما يلي كارناتاكا ، أهم معالمها ومنتجعاتها .

جـ - كارناتاكا ، أهم منتجعاتها

كارناتاكا ولاية جنوبيّة في شبه القارة الهنديّة ، أهم مدنها بنغلور العاصمة هي المدينة العصرية ، والمدخل للنصف الغربيّ من شبه الجزيرة الجنوبيّة ، كانت خاضعة للحكم البريطانيّ ، ترتفع عن سطح البحر 930 متراً ، حولها الرسميّون القادمون من شيناي، إلى حدائق جميلة غناء ، إلا أنها حالياً تشتكي الجفاف ، والزحف الاقتصاديّ والعمرانيّ، فالإلكترونيات والمواصلات وحرارة الطقس منذ سبعينيات القرن العشرين ، ساهمت في ذلك . تشتهر المدينة بحديقة لال باغ ، حديقة النباتات التي تضم أقدم الأشجار وأنواعاً من الزهور البهيجة، فضلاً عن متنزه جميل وسط المدينة ، ويعّد ممش ، ومكان للراحة ، يقع خلفه مبنى البرلمان وسكن رئيس الولاية ، و المتحف العام .

---

[1] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 .

[2] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 .

كما يوجد على بعد 60 كيلومتراً متنزه وطنيّ جميل يشرف على أجمل المناظر ، التي تشاهد أثناء القيام بجولة في الباص ، ويضم المتنزه أنواعاً من الحيوانات من أسود ونمور وفهود وغزلان [1] .

كما تتميز بلدة ميسور ، والتي يطلق عليها بلدة المهراجا بالاحتفالات السنوية ، إذ يستعرض وريث حكام دولة ميسور سابقاً عبر الشوارع على عرشه الذهبيّ محاطاً بالفيلة المسّرجة بالألوان المزركشة ، تبقى ميسور مدينة مبهجة ، تحيط بها أشجار الصندل والياسمين والمسك ، كما تشتهر بمتحف المهراجا ، الذي يمثّل عصر المغول والعصر الفكتوريّ ، أنشئ المتحف 1897 ، أبوابه من الفضة الخالصة ، يفتح على زينة أنيقة ، ورخام وخشب الماهو غاني والعاج ، وصالة فنية تعرض منها لوحات للمهراجا بريطانيّة الطابع ، فهذا المتحف كان القصر للمهاراجا ، و قد تحول إلى متحف . كما تقع مدينة سرى انجابتنام شرقيّ ميسور ، و التي كانت موقعاً للمعركة التي دارت مع الحاكم المسلم طيبو أو تيبو سلطان ، في تسعينيات القرن الثامن عشر ، والذي تصدى للبريطانييّن ولم يستسلم ، إلا بعد سيطرتهم على شبه الجزيرة وتشير الأحداث إلى أنه فضل عدم مقاتلة خصمه المسلم الذي وضعه البريطانيون أمامه في المقدمة وانسحب لذلك السبب.

وتحول قصر السلطان الصيفيّ ، رمز الكفاح ضد الاحتلال البريطانيّ ، في تلك المنطقة ، إلى متحف تكريماً للمقاومة الشجاعة التي أظهرها طيبو ووالده، حيدر علي ، يشبه مدخل القصر وحديقته الطراز المغوليّ ، إلا أنه أكثر بساطة من تاج محل وغيرها من قصور وقلاع .

يضم القصر بعض المحتويات من مقاعد وأسلحة ونقود ولوحات ، تشيد بشجاعة السلطان وعائلته ، تشكل طريق بنغللور ميسور مدخلاً بهيجاً من الطبيعة وأراضي الجنوب الهادئة ، إنها تمر بمحاذاة جداول روافد نهر كافري مروراً ببساتين المانجو وحقول قصب السكر والأرز التي يقطعها فجأة جبل الصوان العالي[2] .

[1] كارناتاكا، بنغللور، الهند، فبراير، 2006.

[2] كارناتا، ميسور، الهند، فبراير، 2006.

تقع تلال ماديكيري أهم منتجعات كارناتاكا ، وسط جنة خضراء على ارتفاع 1525 متراً وتتميز بجو بارد جداً ، إذ يحيط الضباب الكثيف أنحاءها وتتساقط الأمطار ، ما بين مايو وسبتمبر وهكذا حتى فصل الشتاء و هي منتجع هادئ جميل ، وعلى جانبيه حقول الجزر وملكات النحل ، وأبرز معالم السياحة في ماديكيري مقعد المهراجا ، الذي يشرف على أجمل المناظر من وديان وبحيرات ، وقد أقيم هذا المقعد وسط حديقة صغيرة جميلة ، كما يوجد بالبلدة المتحف الوطني، ومنبع نهر كافري الذي يزوره الهندوس ، وهو ينحدر من الهيمالايا شمالاً ، متخذاً عدة مسارات ماراً بأجزاء من الجنوب ، كما يوجد المتنزه الوطنيّ وهو غابة كثيفة مليئة بالأشجار والنباتات والبحيرات ، ويمر بتلك الغابة فروع من نهر كافري.

تعرض الخضروات من عنب ودراق ورمان على عربات الباعة في الطرقات والمداخل ، وقد أشار ابن بطوطة إلى جودة الأراضي الزراعية في الهند من عدة قرون ووفرة الحبوب والبذور ومن ذلك قوله : «... ومن هذه الحبوب الخريفيّة عندهم ... المنج ويطبخون المنج مع الأرز ويأكلونه بالسمن ويسمونه كشري [1] وعليه يفطرون في كل يوم وهو عندهم كالحريرة[2] ببلاد المغرب ، ومنها اللوبيا ، وهي نوع من الفول ومنها الموْت ... وهو علف الدواب عندهم وتسّمن الدواب بأكله ، يجرشونه ويبلونه بالماء ويطعمونه الدواب ، ويطعمونها أوراق الماش ، بعد أن تسقى السمن عشرة أيام ... وهذه الحبوب التي ذكرناها هي الخريفيّة ، وإذا حصدوها بعد ستين يوماً من زراعتها ، إذ زرعوا الحبوب الربيعيّة ، وهي القمح والحمص والعدس ... وبلادهم كريمة طيبة التربة ... أما الأرز فإنهم يزرعونه ثلاث مرات في السنة ، وهو من أكبر الحبوب عندهم ، ويزرعون السمسم وقصب السكر مع الحبوب الخريفيّة التي تقدم ذكرها...»[3].

---

(1) الكشري : ما يشبه طبق الكشري بالماش في البحرين .

(2) الحريرة : الحساء ، الشوربة .

(3) درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 1430 / 2009 ، جزء -2 ، ص 23 – 24 .

نجد ما تقدم وصفاً دقيقاً للحقول و الحراثة والزراعة في شبه القارة الهندية، وذلك يطابق حال الزراعـة والأراضي المزروعـة حتـى الوقـت الحـالي ، إذ تهـتم حكومـات الولايـات والأهـالي بالغابـات والمساحات المزروعة كونها مصدراً للاقتصاد ، وإن طـال العمـران المـدن والأريـاف لا يكـون ذلـك عـلى حساب الأرض الخضراء ، كما أن الماشية لا تزال تعلف ويقدم لها العلف ، بنفس المواصفات والطريقـة ذاتها تقريباً التي ذكرها ابن بطوطة ، حيث يمكن ملاحظة ذلك في الطرقات وأمام الحقول ، على مـرأى من المارة [1].

تعد تلال ناندي من مواطن الجذب السياحيّ الطبيعيّ التلال التي أخذت اسمها من (ثورشيفا) وهي منتجع جميل يقع على مسافة 6 كلم من مدينة بنغللور ، عاصمة الولايـة الجنوبيّـة ، وتـشتهر تلال ناندي بين السكان المحليّين باسـم نانـدي يجـيري أو نانديـدورفا , ترتفـع هـذه الـتلال إلى مـسافة 1478 متراً فوق سطح البحر على شكل هضبة ضخمة أقيمت وسطها الطرقات على شكل دائري بحيث يلتف الطريق حول المرتفع حتى الوصول إلى أعلى نقطة .

كما يوجد ما يشبه المجمع السكني ، به متنزه منسق مـن حيـث الممـرات والمـماشي وحـدائق الزهور والورود ومختلف الأشجار والنباتات ، وحديقة ألعاب الأطفال ، وتسرح القرود في أرجاء المتنـزه الذي يشبه الغابة الفسيحة الأرجاء ، كان المعتمد البريطاني سابقاً يقيم في هذا المعتزل السكني صـيفاً ، كما أقام فيه جواهر لال نهرو ، وكبار موظفي الحكومة فيما بعد[2].

د – منتجع أوتي ، وأهم المعالم

وتقـع أوتي عنـد تقـاطع كـيرلا وكارناتاكـا والتاميلنـادو ، أوتي (أودهاجامـا ندالام) ، التي تعرف بملكة التلال ، إذ تقع ضمن نطاق سلسلة جبـال في تاميلنـادو

[1] التاميلنادو، مادوريا، الهند، فبراير، 2006.

[2] كارناتاكا، بنغللور، الهند، فبراير، 2006.

على ارتفاع 2268، وتجذب أوتي السياح إليها، وأهم المعالم السياحية في أوتي الحدائق النباتية وبحيرة دودا باتا ، وشلالات سانت كاترين .

تبعد أوتي عن مدينة بنغللور ما يزيد عن الأربع ساعات ، ولا بد من تحرك السيارة باكراً بعيداً عن ضجيج وضوضاء ، الشاحنات والعربات الثقيلة ، التي تندفع بسرعة في كثير من الطرق العامة الرئيسيّة التي تربط بين المدن الهامة العواصم ، ولا عجب أن يضغط سائقوا الشاحنات وسيارات الأجرة وغيرها من وسائل النقل على البوق لتحذير الناس للابتعاد عن الطريق ، فضلاً عن تحذير بعضهم البعض ، وهذا اتفاق فيما بين السائقين ، وكأنه القانون الملزم فلابد من صوت البوق لإفساح المجال للآخر ، ودون غضب أو عصبية ، بل الابتسامة تعلو الوجوه ، ويد السائق تشير للآخر بالعبور . تبدو الحوادث شائعة، وليس بغريب رؤية باص أو شاحنة أو عربة قد انحرفت عن الطريق ، وانقلبت ، لأن الفرامل فشلت ، أو أن السائق كان عليه الالتفاف لتجنب عربة أخرى ، أما السبب الأول ، فهو انحراف الشاحنات أو العربات المحملة بما يفوق طاقتها من حديد أو أحجار ، أو جذوع شجر ضخمة ، قد تتأخر الشاحنات التي تنقل البضائع لفترة طويلة، أمام إجراءات التفتيش ، فضلاً عن طول المسافات وعوامل الطبيعة التي أهمها السيول والعواصف ، وقد تتحول الشاحنة إلى منامة ينام تحتها السائق ، أو على مقعد السيارة ، كما أنها مطبخ لإعداد أهم وجبة الإفطار ، لا دهشة إذا تحولت إلى ما يشبه دورة المياه للاغتسال وغيره ، ذلك مع وجود بعض الاستراحات ودورات المياه ، إلا أن معظم السائقين يفضلون الطريق الأكثر اقتصاد للمال والوقت[1].

لقد اتُهمت الحكومة الهنديّة بإهمال الطرق العامة لمصلحة السّكك الحديديّة ، إذ لا يزال أكثر من 30,000 كلم من الطرق الرئيسّية مهملة ، ومع ذلك نجد الحكومة تقوم بالإصلاح وإنشاء طرق سريعة وحديثة ، حيث ساعدت التقنيّة الحديثة على سرعة إنجاز أعمال مد الجسور والطرقات ، وقد تنطلق السيارة باكراً ، إلا أن الشاحنات تتحرك أيضاً باكراً ، محملة بالأثقال ، تشاهد في الطريق أمام الأكواخ

---

[1] كارناتاكا، بنغللور، الهند، فبراير، 2006.

الخشبية ، الأسر ، التي استيقظت باكراً ، بينما لا زال البعض نائماً على سرير مصنوع من الحبال ، وربما بدأ ليل هؤلاء بعد يوم وليل شاق من العمل .

مما يلفت الانتباه أن الأسّرة المصنوعة من الحبال ، لا تزال تستخدم في كثير من المدن والقرى ، والأماكن النائية، بل هي بمثابة سرير ، ومقعد ، أمام الاستراحات والمقاهي . ولابد أن نذكر إشارة ابن بطوطة إلى تلك الأسرة منذ عدة قرون والتي لا تزال موجودة مع التطور والتقدم . يقول ابن بطوطة واصفاً السرير : «... ولما وصلت إلى الدار التي أعدّت لنزولي ، وجدت ما أحتاج إليه من فرش وبسط وحصر وأوان وسرير الرقاد ، وأسّرتهم بالهند خفيفة الحمل ، يحمل السّرير منها الرجل الواحد ولا بد لكل أحد أن يستصحب السّرير في السفر ويحمله غلامه على رأسه ، وهو أربع قوائم مخروطة يعرض عليها أربعة أعواد ، وتنسج عليها ضفائر من الحرير أو القطن ، فإذا نام الإنسان عليه لم يحتج إلى ما يرطبه به لأنه يعطي الرطوبة من ذاته ...»[1].

لا يزال السرير ذاته يستخدم وإن نسجت الضفائر من حبال ، أو ربما الكتان وينام عليه الناس، حتى الوقت الحاضر دون فرش أو ما يطريه ، فالحبال أو المادة المصنوعة منها السّرير مرنة لينه ذلك لا يعني عدم وجود الأسرة الفاخرة المستوردة من إيطاليا وبلجيكا ، في القصور الملكيّة السابقة كما تقدم ، والتي توارثها ملوك وسلاطين الهند ، وقد تحول بعضها إلى متاحف .

كما أشار ابن بطوطة إلى : « ... مضربتين ومخدتين ولحاف ، كل ذلك من الحرير ، وعادتهم أن يجعلوا للمضربات واللحوف وجوهاً تغشيها من كتان أو قطن بيضاً ، فمتى توسخت غسلوا الوجوه المذكورة ، وبقى ما في داخلها مصوناً ...»[2].

---

[1] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 1430 /2009 جزء -2 ، ص 110

[2] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 1430 /2009 جزء -2 ، ص 110-111

لا تزال المضارب والمفارش التقليديّة المحشوة بـالقطن أو مـا شـابهه تعـرض في متـاجر ، المـدن والقرى المتواضعة ، وتخاط على أشكال هندسيّة مربعة أو مستطيلة .

لقد استطردنا في وصف السّرير والفرش و البطانات لإلقاء الضوء على مظاهر الحياة ، في الهند منذ عدة قرون ، وربط ذلك ومقارنته بالحديث ، ذلك بسبب أن الماضي امتداد للحاضر واستمرار لـه ، ومن أهم مقومـات الحـضارة والثقافـة والـسياحة في الهنـد وأي بلـد ، حيـث تـشاهد مظـاهر الحيـاة والطّبيعية معاً .

ويعّد الطريق من بنغللور مروراً بميسور إلى أوتي من أجمـل الطـرق ، وإن لم تكـن معبـدة أو سريعة ، إلا أن الدروب التي تحيط بها من كل جانب نخيـل جـوز الهنـد والمـوز والبابايـا ، فـضلاً عـن الحقول الخضراء ، وبحيث يتكون ما يشبه الستائر المسدولة والمجدولـة مـن أغـصان الأشـجار المتدليـة القديمة والحديثة ، فضلاً عن البحيرات وحولها الفتيات وهن يملأن الجرار ويغسلن الأواني والثياب جنباً إلى جنب مع قطعان الماعز ، والأبقار والجـواميس التـي ترعـى أو تـستحم وسـط البحـيرات بيـنما تمـر العربات الخشبيّة التي تجرها الثيران ، أو الأبقار الوحشيّة ، وتـسرح القـرود وتمـرح وسـط جـو بهـيج ، وتسعد بما يقدمه لها المارة من موز ومكسرات . أما الجبال ، فتكسبها الـسماء الـصافية حينـاً والملبـدة بالغيوم حيناً آخر اللون الأزرق الذي يميل إلى الضبابيّ ، وعنـد الارتفـاع بـين منحـدرات وطـرق ملتويـة تبدو المناظر ، وكأنها مشاهد من طائرة تحلق في الفضاء ، تعبر طرقها طريق المتنـزه الـوطنيّ الجميـل الذي يشبه البراريّ والأدغال.[1].

تبدو المنازل والبيوت الظريفة المتناثرة على مرتفعات ومزارع الشاي ذات طابع بريطانيّ جميل ، فضلاً عن المعامل ومتحف الشاي ، وتبدو ملكة الجبال الزرقاء مهيبة ، فهـي مـن المنتجعـات الهادئـة والباردة في الجنوب الهنديّ[2] .

[1] كارناتاكا، كارتانا ، بنغللو، الهند،فبراير.2006

[2] كارناتاكا، بنغللور، الهند، فبراير،2006

توجد في الشمال مناطق ذات أهمية سياحيّة وطبيعيّة تجذب إليها السائح ، و ارتأنيا أن نشير إلى منطقة واحدة تجنباً للتكرار ، إنها مدينة سرينجار ، عاصمة ولاية كشمير وأهم معالمها ونقاط الجذب فيها .

الفصل الثالث

أهم مواطن الجذب الطبيعيّ السياحي في الشمال

1 – مدينة سرينجار وما حولها .

أ – الوصف العام :

يسكن وادي كشمير في أحضان جبال الهيمالايا ، المتوجة بالثلوج ، هذا الوادي يعدّ درة في تاج الهند ، كما أن تاج محل هو الدرة الثانية ، وكشمير هي المنطقة الرئيسّية في إقليم جمون وكشمير والوحدتان الأخريان للإقليم هما جمون ولا داخ.

تقع سرينجار (سرينغر) عاصمة الإقليم على ارتفاع 1730 متراً عن سطح البحر ويربطها بجمون شارع يستمر المرور فيه في جميع الفصول ، وتستغرق الرحلة إلى سرينجار حوالي الثمان ساعات بالسيارة 293 كلم ، وتعتبر جامو العاصمة الشتويّة للولاية ، تقع على حافة أول منحدر ناتج عن السيول في البنجاب ، إذ يتدفق نهر تاوى المتعرج على امتداد التلال السفحية ، وتوجد خلفه سلسلة جبال (تريكونا) المهيبة .

تشتهر جامو بالمعابد الهندوسية ، وهي معقل حضارة دوجرا ، ومحطة السّكة الحديديّة الرئيسّية إلى كشمير ، ونقطة البداية لزيارة معبد (فيشنوديفي) في مدينة كاترا الشهيرة ، التي يمر بها المسافرون في طريقهم إلى مدينة سرينجار العاصمة الصيفيّة [1].

تنتشر على جانبيّ الطريق إلى سرينجار القرى التي تحيط بها التلال والمرتفعات ، فضلاً عن الوديان والطرق الوعرة والضيقة ، التي يصعب تجاوزها لاسيما مع وجود الشاحنات الكبيرة العملاقة وعربات نقل الجنود الحربيّة ، بينما يمكن رؤية منابع مياه الأنهار الجافة التي تتجه إلى باكستان ، فضلاً عن متاجر بيع الحلوى التي تشتهر بها منطقة جامو خاصة و الولاية عامة .

[1] دلهي، جامو كشمير، الهند، إبريل،2009.

تبدو على امتداد الطرقات الرئيسّية الأكواخ الخشبية أو بيوت الطين القديمة جداً ، وتعرض عند محطات مداخل القرى والمناطق مختلف السلع من خضار وفاكهه وأقمشة ، وفاكهة مجففة مثل الزبيب واللوز والكاجو ، إلى جانب البن و الهيل ، والبهارات والزعفران وهو أهم ما تشتهر به كشمير[1].

يمكن رؤية الرجال يمرون في الطرقات ويميزهم الزيّ الرجاليّ الذي يمكن ملاحظته عند المحطات الرئيسّية ، وهو يشبه الجلباب الواسع ذو الكم الطويل وكأنه قطعة واحدة ويسمى (فرن) كما أن النساء يرتدين جلباباً مماثلاً إلا أن ألوانه تختلف عن الرجال ، فضلاً عن قصره إذ يُرتدى مع السروال ، ومما يلفت النظر أن هذا الثوب مفصّل كي توضع اليد داخل الثوب للتدفئة ، مع ترك الأكمام وهي تتدلى غالباً، ومما يدهش أن أهل كشمير قد يضعون المدفأة التقليديّة الصغيرة تحت هذا الثوب ، وبحيث يظن الرائي أن السيدات حوامل في بادئ الأمر ، تلك المدفأة من آنية فخّارية ، مبنيّ حولها ما يشبه الجدار ، وتحمل على شكل سلة من المامبو داخل الإناء الفخاري[2] .

تبدو الطريق عند الاقتراب من سرينجار ممتدة مزروعة بنبات زهور صفراء ، وكأن الحقول والمروج تحولت من الأخضر إلى الأصفر ، ذلك اللون يشاهد من على ارتفاعات شاهقة أثناء تحليق الطائرة ، إنه نبات الخردل الذي تشتهر به كشمير إلى جانب الزعفران ويسمى (الهردل) في بعض اللغات الهنديّة وفي بعضها (سرسوخا) ، كما تجذب زهور رقيقة بيضاء وبرتقاليّة وحمراء النظر ، إنها زهور الزعفران النادرة ، وتزداد برودة الطقس عند الاقتراب من سرينجار ، وتبدو الهضاب المرتفعة التي يلفها الضباب والسحب ، إنها سفوح الهيمالايا [3] .

---

[1] دلهي، جامو كشمير، الهند، إبريل،2009.

[2] دلهي، جامو كشمير، الهند، إبريل،2009.

[3] جامو كشمير ، سرينجار ، الهند، إبريل ، 2009 .

ب - سرينجار ، ثقافتها العريقة ، المعالم حولها :

تعّد سرينجار من المدن العريقة في الهند ، وهي قديمة الطراز ، إذ لم يصلها العمران والتقدم كسائر بعض المدن الهنديّة ، لذا تتميز بطرقات القرن الخامس عشر وما قبله ، مما يضفي عليها طابعاً ونكهة مميزين ، وذلك من عوامل ومقومات الجذب السياحيّ إلى الولاية ، يبدو الطابع القديم في المباني والتخطيط الهندسيّ للمنازل والمتاجر والأسواق ، فضلاً عن الأحياء المتواضعة ذات النمط العمرانيّ القديم من حيث الطراز العام للبيوت والمجمعات السّكنية ، وكذلك النوافذ والأبواب ، كما أن شبكات الصرف الصحيّ في الأحياء الداخلية قديمة، وهي قنوات مفتوحة ، بحيث يمكن رؤية ما بداخلها من صرف .

بُني قلب عاصمة كشمير على طول ضفتيّ نهر جيلوم على الشاطئ الجنوبيّ للبحيرات ، وتلفت الأنظار الأسواق المتنوعة التقليديّة ، ومحلات الخياطين النابضة بالحيوية كما يوجد سوق تجاريّ تديره الحكومة . ويكمن جمال المدينة ، بالرغم من اضطراب تاريخها ، وحالة الطوارئ المفروضة عليها ، في بحيراتها المتنوعة وبساتينها الهادئة ، وحدائقها العائمة حيث يزرع البطيخ والبندورة والخيار وجذور اللوتس وذلك في شبكة من القصب والوحل ، وتطفو على سطح الماء مربوطة على شكل مربعات إلى أربعة أعمدة في أرض البحيرة مما يزيد من جمال البحيرة ، وتعرض هناك أنواع من الفواكه والخضار والزهور ، وتوجد شمال المدينة هضبتان ، وهما نافذتان يتمتع الناظر من الوقوف عليها برؤية البحيرات ووادي كشمير البالغ طوله 134 كلم وعرضه 40 كلم [1].

تقدم بحيرة ناجين ودال رحلات سياحية للزائر ، وتستقبل هاتان البحيرتان الزائر ، حيث يستلقي على وسادات ومفارش في (الشيكارا) يقوم خلالها بجولة عامة حول البحيرة التي اختارها ، ويصل السائح بعد ذلك إلى القارب البيت أو الفندق ، وهو يعّد من أبرز مقومات السياحة في تلك الولاية التقليديّة العريقة ، إن مركب (الشيكارا) الشهير ظريف صغير مسقوف أعلاه بلوح خشبيّ تجنباً لعوامل الطبيعة من برودة أو

---

[1] جامو كشمير ، سرينجار ، الهند، إبريل ، 2009 .

أمطار أو حرارة ، تقدم (الشيكارا) القارب الخشبي خدمة جيدة من قبل أصحابها ، وهم من صيادي السمك غالباً . وتشبه الشيكارا مراكب الجندول في البندقية ، كما أنها مبهجة مزينة بأشكال تلفت الأنظار وتعد (الشيكارا) وسيلة تنقل داخل البحيرات ، إذ تروح وتجيء لنقل السائحين بحقائبهم وأمتعتهم ، فضلاً عمن يرغب بالتنزه وسط البحيرات والتبضّع .

ويشاهد باعة السجاد والحرير والشالات والتذكارات النحاسيّة والفضيّة والحلي والحقائب وبذور الأزهار ، يصطف هؤلاء الباعة على جانبي بحيرة ناجين ، وقد تحولت هاتان الضفتان إلى متاجر ، بحيث يكون الإقبال عليها شديداً ، وينزل الباعة وسط البحيرة ، مطاردين السائح لعرض ما لديهم من سلع ، بل هم يفرضون عليه الشراء مما ينغصّ لحظات التمتّع برؤية جمال البحيرة.[1]

تنتشر ثقافة (الشيكارا) في مدينة سرينجار ، فهي بمثابة السكن لبعض العائلات الفقيرة أو المتواضعة ، فضلاً عن أصحابها الصيادين ، فتراهم وقد رسوا بها على جانب نائمين أو يتناولون وجبة ما ، أو يشربون الشاي ، فضلاً عن أن بعض أنواع من هذه (الشيكارا) ، وهي أكبر ، تكون بمثابة منزل ثابت في البحيرة ، يعّد القارب البيت وهو أكبر حجماً من (الشيكارا) ، جزءاً مكملاً (للشيكاراً) ، فالمراكب البيوت حفظت العادات والتقاليد الكشميرية ، لاسيما في سرينجار وحافظت عليها ، لذا أصبحت هذه المراكب السكنيّة جزءاً من الحضارة والثقافة المائية الكشميريّة لقرون عديدة[2] .

تقف معظم المراكب البيتيّة في بحيرة ناجين ونهر جيلوم ، على شكل طوابير منظّمة ومنسّقة ، ويطلق عليها أسماء متنوعة ، هنديّة ، عربيّة ، مغوليّة ، إنجليزيّة ، لقد صممت هذه المراكب على نسق المراكب القديمة ، من حيث البناء والنقوش والزخارف ونظام الغرف وإحكام الشبابيك والأبواب والأقفال الكبيرة ، والحديد ، إنها الطريقة الشرقيّة في المحافظة على خصوصيّة المنازل . يعني اسم ناجين الزمرد الأخضر المميّز ، وهو ذاته

---

[1] جامو كشمير ، سرينجار ، الهند، إبريل ، 2009 .

[2] جامو كشمير ، سرينجار ، الهند، إبريل ، 2009 .

لون البحيرة الجميل . يشبه المركب ، البيت المتكامل فهناك غرفة للجلوس فاخرة ذات سجاد كـشميريّ مميّز ، فضلاً عن غرفة طعام تقليديّة ، تتوسطها الطاولة والمقاعـد، وتزينهـا الـستائر ، هـذا إلى جانـب غرف النوم ، ومطبخ وشرفة جميلة بها الجلسات المفروشة بالفرش والوسائد المريحة ، وهي تطل عـلى مناظر تشرف عليها البحيرة من مرتفعات وأشجار وسماء ساحرة ، كما توجد في غرفة الجلـوس المـدفأة التقليديّة المصنوعة على شكل خزان معدنيّ نحاسيّ يوضع بداخله الخشب وموصول به أنبوبـة ، تتـصل بفتحة في الغرفة ، بحيث يخرج الغاز الناتج عن اشتعال الخشب مع الكيروسين ، بيـنما يـبطن الـسرير ببطانة كهربائية ، للتدفئة ليلاً حيث تنخفض درجة الحرارة وذلك في شهر أبريل [1].

ومما يدل على أن تلك المراكب البيتيّة لها علاقـة بالحـضارة الكـشميريّة في الهنـد، حـديث ابـن بطوطة عن تلك المراكب في القرن الرابع عشر إذ كان يستخدمها السلاطين كوسيلة للتنـزه والتنقـل فهـو يقول : «... وقد كان للفقيه علاء الملك في جملة سفنه سفينة تعرف بالأهورة ، وهي نـوع مـن الطريـدة عندنا ، إلا أنها أوسع منها وأقصر وعلى نصفها مرعش [2] من خشب يصعد له على درج، وفوقـه مجلـس مهيأ لجلوس الأمير ويجلس عليه أصحابه بين يديه ، ويقف المماليـك يمنـة ويـسرة ، والرجـال يجـدفون، وهم نحو أربعين ، ويكون مع هذه الأهورة أربع من السفن عـن يمينهـا ويـسارها ، اثنـان منهـا مراتـب الأمير ، وهي العلامات والطبول ... ، ويغني المغنون نوبـة ، ولا يزالـون كـذلك مـن أول النهـار إلى وقـت الغداء ، فإذا كان وقت الغداء انضمت المراكب واتصل بعضها ببعض، ووضعت بينها الإصـقالات ...» [3]، وآتى لأهل الطرب إلى أهورة الأمير ، فيغنون إلى أن يفرغ من أكله ، ثم يأكلون . وإذا انقضى الأكل عـادوا

---

[1] جامو كشمير ، سرينجار ، الهند، إبريل ، 2009 .

[2] المرعش : لوح كبير من الخشب .

[3] الإصقالات : أخشاب ضخام .

إلى مراكبهم ، وشرعوا في المسير ، فإذا كان الليل ضربت المحلة على شاطئ النهر ، ونزل الأمير إلى مضاربه ...»[1].

ويقع على مقربة من بحيرة ناجين مسجد شهير ، ويفصل مجرىً مائي خلف المسجد بحيرة ناجين عن بحيرة دال ، التي تشتهر بجمالها، فضلاً عن ذبذباتها ، إذ تشهد مياهها حياة فريدة لا مثيل لها في أي مكان من العالم .

وترسو القوارب البيتّية في بحيرة دال ، وإن كانت أقل هدوء من بحيرة ناجين ، إلا أنها تشّكل عصب السياحة في سرينجار ، ونقطة جذب قوية للسائحين ، سواء أكان ذلك بجمال ضفتيّ البحيرة على امتداد الطريق وما وراءها من هضاب ومرتفعات جبلية خضراء ، منها سلسلة جبال زبرون ، وبحيرة دال نابضة بالحياة لكونها تغذي على محيطها حياة لا يوجد لها مثيل في العالم .

ولا يزال أصحاب المراكب البيتّية و (الشيكارات) يقتاتون من البحيرة والبُنى التحتيّة فوق البحيرة كاملة ، فالسكان لا يحتاجون للنزول على اليابسة إلا نادراً ، فيوجد الأطباء والخياطون والخبازون جميعاً في الحوانيت الخشّبية الصغيرة على البحيرة، قرب حدائق الخضروات الجميلة وحدائق النيلوفر المترامية الأطراف ، كما أن البعض من أصحاب القوارب البيتّية الجيدة يخليها في بعض المواسم ليسكن مؤقتاً قريباً منها ، في بيت خشبيّ صغير ، ملحق بها في مزرعته أو حديقته القريبة منها ، ذلك كله من بنى البحيرة وموجود في أجزائها وإن كانت يابسة [2].

جـ - الحدائق المغوليّة ، والمنتجعات حول سرينجار

كانت كشمير محببة لدى الملوك المغول ، فكانوا يزورونها أحياناً وقد غرسوا الحدائق ذات المصطبات المدرجة ومجاري المياه المتدفقة ، وعندما كانوا يستريحون في الحدائق طالما حلموا بأنهم في الفردوس ، ولدهشتهم عند رؤية وادي كشمير اشتهر

[1] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطه ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 1430 / 2009 ، جزء 2 ، ص 16.

[2] جامو كشمير ، سرينجار ، الهند، إبريل ، 2011 .

عنهم قولهم « إنها الجنة على الأرض « ولا زالت حكومة الولاية تطلق عليها ما يشبه هذه العبارة التي يلاحظها القادم إلى مطار سرينجار، فهي مكتوبة على بوابة القدوم .

تعّد حديقة شاشما شاهي (جشمة شاهي) الينبوع الملكيّ ، أول حديقة مغوليّة ، بعد حديقة نهرو ، وقد بنيت على سطح أعلى من المدينة ومنظرها رائع التخطيط ، وإن كانت أصغر الحدائق المغوليّة في سرينجار ، حيث توجد بها ثلاثة مدارج فقط ، فضلاً عن ينبوع طبيعيّ للماء تحيط به مقصورة من الحجارة. تقع حديقة (شاشما شاهي) ، (وباري محل) على يمين طريق بلوفارد الشهير وتوجدان بين التلال الدائرية ، إذ تشرفان على أجمل البقاع ، كما تقع حديقة(نشاد أو نشاط)[1] على امتداد الشارع الذي يحيط ببحيرة دال ، وقد بناها آصف خان شقيق نورجيهان، وهي أكبر الحدائق إذ توجد فيها مصطبات كثيرة ومجرىً مركزيّ للماء ، وتقع بين بحيرة دال وجبال (زبرون) التي تحيط بأجزاء من مدينة سرينجار ، مما يضفي عليها الحسن والجاذبية ، فضلاً عن الموقع المهيب . تعّد حديقة نشاط الأكبر حجماً وتضم مناطق خضراء هائلة تتكون من أشجار شينار[2] في نقطة ربما زرعها المغول أنفسهم .

جمعت حديقة شاليمار قصة وفاء الإمبراطور جيهانغير وملكته نورجيهان ، لذا تعّد هي الأشهر ، حيث بناها هذا الإمبراطور لزوجته ، ولحبه الأسطوريّ لكشمير ، تقع على هذه الحديقة أشجار شينار الضخمة ، و لذا يطلق عليها أيضاً حدائق شينار ، وهي تتألف من سلسلة من المقصورات الحجرية والمياه الجارية والمزاهر الجميلة المماثلة لعلب الألوان [3].

لقد صممت شاليمار 1616 ، بحيث تكون ممشى للاستمتاع والتنزه إلى جانب التأمل في جمال صنع الخالق من خلال الشرفات التابعة للأجنحة الخاصة، وجناح الحريم .

---

[1] نشاد : تلفظ نيشات أيضاً .

[2] شينار : كلمة فارسّية تعني النبق ، جلبها المغول معهم من فارس .

[3] كشمير، سرينجار، الهند، إبريل،2011.

وصممت نشاط 1633 بحيث تتضمن اثنى عشر شرفة محاطة بأشجار الأرز و السرو مع إطلالة على بحيرة دال وما خلفها من مناظر مهيبة .

يمكن لدول الخليج العربي الاهتمام بانشاء الحدائق والمصطبات الزراعية، التي تضفي الجمال والهدوء على ما حولها وتحفظ البيئة من التلوث والحرارة فضلا عن جذب السائحين إلى القضاء المفتوح عوضاً عن المجتمعات المغلقة.

تشكل المنتجعات الجبلية ، حول مدينة سرينجار ، أبرز مقومات السياحة والجذب إلى كشمير لاسيما من قبل السائحين الهنود الذين يقدمون من مختلف الولايات الهنديّة ، ويعّد منتجع (جولمارج) أهم المنتجعات ، ويبعد المنتجع عن مدينة سرينجار 56 كلم ، ما يقارب الساعتين ، وتملأ المرج الضخم على شكل فنجان الأشجار الخضراء والمنحدرات ويخيم عليه الهدوء ، وقد لا يمكن رؤية اللون الأخضر لكثافة السحب والثلوج ، و تعني جملة جولمارج مرج الذهب والأصح الورود . كان (جولمارج) محطة لتصوير المشاهد الرومانسيّة في الأفلام ، وتحيط بها جبال يكسوها الجليد ، ويؤدي طريق الخيول إلى (خيلا نمارج) و(كو نجدوري) ، وسبعة ينابيع وتستغرق الرحلة ساعتين على ظهر الخيل .

ترتفع (جولمارج) عن سطح البحر 2730 متراً ، و تبدأ رحلات التنزه القصيرة من (جولمارج) التي تعد منتجع التزلج للمبتدئين ، وحيث يمكن استئجار أدوات التزلج ، وقد يأتي السياح للاستمتاع بالجليد ورؤية المناظر دون التزلج ، ويتراوح ارتفاع وجود المنحدرات ما بين 200 إلى 900 متراً . وأنشئ مصعد الجندول ، لتحقيق الإثارة ، ويبدأ من أعلى (جولمارج) عن طريق منحدرات مكسوة بأشجار الصنوبر ، يتألف الجندول من ستين عربة تلفريك تحمل السياح إلى ارتفاع 3090 متر من 2690 متراً عند القاعدة . كي تشعر بالدفء بعد رحلة الجندول الباردة ولاسيما في أول إبريل ، يمكن التدفئة ، في استراحة الجندول بشرب فنجان من (الكهوة) القهوة الكشميرية الشهيرة ، فضلاً عن التدفئة ، أمام المدفأة التي تشعل بالغاز ، بينما ترى نتف الثلج وهي تتساقط أحياناً من شبابيك الاستراحة .

كما يقع وادي (سونامارج) الهادئ على ارتفاع 3000 متر وعلى بعد 180 م شمال شرق سرينجار ، ويعني الاسم حقل الذهب أو الثلج ، تؤدي الرحلة إلى

عجائب الطبيعة حيث تبدو الجبال الثلجية وكأنها ستارة خلفية تواجه السماء الزرقاء، مروراً بوادي السند الذي تحيط به الهضاب والمرتفعات ، بينما تكسو السفوح الخردل بلونه الأصفر ، و تحيط بوادي ثاجبوس الجليدي سلسلة من الجبال يبلغ ارتفاع بعضها 5300 متراً وتعد الرحلة إلى سونا مارج والوادي أهم عوامل الجذب خلال فترة الصيف ، وتشكل المساقط المائية والنهر انعكاساً متلألئاً مع المروج الخضراء في (سونا مارج) [1].

يعتبر (باهلاجام)المنتجع الأول في كشمير فالطقس بارد حتى في فصل الصيف، وإن مال إلى الحرارة حسب ظهور الشمس ما بين إبريل ويوليو و يقع المنتجع وسط تلال مرتفعة ، لذا يقوم بعض السائحين بتأجير فرس بدلاً من السير على الأقدام ، وتحيط بالمنتجع غابات من أشجار الصنوبر الكثيفة بأجمل التلال ، وهو المرج الأخضر المموج بيساران.

يقع منتجع باهلاجام على بعد 95 كلم شرقيّ سرينجار ويجتاز الطريق عبر حقول الصفصاف المستعمل محلياً في صناعة مضارب البيسبول ، وحقول الزعفران بأزهارها الرقيقة البيضاء أو الأرجوانية ، بنوعيها الذكريّ الذي زهراته برتقاليّة ، والأنثوي زهراته بيضاء وحمراء ، مما يضفي أروع المناظر على جانبيّ الطريق[2].

يضم منتجع باهلاجام تسع قرى صغيرة من بينها قرية (ما مال) كما يوجد معبد شيفا أوف ويعتبر أقدم معبد في كشمير ، وهو يعود إلى القرن الثامن، كما تشتهر باهلاجام بكونها نقطة انطلاق لرحلات التنزه إلى الجبال المحيطة ونهر (كولاهو) الجليدي والبحيرات التي تروي الحقول من المرتفعات ، فضلاً عن الصيد بالصنارة وركوب الخيل أو البغل.

أهم مقومات السياحة الطبيعيّة في كشمير أساسها المناظر الطبيعيّة التي لم تمتد إليها يد الإنسان ، بحيث هناك مساحات خضراء ، وغابات كثيفة من أشجار الكستنا واللوز والجوز والتفاح والصفصاف والأرز ، وأشجار التوت و الشينار والصنوبر .

---

[1] جامو كشمير ، سرينجار ، الهند، إبريل ، 2011 .

[2] كشمير ، سرينجار ، الهند، إبريل ، 2011 .

وذلك يطابق قول بطرس البستانيّ عن نباتات آسيا ومنها كشمير : «... تجري فيها المياه وهي من الأقطار التي تقبل فيها المزروعات الجيدة جداً والنباتات الجميلة ، فهواؤها كهواء إسبانيا ، وتنباك شيراز ليس له مثيل في كل الشرق ... وفيها أحسن أنواع القمح والذرة والبرتقال والرمان ، والجهة الأخرى من هذا السهل صحراء غير أنها ليست كصحراء أواسط آسيا لأنه ينبت فيها النباتات التي تنمو في بلاد ذات هواء حار جداً . وللهواء في الأقطار الواقعة في الجهة الجنوبيّة من الهند وكوش نفس التأثيرات التي وصفناها في الكلام عن أراضي إيران المخصبة غير أنها أخصب بسبب رطوبته .

وكشمير واقعة في 24 درجة و 7 دقائق من العرض وهي مرتفعة عن البحر خمسة آلاف وثمانمائة و18 قدماً وهواؤها من أطيب الأهوية عند الشرقيّين ومع ذلك يرتفع الثلج فيها بضعة أقدام من شهر كانون الأول (ديسمبر) إلى شهر آذار (مارس) وفي كشمير كل المحصولات التي لا تحتاج إلى حر المناطق الحارة وفيها أفخر أشجار أوروبا وأطيب ثمارها وشهرة بساتينها تغني عن وصفها...»[1].

وتزرع أيضاً في الأجزاء المنبسطة المنخفضة عن سطح البحر ، في سرينجار وما حولها ، المانجو والموز ، فضلاً عن حقول الأرز ، ولاتضاهي حقول المناطق الدافئة لاسيما في الجنوب والغرب وأجزاء من الشمال .

2- مقومات السياحة الثقافيّة ومعالم الجذب

أ – المعالم الدينيّة ، مقومات الثقافة الإسلاميّة

تتميز كشمير لاسيما سرينجار وما حولها ، بوجود أماكن الزيارة الدينيّة الهندوسّية والإسلاميّة ، حيث يقع معبد شنكر أشاريا على ارتفاع 100 قدم من سطح المدينة ويعود تاريخه إلى 2500 ق .م ، إذ كان الفيلسوف شنكرأشاريا قد أقام في هذا المكان عند زيارته لكشمير قبل عدة قرون لإحياء عقيدته التي تدعى (سناتن دهرما) ،

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، لا تاريخ ، المجلد -1 ، ص 88-89 .

كان المعبد يدعى قبل ذلك (جوبادرى)، الذي شيده في نفس المكان الملك (جوبادتيا)في القرن السادس ، ولا يزال الشارع الذي يمر تحت الجبل وبجانبه منازل كبار موظفي الحكومة يدعى باسم جوبكار .

يقع في الجانب الغربيّ للمدينة جبل (هاري بارت)، وهو جبل يحيط به حصن ويقع عليه معبد(شاريكا ديفي)، ويوجد معابد هندوسّية أخرى . إلا أننا سوف نركز على الأماكن الدينيّة للمسلمين وأصولها ، حيث الغالبية العظمى من سكان كشمير مسلمون، وحيث تنحدر أصول بعضهم إلى العربية ، إذ جاءوا عن طريق الفتح الإسلاميّ واستقروا هناك . و يدل على ذلك قول ابن بطوطة : وسرنا من نهر السند يومين ووصلنا إلى مدينة جنابي ، مدينة كبيرة حسنة على نهر السند ، لها أسواق مليحة ، وسكانها طائفة يقال لهم : السامرة ، استوطنوها قديماً ، واستقر بها أسلافهم حين فتحها على أيام الحجاج بن يوسف حسبما أثبت المؤرخون في فتح السند ، وأخبرني الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد العابد ركن الدين بن الشيخ الفقيه الصالح بن الشيخ الإمام العابد الزاهر بهاء الدين زكريا القرشيّ ، وهو أحد الثلاثة الذين أخبرني الشيخ الوالي برهان الدين الأعرج بمدينة الإسكندرية أني سألقاهم في رحلتي ، فلقيتهم والحمد لله ، أن جده الأعلى كان يسمى بمحمد بن قاسم القرشيّ ، وشهد فتح السند في العسكر الذي بعثه لذلك الحجاج بن يوسف أيام إمارته على العراق ، وأقام بها وتكاثرت ذريته ، وهؤلاء الطائفة المعروفون بالسامرة لا يأكلون مع أحد ، ولا ينظر إليهم أحد حين يأكلون، ولا يصاهرون أحداً من غيرهم ، ولا يصاهر إليهم أحد ، وكان لهم في هذا العهد أمير يسمى ونار[1]..."

يبدو أن أصول القرشيّ عربية ، فهم كما يؤكد ابن بطوطة شهدوا فتح السند وتكاثروا ، كما أن هناك حي بأكمله تقطنه عائلة القرشيّ ، إذ يلفت الإنتباه أن كل بيوت الحيّ مكتوب عليه الاسم الثالث قرشيّ ، وقد أكد أحدهم أنهم ينتمون إلى قريش، كما أن سحنتهم ولونهم الحنطي مع اللحى البيضاء والرداء الذي يرتدونه في تلك

---

[1] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 1430 /2009 جزء -2 ، ص 11.

المنطقة ، يشبه البشت ، كما أنهم يتميزون بوجوه مضيئة مريحة ، دائمة الابتسام والترحيب .[1]
توحي الثقافة الكشميريّة بالتراث الدينيّ الروحيّ ، فضلاً عن ثقافة الإنتاج العريق ، إذ يعود ذلك إلى عدة قرون مضت ، مما يعدها من عوامل الجذب السياحيّ ، و غالباً ما يبحث الزائر عن التراث والجذور .

ويعدّ مسجد مزار حضرة بال من أبرز المعالم الإسلاميّة في سرينجار ، وهو يوجد على الشاطئ الغربيّ من بحيرة دال ، حيث القبة الكبيرة البيضاء ، لقد صُنع هذا المسجد من الرخام الأبيض المتلألئ الذي يضم إحدى شعيرات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما يقال ، وربما جلبت من تركيا ، أيام حكم بني تغلق الأتراك للهند أو خلال الفتوحات الإسلامية العربية المختلفة ، لا يفتح القسم الذي به الشعيرات للزائرين إلا في مواسم معينة . يتميز مسجد جامي ، في وادي كشمير بأنه من أضخم المساجد وأقدمها ، إذ يوجد في مدينة سرينجار القديمة . وحيث هو موضع للعبادة إذ لا زال المسلمون يصلون فيه فضلاً عن أنه صرح سياحيّ عظيم ، هندسته ذات نمط مغوليّ ، ومبنيّ بالطوب الأحمر . وأنشئ مسجد شاه هامادات على ضفاف نهر جيلوم ، وفي كل مسجد في كشمير توجد شرفة مغطاة بمحيط المسجد تستخدمها النساء للصلاة .

يوجد أيضاً في المدينة القديمة وعلى مسافة قريبة من مسجد حضرة بال قبر الشيخ محمد عبد الله أسد كشمير في حي قديم وهو محاط بجدار ، كما توجد بين عدة كيلومترات و أخرى لاسيما في المدينة القديمة الكثير من المزارات المحاطة بقماش أو ستار أخضر .

كما يوجد ضريح الشيخ بابا ريشي الشهير على مقربة من الطريق إلى (جولمارج) ، أسفل قليلاً وبابا ريشي هو أحد علماء المسلمين ، ويزور المسجد الكثير من المسلمين والهندوس ، ويبدو في ذلك الجمع بين الإسلام الخالص والصوفيّة المتأثرة بغير الدين الإسلاميّ ، ونجد مع ذلك التصوف ووجود المزارات الدينيّة لبعض الأشخاص ، أن الصوفيّة في كشمير غير مبالغ فيها . وهذا لا يعني وجود المبالغة ،

[1] كشمير، سرينجار،الهند،ديسمبر،2009.

والتهويل لدى طائفة معينة . و يحترم أهالي كشمير المسلم القادم إلى بلادهم لاسيما إذ كان من بلاد الخليج العربيّ ، ذلك لتقديرهم للمملكة العربيّة السعوديّة لوجود بيت اللـه فيها ، وهذا الشعور والاحترام للمسلمين العرب لا نفاق ولا رياء فيه في مختلف أنحاء الهند ، ونستدل على ذلك من حديث ابن بطوطة عن تقدير أهل الهند للعرب من قوله :".. وأهل تلك البلاد ما يدعون العربيّ إلا بالتسويد[1]، وبذلك يخاطبه السلطان تعظيماً للعرب... " [2].

كما يقول حينما بعث سلطان كلكيت... من البردداريه وهم خواص البوابين ، بعثه السلطان بأموال يستجلب بها من قدر عليه من العرب من أرض هرمز والقطيف لمحبته في العرب ..."[3]

وسوف نتحدث عن علم من أعلام الصوفيّة ورمز من رموزها وهو الشيخ عبد القادر الجيلاني ، الذي يوجد له مزار في مدينة سرينجار القديمة .

يعد عبد القادر الجيلاني أحد أكابر العلماء وأئمة الصوفية الذي طافت شهرته بقاع الأرض واعتقد به مسلمو الشرق والغرب ، ونسبه هو أبو محمد عبد القادر محي الدين أبي صالح موسى ، والذي ينتهي نسبه إلى موسى الجون بن عبدالله المحّض بن الحسين المثنى بن الحسين السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب من زوجته فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا ساق النسّابة والمؤرخون نسبه في سبعين مصنف .

ولد عبد القادر الجيلاني ببلاد جيلان ويقال لها(جيل وكيل وكيلان) من بلاد الفرس وفى موضع يقال له بشنير وربما ولد فى مكان وتربى في غيره ، وإن عّد

---

[1] التسويد:أي الوصف بالسيد.

[2] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009/ 1430 جزء-2، ص 170.

[3] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009/ 1430 جزء-2، ص 170.

البعض أن جيلان في نواحي بغداد ، ولو نسب إلى غير بلاده الأصليّة فإن بغداد أولى البلاد ، فيها موضع هجرته وضريحه .

اشتهر عن الجيلاني أنه صادق الفراسة قويّ الحجة والعزيمة ، كما أنه كان يتكلم عن الخواطر ويعبر عن مكنون السرائر ، لذا كان يتوب على يديه الكثير لماله ولأقواله من تأثير ، وقد ضاقت زاويته بالحاضرين في بغداد ، لاسيما أن تأثير صوته في السامعين كان قوياً ، ولكون صوته جهورياً اعتقد البعض أن البعيد يسمعه مثل القريب ، وأضيفت تلك إلى كراماته .

اشتغل الجيلاني بعلوم اللغة وآدابها ، وكان من الطبقة العالية في العلوم الشرعيّة من فروع وأصول ومعقول ومنقول ، وهو شافعيّ المذهب . رأى الأمام أحمد بن حنبل في النوم يقول له أدرك المذهب الحنبليّ عبد القادر ، حيث ضعف المذهب الحنبلي في العراق وكاد يمحى فانبرى صاحب السيرة إلى الاشتغال به تعليماً وتأليفاً حتى صار إمام الحنابلة ، وكان علماء العراق يعجبون بفتواه أشد الإعجاب ..." [1]

أخذ عبد القادر الجيلاني التصّوف من أبي عبد الله الصومعيّ زاهد جيلان الشهير ، كما أخذه عن شيوخ بغداد ومنهم الشيخ حماد الدباس ، وقد انتشرت طريقته في جميع الأقطار الإسلاميّة حيث عرف عنه التقيّد بالشرع والبعد عن البدع وقد رويت عنه أمور لا تنطبق على ما عرف من سيرته ، تلك الأمور اخترعها بعض المنتسبين إلى طريقته ، كما يحدث في كثير من البلاد ، حيث يريد بعض الجهال إعلاء شأن مريديهم فيبالغون في الحديث عن كراماتهم .

لقد فهم مريدوه بعض أقواله خطأ ومنها قوله حينما شكوا إليه إقبال الدنيا عليهم ، قال :"... أخرجوها من قلوبكم   لا يديكم فإنها لا تضركم ... فهو يعني أن يسعى الإنسان طلباً للرزق دون أن يكون عبداً للمادة ، لا لإعراض عن الدنيا أو الخمول ، وبذلك بالغ مريدوه في الكسل ، فظنهم البعض ضعفاء متقاعسين .

---

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، لا تاريخ ، المجلد 11- ، ص621

نقل عن العّز بن عبد السلام سلطان العلماء وعن الحافظ إبن تيمية المعروف بشدة الإنكار على المتصوفّة... ما ثبت كرامات وليّ بالتواتر إلاكرامات الشيخ عبد القادر الجيليّ ... والمراد التواتر المعنوي كالأخبار المثبتة عن شجاعة عنترة العبسيّ ، وكرامات عبد القادر التي بإثبات العلماء ليس مبالغ فيها ، ذلك بسبب صدقه وإيمانه بالله وقربه منه مما يقوي الصلة بين الخالق والمخلوق .

يوجد ضريح عبد القادر الجيلاني في بغداد ويوجد له مزارات أو أضرحة رمزية تقديراً له كما يقول المتصوفة من الهنود ، حيث يوجد له ضريح في حيدرأباد أيضاً ، ذلك حسب المشاهدة ، كان الجيلانيّ محترماً ، ومتواضعاً ، فهو يجالس الفقراء ويؤكلهم ويجاملهم ، مما زاد تعظيم الناس له بعد موته حتى كاد يكون عبادة ، وأكثر الناس غلواً في ذلك أهل الهند ... وقد نقل عنه أنه قال:".. قدمي هذه على رقبة كل وليّ وحين علم الأولياء بذلك حنوا رؤوسهم مذعنين له قائلين أن الكلمة تنبئ بعلو كعبه على جميع القوم..." [1].

نستنتج مما تقدم أهمية علم من أعلام الصوفيّة ومدى تقدير المتصّوفين لعلمائهم وأحياناً المبالغة والغلو ، و كشمير شاهد على ذلك . فالمزارات والمساجد منتشرة ، في سرينجار وما حولها . إلا أن مزار الجيلانيّ أكثرها تقديراً ، لاسيما الاحتفال به لمدة عشرة أيام في شهر ربيع الأول ، فالزائرون للمسجد يدخلونه خاشعين باكين ، وقد تناسوا أو نسوا ما يدور حولهم ، و يوجد عند بوابة المدخل الكثير من السلاسل الكبيرة جداً وهي فضيّة وذهبيّة ونحاسيّة والتي يلمسها كل داخل تبركاً . وقد خصصّ قسم للنساء ، حيث الصلاة ، والاستماع إلى خطبة أحدهم الذي يرتدي الزي العربيّ الخليجيّ بينما تفيض المشاعر ، فهناك النحيب والبكاء ، ففي تلك الأيام يقام الاحتفال بمولد الشيخ عبد القادر الجيلانيّ ، فالشباب والشيوخ يبكون متضّرعين ، في ألم وحسرة . أما حول المسجد فهناك عربات بها مختلف أنواع الحلوى التي تعد لهذه المناسبات في قدور وصوان كبيرة فضلاً عن الفواكه والخضار .[2]

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، لا تاريخ ، المجلد 11 - ، ص. 624-623

[2] كشمير، سرينجار، الهند، إبريل،2009.

لقد ألقينا الضوء على شخصية عبد القادر الجيلاني لبيان أثر الثقافة الدينيّة ، كونها مصدر من مصادر الجذب السياحيّ ، فضلاً عن التأثير الصوفيّ في أهل كشمير، لاسيما سرينجار التي يتميز بعض أهلها بالمبالغة والتهويل العاطفي ، إلا أنهم يتميّزون غالباً بالصّوفيّة النقية الخالصة لله القائمة على احترام العلماء ورجال الدين فهم يحترمون ويقدرون القادم من دول الخليج العربيّ ، اعتقاداً منهم انه قادم من الديار المقدسة ، فضلاً عن قراءتهم للقرآن الكريم ، إلى جانب قراءة أوراد معينة لمدة نصف ساعة أو أقل بعد صلاة الفجر، كما توجد تلك الأوراد في المنازل والمكاتب ، كما أننا لم نجد مظاهر الصوفيّة الزاهدة الداعية إلى الخمول والكسل وعدم العمل زهداً في الحياة واعتماداً على ما يقدم من صدقات ، فتلك المظاهر قد توجد في أحياء من مومباي ودلهي[1] .

ب – المطبخ الكشميريّ ، أصوله ، تنوعه

يتنوع المطبخ الهندي بتنوع حضارته وثقافته ،كما لا يوجد خلطة كاري أو بهار واحدة ، فلكل صنف من الطعام ، الخلطة الخاصة به ، مضافاً إليها البصل المحمر بالزيت ، أما الماسالا الحار ، فخلطته تتألف من الكزبرة والكمون والزنجبيل والبهار الأسود والقرفة والفلفل الحلو و الهيل وورق الغار والقرنفل وجوز الطيب والزعفران

تعود أصول المطبخ الهندي الشماليّ إلى الأتراك والمسلمين عامة ، ومنهم المغول وفي الشمال ، حيث البقر محرم على الهندوس ، والخنزير على المسلمين لذا فاللحم المستخدم هو لحم الغنم أو الخراف ، والكاري الخاص به هو (روجن جوش) والجوش هو الغنم ، تحضر مكعبات من اللحم في الروغن أي صلصلة اللبن مع الفلفل الحار والزنجبيل ، ويقدم هذا المرق الغليظ مع الأرز الأبيض أو الخبز . ويتناول السكان في كشمير الحمل بعدة طرق مختلفة ، فمأدبة وازان الكشميريّة قد تضم من 16 – 36 نوعاً أو 52 طبقاً بل يقول البعض أن المأدبة قد تصل إلى 60 طبقاً ، فهي تزيد عن صينية الطالم أو التالي .[2]

(1) كشمير، سرينجار، الهند، إبريل،2009.

(2) كشمير، سرينجار، الهند، إبريل،2009.

وتعدّ أطباق أخرى من كريات اللحم المدقوق مع اللوز والتوابل وتسمى الرستة وبحيث تكون الصلصة أو المرق غليظة وهي حارة المذاق ، كما يعد طبق (التاباكماس) ، وهي أضلاع الخروف مع الجلد الأجعد ، ومما تشتهر به كشمير طبق الجوشتابا ، وهو لحم الحمل الصغير الأكثر طراوة على الإطلاق ، بحيث تدق أو تضرب أو تاد لحم الحمل الرضيع قبل أن ينّعم ، ثم يغمر باللبن أو الحليب ، ويعتبر هذا الطبق الرئيسيّ على مائدة الأعراس ، وطبق البولاو [1] الكشميريّ يعّد أيضاً من أطباق المناسبات الدينيّة والأعياد وحفلات الزواج، وهو خليط من الأرز مضاف إليه الفواكه المجففة مثل الكاجو ، والزبيب ، واللوز ، فضلاً عن البصل المحمر وبعض البهارات مثل القرفة وجبات الهيل والفلفل الأسود ، كما يعد البرياني بلحم الحمل على الطريقة المغوليّة ، وإن ندر ذلك في الجزء الشماليّ من كشمير ، بينما نجده في الجزء الشماليّ من دلهي ، وجنوباً في حيدر أباد بطريقة مختلفة . تؤكل في كشمير كل الذبيحة حيث تعد أطباق من الكبد و الكلى و الكتفين والساق [2] ، كما تصنع أنواعاً من المشاوي مثل الكباب الذي يغمس في الصلصات المعدة من البصل واللبن والبهارات ، وأحياناً دون صلصة .

تتميز سرينجار بما يعرف بالمائدة و(ازان)، وهي مطاعم شعبية تقليديّة تعد أطباق من الوجبات التقليديّة ، ولعل أشهرها (الروغن غوش)كما تقدم والرستة . ويطهى ذلك في قدور عميقة نحاسيّة ، وبحيث يمكن رؤية تحضير اللحم بدقه لتنعيمه ، فضلاً عن رؤية ساق الحمل ، وتنتشر على امتداد طريق بحيرة دال عربات خشبية ، يبيع أصحابها اللحم المقطع إلى مكعبات صغيرة والمنقوع في صلصة من البهارات والزنجبيل واللبن أو الزبادي، و يعرف ذلك ما يشبه التكة، حيث تشك قطع اللحم في أسياخ وتشوى على نار الفحم ، وتقدم مع الخبز ، ربما يكون لحم الخروف هو الأشهر لصنع الشواء وقد يخلطه البعض بلحم البقر أو الطاووس وكذلك الدجاج ، ويوضع وسط خبز يعرف بالأفغاني ، و يباع اللحم المشوي منذ الساعة الواحدة

---

[1] قد تكون أصول البولاو التركية.

[2] كشمير، سرينجار، الهند، إبريل،2009.

ظهراً وحتى الساعة التاسعة مساءً ، ذلك لبرودة الجو في هذه المنطقة مما يشجع على تناول أطباق اللحم[1] .

يتناول أهل كشمير صباحاً الخبز الأفغانيّ الصغير الحجم ، مع الشاي بالحليب، وغالباً مع الشاي النمكي ، أي الذي به ملح بدلاً من السكر ، أو يتناولون ما يشبه الخبز المستدير المنفوخ مع الزبدة ، أما القهوة الكشميريّة، فهي ما تشتهر به كشمير ، وتقدم كواجب للضيافة في المحلات التجاريّة والفنادق، ويطلق عليها الاسم العربيّ ، الكهوة اي القهوه وهي بيضاء أي لا تحمص وتباع على شكل مسحوق ناعم أبيض وبحيث تضاف إلى الماء المغليّ مع قليل من الينسون والقرفة ، وتصّب في الكوب الذي به قليل من المكسرات الجافة مثل الكاجو واللوز . وتباع البهارات أيضاً على شكل خلطة معجونة مثل الصلصة وفي أوعية بلاستيكيّة .

ومما يدل على أصالة المطبخ الكشميريّ ، وصف ابن بطوطة للطعام الذي يقدم للسلطان وهو يشبه مأدبة وازالان ، فهو يقول: ..." وترتيب ذلك الطعام أنهم يجعلون الخبز ، وخبزهم الرقاق ... ويقطعون اللحم المشوي قطعاً كبيرة ، بحيث تقطع الشاة أربع قطع أو ستاً ، ويجعلون أمام كل رجل قطعة ، ويجعلون أقراصاً مصنوعة بالسمن تشبه الخبز المشترك ببلادنا .

وذكر ابن بطوطة"... أن الخبز يجعلون في وسطها الحلوى الصابونيّة ويغطون كل قرص منها برغيف حلواء يسمونه الخشتى ، ومعناه الأجرى ، مصنوع من الدقيق والسّكر والسمن ، ثم يجعلون اللحم المطبوخ بالسمن والبصل ، والزنجبيل الأخضر في صحاف صينيّة ، ثم يجعلون شيئاً يسّمونه سموسك ، وهو لحم مهروس مطبوخ باللوز والجوز والفستق والبصل والأبازير، موضوع في جوف رقاقة مقلوة[2] بالسّمن ، يضعون أمام كل إنسان خمس قطع من ذلك أو أربعة ، ثم يجعلون الأرز المطبوخ بالسمن وعليه الدجاج ، ثم يجعلون لقيمات القاضي ويسمونها الهاشمي ... فإذا أتوا بأكواز الفقاع ، شربوه وأتوا التبنول و الفوفل..." [3]

---

[1] كشمير، سرينجار، الهند، إبريل،2009.

[2] المقلوة : أي المقلية.

[3] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 2009/ 1430 جزء - 2 ، ص. 21 – 20

نجد أن قطع اللحم الكبيرة المشوية التي تضع فوق الخبز ، تشبه قطع اللحم المشوية على الأسياخ إلا أنها صغيرة ، أما الخبز الرقاق ، فهو خبز لين يعد على الصاج أو التاوة مع زيت قليل ، ويشبه الخبز المصنوع بالسمن البراتا ، أو الجباتي بالزبدة أو الزيت القليل .

كما أن اللحم المطبوخ بالزنجبيل والبصل وهو ما يسمى الروغن جوش ، أما السموسك فهي السمبوسة و المعروفة في الخليج العربيّ ، والتي يتدرب بعض الهنود على إعدادها في بلادناً، ففي بعض الولايات قد لا توجد هذه الأكلات مما يفسر امتزاج المطبخ الهنديّ ، بالثقافة التركيّة المغوليّة العربيّة ، فالحلوى أو الحلواء التي ذكرها أكلة مشتركة لها جذور في البحرين وعمان ، فضلاً عن الهند ، لاسيما كيرلا ، وحيث يطلق عليها نفس الإسم العربيّ الحلوى .وقد تكون أصول البولاو تركية أو هندية تركية للتأثر بالمطبخ العثماني أما الخبز الأفغاني، فهو يشبه الخبز الذي يخبز ببلادنا وينسب إلى ايران الا أن اصوله تعود إلى الأفغان. فهو يعرف في ولايات ومدن الهند بالخبز الأفغاني[1]

جـ - ثقافة الحرف اليدويّة

وتشتهر سرينجار بمنتجات حرف يدويّة دقيقة ومتميزة ولعل أشهرها الشالات المصنوعة من الصوف الخالص أو مزيج من الصوف وألياف أخرى ، كما أن هناك الصوف الممتزج بالبشمينا وهو أغلى من الصوف ، ويتميز بالتطريز الدقيق بالأبرة ، و يستخدم الورق المعجن لصنع الزهريات والطاسات والصواني وغيرها من مصنوعات مطليّة على أيدي الحرفيين ، فهناك تماثيل الطيور وأوراق الشينار ، مطلية برقاق الذهب الخالص ، و أسعارها غالية .

تتميز سرينجار بحرفة إنتاج الخشب لاسيما خشب شجر الجوز ، الذي تشتهر به كشمير ويحصل على الخشب من ثلاثة أجزاء من الشجرة ، الأغصان و الجذوع و الجذور ، يبدو لون الأغصان أصفر خالٍ من العروق ، بينما يبدو خشب الجذع داكناً، به عروق بارزة قوية ، فهو الأغلى ثمناً ، كما يتميّز خشب الجوز بنعومته مما يسهل النقش فيه لصنع أوراق الشينار ، أو أوراق ذات عروق على الحواشي ، فتنقش الزخارف على علب المجوهرات بدقة ونعومة ، كما تصنع من خشب الجوز أطباق

[1] مثل ولاية أندرها براديش، وكشمير.

السلطة والملاعق الخشبية الكبيرة والصغيرة ، وإطارات الصور ، والصواني الخشبية ومنضدة الشاي أو الزينة ، وكذلك طاولة الطعام وكرسي حمل المصاحف الشريفة ، وحاملات الكتب أو الجرائد ، والقوارب البيتيّة والشيكارا فهي الأكثر إنتاجاً ، فضلاً عن أنواع من الطيور مثل اللقلق والبجع ، وكذلك الزهور مثل زهرة اللوتس كما تصنع أدوات المطبخ[1]

وتنبت شجرة التوت بكثرة في كشمير ، حيث تقتات عليها ديدان القزّ مما ينتج الحرير الناعم ، المتميز بالمتانة مع كونه رقيقاً وذلك ما تشتهر به كشمير ، تنتج أيضاً السلال المصنوعة من الأماليد والمجدولة بقوة ، وتستعمل للنزهات لحمل الطعام ، وأكمام المصابيح ، وحمل المدافىء التقليديّة ، كما تحمل صناديق الشحن والتعبئة للخارج في هذه السلال ، ويستخدم خشب الصفصاف الكشميريّ في إنتاج مضارب الكريكيت ، وينتج الزعفران ، حيث ينبت في بامبور الواقعة على طريق باهلاجام ، ويزرع الزعفران في مكان آخر ، وهو كشتوار في إقليم جمون وكشمير ، ويصنع من الزعفران عسل النحل أيضاً[2].

يشتهر الباعة الكشميريّون غالباً ، بالمساومة ، والجدل ، والإلحاح على المشتري، وإن تطّلب منهم ذلك الساعة ، كما أنهم يلجأون إلى الطرق النفسيّة إن أعياهم الإلحاح ، فهم يبسطون ما لديهم أمام المشتري من سجاد ، وشالات وغيرها ، ودون تعب أو ضيق ، والابتسامة لا تفارق محياهم ، أما الأسعار فهي غير محددة ولا بّد من المساومة والجدل .

كانت تلك بعضاً من عوامل الجذب الطبيعيّ السياحيّ في جزء من أجزاء الشمال في الهند ، وسوف نتناول فيما يلي بعضاً من مواطن الجذب في شرق الهند .

---

[1] كشمير ، سرينجار(سري نغر) ، الهند، إبريل ، 2009 .

[2] كشمير ، سرينجار(سري نغر) ، الهند، إبريل ، 2009 .

الفصل الرابع

أهم مواطن الجذب الطبيعيّ السياحيّ في الشرق

1 – ولاية البنغال ، موقعها ، تاريخها

أ – مدينة كلكتا ، تاريخها ، وأبرز معالمها

تحدث بطرس البستانيّ عن البنغال واصفاً إياها : ولاية من الهند الإنكليزيّة موقعها بين 1929م من العرض الشماليّ و 97ْ و 82ْ من الطول الشرقيّ ... وقاعدتها كلكتا ، وبها بحيرات قليلة وأراضي البلاد طوفانيّة وأهم محصولاتها من الحبوب الرز وهو من الصادرات المهمة ، ويزرع هناك الحنطة والشعير والقطن والنيل والأفيون والسّكر والتبغ وبعد حرب أمريكا الأهليّة زادت زراعة القطن كثيراً، وآلات الزراعة وطرقها قديمة وبسيطة جداً وعندهم حصادان أحدهما حصاد الرز وحده ويعرف بالحصاد الكبير والآخر حصاد باقي المزروعات ويعرف بالصغير . ومن أشهر حيواناتها البريّة النمر وهو هناك أكبر من الأسد ويخافه الأهالي كثيراً ، وفي بنغال كثير من الدببة والثعالب و الجواميس والقردة والتماسيح والأفاعي والطيور والخنازير والغنم والماعز ، وأكثر تجارة بنغال مع إنكلترا وأخص صادراتها القطن والرز والنيل وملح البارود والحرير ومحصول الحرير كثير إلا أنه من جنس دون وقد غلبت منسوجات بنغال الحريريّة منسوجات الصين ، وكلكتا أهم مدينة في بنغال ... وأهالي بنغال مؤلفون على الأكثر من هنود وطنيّن ومسلمين متناسلين من المغول [1]القدماء الذين فتحوا البلاد ... ، وفي القسم الأخير من القرن السابع عشر أنشأت شركة الهند الشرقيّة معاملتها التجاريّة الأولى في بنغال وكانت البلاد خاضعة لنائب إمبراطور الهند المغوليّ وكانت مستعمراتهم صغيرة وكانوا يقيمون في بلادهم الضيقة كشركاء تحت يد حكامهم الوطنيين ، ولكن سنة 1746 امتدت الحرب بين إنكلترا

[1] المغول : هم الطبقة الرابعة من ملوك الفارس من نسل جنكيز خان المغوليّ ، أما الطبقة المغوليّة الخامسة فزعيمهم تيمورلنك ، محمد بن خليفة بن حمد ، التحفة النبهانيّة في تاريخ الجزيرة العربيّة ، المنامة ، مطبعة المكتبة الوطنية ، الطبعة الأولى ، 1987 – 1406 ، جزء 1- ، ص. 69

وفرنسا إلى الهند الجنوبيّة ، وفي مدة السنين العشر التابعة ، كان عدد الجيش الإنكليزيّ يزداد دائماً في تلك الجهات ، ولما بلغ مدراس سنة 1756 الخبر بأن نواب ناظم نائب الملك حينئذ ، هجموا على مستعمريّ الشركة في هغلي ، وأن 146 منهم قد ألقوا في خندق في كلكتا فمات منهم مائة وثلاث وعشرون ، أرسل اللورد كليف بقوة كافية للمدافعة عنهم ، فوصل إلى بنغال في شباط من السنة التالية وفي 23 حزيران من السنة المذكورة وكسروا النواب (أي(هزموه) في معركة بلاسيّ المشهورة فتقررّت بذلك السيادة الإنكليزية في الهند ..." [1]

لعلنا نتبين مما تقدم الظروف السياسيّة والتاريخيّة التي أحاطت بالبنغال شأنها شان الولايات الهنديّة قبل الاستقلال ، ولا يزال الأرز محصول رئيسيّ في البنغال ، وبحيث تغطي المساحة ما يزيد عن الستمائة كلم ، أي أثنى عشر ساعة بالقطار ، فضلاً عن أن القول ذاته يطابق أقوال ابن بطوطة ، والمرشدين الهنود ، حول وجود موسمين للحصاد في أنحاء الهند ، ولا زال الأمر كذلك ، مما يؤكد الاهتمام بالزراعة من الحكومة والأفراد .

ولا تزال الآلات بدائيّة وهي قديمه وإن لم تكن جداً ، ذلك بسبب التطور، كما أن الاعتماد على الطاقة البشرية والحيوانيّة لا يزال يعمل به في الهند، ويعود بناء كلكتا عاصمة البنغال إلى ثلاثمائة عام ، زمن نزول لورد كليف على ضفتيّ نهر (هوغلي هغلي) إلى جانب ثلاث قرى ، ومن ذلك انطلقت فكرة إقامة النُصب التذكاريّة البريطانيّة فترة الاحتلال البريطانيّ . استقبلت كلكتا خلال ثلاثمائة عام جاليات أخرى من أنحاء الهند والعالم من صينيين وأرمن ويهود .

تقع في مدينة كلكتا معالم سياحيّة هامة منها ، راج بهوان أي مسكن حاكم البنغال ، ونصب فيكتوريا التذكاريّ الذي يعّد أهم معالم المدينة . وتوجد كنيسة الأرمن وقصر الرخام ، كما تشتهر المدينة بالحدائق النباتيّة التي تم تصميمها في القرن الثامن عشر ، وتحتوي على 35000 نوع من الأزهار والشجيرات ، ومنها أول شتل

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، لا تاريخ ، المجلد5- ، ص.615

الشاي التي جيء بها إلى كلكتا من الصين ، مما يفسر بدء زراعتها في دار جيلنج وأسام.[1]

وتشتهر الحدائق النباتية بوجود شجرة التين البنغاليّ البالغة من العمر مائتي سنة ، يعرض في (فيكتوريا ميموريل) تاريخ من الحكم الماضي والنهضة الإنكليزيّة ، المتأثرة باللمسة المغوليّة ، فرخام النصب الأبيض أحضر من المقالع والأحجار الراجستانيّة ، التي استعملت في بناء تاج محل وقد ساهمت أموال المهراجا والنواب في بناء هذا النصب[2] .

كما يقع في العاصمة كلكتا على حافة الميدان الشرقيّة ، الحيّ الأوروبيّ ، حيث عرف الحيّ فيما مضى بمدينة القصور ، ويعّد الحيّ شارعاً تجارياً تتجمع به مراكز التسوق والفنادق ودور السينما وصناعة الإعلان والأفلام ورسم الممثلين . يكتظ الطريق الرئيسيّ في الحي وهو طريق نهرو ، بالأبقار و الجواميس والركشه ، فضلاً عن الأوتوركشه بثلاث عجلات ، إضافة إلى الدراجات الهوائية والنارية ، وسيارات الأجرة المتنوعة . تعرض لحوم الأغنام والخراف ، والدجاج وتنتشر الروائح الصادرة عن الذبح والطبخ مما يساهم في اختناق المدينة ، التي يزيد عدد سكانها عن عشرة ملايين ، وبحيث لا يمكن كبح جماح البنغاليّن ، فهم ثائرون مندفعون ، يعرف عنهم الميل إلى الخصومة والتنازع، خلاف المعهود عن الهنود من تهذيب وخلق حسن وتضم كلكتا مجموعة نشطة من الفنانين الأدباء والمفكرين ، وكانت تعد عاصمة الفكر والثقافة ومدخل الفلاسفة المبدعين ، إلى أن انتقلت الحكومة إلى دلهي كما تقدم . ولا تزال الصحافة نشطة ، ولا تزال آثار المبدعين تبدو على المدينة ، التي لم يصمم معالمها قبل القرن العشرين ، أي مهندس معماري ، بل مهندس عسكريّ ، نقل تصاميم الأبنية البريطانيّة ، ومنها مقر راج بهوان شمال الميدان ، وكنيسة القديس يوحنا القريبة من السكن هي النسخة الهنديّة ومع ذلك أضاف الهنود إلى بعض من تلك الصروح القديمة طابعهم الهندوسيّ مع بقاء الأثر الإسلاميّ والبريطانيّ

[1] البنغال ، كلكتا ، الهند ، فبراير ،. 2008

[2] البنغال ، كلكتا ، الهند ، فبراير ،. 2008

ب - رحلة قطار من كلكتا إلى دار جيلنج

تستغرق الرحلة بالقطار من كلكتا شرق البنغال إلى دار جيلنج غرب البنغال ما يزيد عن الأثنى عشر ساعة ، 686 كلم حيث محطة (جالباي جوري) الجديدة ، قد تكون الرحلة سيئة لراكب القطار غير الهنديّ ، لاسيما إذا كانت من كلكتا ، حيث الغوغاء والرعونة والدهاء ، وهذا لا يعني وجود الكثير من الطيبين اللطفاء ، ومع ذلك فهذا النوع من الرحلات لها سلبياتها ، كما لها الإيجابيات التي تستنتج فيما بعد .

يمكن خلال الرحلة رؤية شريط ممتد من الطبيعة بحقولها وأراضيها وما داخلها من مزارعين وحيوانات تقوم بالحرث ، وقد قسمت هذه الأراضي إلى مسطحات ذات أشكال مربعة منظمة ، وأحياناً تغطيها المياه ، فلا يمكن رؤية أثر لها ، وترعى الماعز و الجواميس والخنازير ، وكذلك الأبقار ، ويكدس روث البقر أو الزبل الذي لا حصر له على شكل بقع أو لطخات ، و يحول إلى وقود بديل للطاقة ، أو بديلاً عن القرميد لسقف الأكواخ وما حولها وتتناثر الأكواخ على جانبيّ الطريق ، وأمامها الأطفال يلعبون وكأنهم في مكان واحد مع الأبقار و الجواميس التي لا تبعد حظائرها عن البيوت بل هي متصلة بها[1]

يمتد الشريط الطبيعيّ , بامتداد السّكة الحديدية ، وتعد عربات القطار جزء من الحياة اليوميّة ، يصعدها البعض ، وينزل منها الآخر ، لا يقطع التأملات ، إلا المناظر الجميلة، و أصوات باعة الشاي والقهوة ، لاسيما الشاي الماسالا ، هؤلاء الباعة قد يركبون عربات القطار قبل تحركه ، أو عند وقوفه أمام المحطات، وهم ينادون على ما لديهم بنغمة ذات رنين مميز ، هذا إلى جانب باعة الفواكه والخضروات ، حيث يصعدون بسلال البرتقال والذي يسمى ببعض اللهجات (الموسميّ) فضلاً عن الموز والخيار وباعة الوجبات النباتيّة ومنها الوجبة الصباحية ، (الشنا) التي ينادي عليها صاحبها وهو يحضرها بطريقة سريعة ملفتة ، إذ يعد الحمص المسلوق الصغير أو ما يشبهه ، ويضع عليه البصل غير المحمر ، والفلفل الأسود ، والأحمر مع إضافة توابل أخرى ،

[1] البنغال ، كلكتا ، دار جيلينج ، الهند ، فبراير ،. 2008

وتمزج بعضها بطريقة ظريفة، ثم يضعها في أوراق جرائد للمشتري ، وتعد الخلطة في طاسة أو كأس من معدن ، وهكذا يتناول البعض الوجبة أو يشرب الشاي ، ثم ينام ويصحو ويتناول وجبة أخرى أو يغادر القطار منهياً رحلته ، بينما يؤدي البعض من الركاب طقوسه المعتادة في البيت ، فبعد تناول الوجبة ، تغسل الأواني المعدنية أو النحاسيّة في مغسل موجود بالعربة و بالليف ، فالبعض يأتي بوجبته جاهزة معه ، ثم الخطوة التي لا بد منها وهي مضغ أوراق ألبان ، أي تنظيف الفم ، ثم تمشيط الشعر واستخدام دورة المياه . يقطع صمت الجالسين عند إحدى المحطات ، دخول شاب ، يرتدي ملابس ذات ألوان زاهية فاقعة حمراء وزرقاء ، فضلاً عن الإكسسوارات الفضيّة والنحاسيّة في الأصابع وكعب القدمين على غرار أهالي راجستان ، وهو يحمل آلة موسيقيّة تقليديّة ، ويبدأ بالعزف عليها والغناء ، بصوت شجي حزين ، ينسجم وعذوبة الألحان . تمثل هذه الجماعة لاسيما الشباب جزءً من ثقافة البنغال التقليدية ، الشعبية والتي تسمى (البوال) إذ تعود هذه الثقافة إلى مئات القرون وقد توارثها الآباء عن الأجداد ، ولا زالت ألحانها تعزف في القرى والأرياف وأجزاء من المدن كفن أصيل وكمهنة لكسب الرزق أمام المحطات وفي القطارات[1]

ويلاحظ السائح أمام بعض المحطات ما يشبه دورة المياه المكشوفة ، يستخدمها من تقطّعت بهم السبل أو المشردون أو كبار السن الذين قد لا يجدون دورات المياه في بيوتهم وإن وجدت فهي قليلة لذا ، يستخدمون المياه العامة ولا حرج عند الهنود ، وحتى النساء المتقدمات في السن من استخدام تلك الحمامات العامة ، أو شبه الحمامات ، مع ستر الجسم بأكمله تحت ما يشبه المعطف الواسع جداً ، والذي هو من الخيش أو الجلد[2] ،يتوقف القطار حيناً ويتحرك حيناً آخر ، حيث يستقبل المتعلمين والمثقفين والمزارعين والأوباش ، ومقابل يوم من المتعة والتعرف على العادات والطقوس، لا بأس فوضى القطار، ومتاعبه ، وتختفي المناظر الطبيعيّة شيئاً فشيئاً ، ويبدأ منظر الغروب ، وتقترب المحطة الأخيرة(جالباي جوري)، ومن ثم سليجوري، إلى منتجع دار جيلنج وقد يكون ذلك من مطار باجدوجرا، وعبر حدائق الشاي

[1] البنغال ، دار جيلينج ، الهند ، فبراير ،. 2008

[2] البنغال ، دار جيلينج ، الهند ، فبراير ،. 2008

الخضراء ، والقرى الصغيرة ، مروراً بحقول الأرز وأشجار الموز ، فالمنطقة حارة ومنخفضة، وأشجار الشاي تنمو هنا في أراضى منخفضة وكأنها حقول القمح أو الأرز ، تستغرق الرحلة ما يقارب الأربع ساعات ويمتد على جانبي الطريق وادي نهر تيستا الذي تنساب مياهه في هدوء ،فضلاً عن وادي (رانجيت الجبلي)، وتبدأ الطرق الملتوية المتعرجة بعد ساعتين من الطريق ، إذ يكون الارتفاع أكثر مما تقدم . ويختفي اللون الأخضر أحياناً حيث الضباب والسحب والغيوم ، وشلالات المياه تتساقط بقوة ويبلغ طولها عدة أمتار وكأن لا انقطاع لها ، و تتعرج أحياناً ، وتجرى في خط مستقيم حيناً ، وكأنها شارع تراه عن بعد ، وبعد لحظات من تأمل بديع خلق الله ، تبدو بيوت أهالي دار جيلنج ذات الأصول التبتيّة الصينيّة في الظهور ، وهي تطل على السفوح الخضراء والمرتفعات التي تقابلها ، أمام تلك البيوت ، الحقول الممتدة التي تطل عليها الشرفات ، كما يمكن رؤية السيدات في الصباح الباكر ، وهن يغسلن الملابس ، أو يكنسن أمام البيوت أو ينظفن السمك وهو كثير في دار جيلنج ، كما يعمل البعض الآخر في المزارع والحقول .[1]

- أهم منتجعات البنغال ، وسكيم

أ - منتجع دار جيلنج ، أهم معالمها ، ما حولها

تتميز دار جيلنج بأنها أهم منتجع مرتفع والأكثر تنظيماً في الهند الشرقيّة ، ويطل المنتجع على مرتفعات الهيمالايا وأجواء المرح و البرودة والطقس الصحيّ بالإضافة إلى ما تتمتع به من روح المغامرة والكرم . كما تحظى دار جيلنج باهتمام خاص لدى علماء النباتات والطيور والمهتمين بهما .

يبلغ ارتفاع دار جيلنج 2134 متراً وتبعد 686 كلم عن كلكتا ، و تتمتع بالهواء النقيّ الجاف بعيداً عن التلوث ، إضافة إلى سحر الطبيعة وجمالها وهي أهم منتجعات التلال في البنغال ، وقد أقامها البريطانيّون فترة الاحتلال للبنغال واتخاذ كلكتا عاصمة للهند آنذاك و تقابل هذه البلدة أعلى قمم جبال الهيمالايا . يوجد في بلدة دار جيلنج أغلبية بوذيّة أصولها التبت والنيبال ، وتوجد ما بين دار جيلنج وبلدة (كالمبونج)القريبة

[1] البنغال ، دار جيلينج ، الهند ، سبتمبر ،. 2008

عدد من الأديرة البوذيّة التابعة بشكل رئيسي لطائفة القبعات الصفراء ، فضلاً عن الهنود الهندوس والمسلمين ، يتجمع النيباليّون في منطقة تسمى جوركالاند وكأنها بلدة منفصلة عن دار جيلنج ، بينما يعيش المسلمون في أحياء قديمة جداً ، مكتظة ، وسط ظروف طبيعيّة قاسيّة ، فالأمطار ، والسيول تجرف الطرقات والممرات ، و الأهالي يعانون الظروف المعيشيّة الصعبة ، فالبلدة يبدو ما حولها جميل ولطيف عن بعد ، أما في الداخل فالحياة صعبة ، تنتشر في أحياء المسلمين المساجد البسيطة جداً كما توجد جمعية تعاونيّة ، وهي بمثابة فندق سكنّي ، ومقر لمساعدة المسلمين أبناء السبيل خاصة في شهر رمضان الكريم [1]

تعد بوابة المغول ، وسكة الحديد التي أنشأها البريطانيّون ، من المعالم البارزة في البلدة ، لقد بنى البريطانيّون السّكة الحديديّة في القرن التاسع عشر لتسهيل الانتقال من مكان إلى آخر بين المناطق الجبليّة ومزارع الشاي و يطلق على القطار دار جيلنج هيمالايا ، فهو الأكثر شعبية ، والمعروف بالقطار اللعبة، حيث ينطلق من سليجوري بالقرب من (باجد وجرا) ويسير على خط 60 سنتم صعوداً ، و ينحني ويتعرج خلال غابات كثيفة من السرو والأرز الصيني ، وشجر الساج ، حيث الغابات مليئة بطيور الأدغال والجداول الجبليّة ، أما السيل الجارف ، فيمكن رؤيته مباشرة بعد الصخرة الذهبية ، فضلاً عن رؤية منظر (كانتشيونغا) ، قمة من قمم الهيمالايا التي يبلغ ارتفاعها 8586 متراً عن سطح البحر ، وهي ثالث أعلى قمة فى العالم .

لقد فضّل مصمموا السّكة الحديد السير في دار جيلنج حول الجبل ، بدلاً من بناء الأنفاق ، كي يضمنوا رؤية بعض بساتين الشاي و الأودية التي تغمر سهول البنغال ، وتبلغ روعة المنظر مداها عند الوصول على ارتفاع 2,257 متراً عند كوم إذ يكون المنظر حول المنحنى وفوق دار جيلنج مثيراً لا يمكن تصوره[2] .

لا زالت بقايا الحكم البريطانيّ ، تنطق على تلك الفترة ، ومنها نادي دار جيلنج ، وغرفتان من غرف الشاي ، وبعض الفنادق التقليديّة ، التي تعود إلى عصر

[1] البنغال ، دار جيلينج ، الهند ، فبراير ،. 2008

[2] البنغال ، دار جيلينج ، الهند ، فبراير ،. 2008

الملك إدوارد ومنها فندق ويندميرا الشهير بإطلالته على قمم الهيمالايا ، وروعة الطبيعة الرومانسيّة وبنفس التصميم والطابع بدءاً من تنسيق الحدائق والممرات ، إلى أثاث الغرف وسجادها ونظام التدفئة . وتعكس بساتين الشاي التي تعمل بها عناصر هنديّة ، خلفية جميلة خضراء للمدينة تشبه البساط الأخضر ، ويمكن رؤية الشاي وتصنيعه وقطفه من قبل العاملات ، وأهم شركاته هابي فالي و ميكباري .

يعتبر البعض زارعي الشاي في دار جيلنج مغرورين ، والسبب قد يعود كما يقال إلى أن الشاي في دار جيلنج معطر وهو الأفضل في الهند ، لأنه الأنقى مما يجعله غالياً ، فقد يبلغ الكيلو من الشاي 6000 آلاف روبية ، وقد يفوق ذلك ، بينما يتعدى الثلاثة آلاف في ولاية أخرى ، وتعود أصول شاي دار جيلنج إلى الصين ، إذ يقطف من رؤوس الأغصان ورقتين وبرعم فقط ، ثم يرسل إلى المصنع ويمر بعملية التذبيل واللف ثم التخمير و التجفيف ثم يصنف، كما أن المزارعين لا يستخدمون طريقة اللف والتخزين والسحن وإن فضلواً عدم الإفصاح عن معالجة الشاي . تعكس أسماء الشاي في دار جيلنج الشاعرية والشهير منها وربما الأغلى ضوء القمر ، ومعظم الشاي في دار جيلنج أوراق غير منعمة منها الشاي الأخضر ، والأبيض ويستخدم لأمراض القلب و الكولسترول وغيرها ، ويميل الشاي الدار جيلنيّ إلى اللون الفاتح الذي يضاف إليه الحليب ، إذ أنهم لا يضيفون إليه مواد التلوين أو النكهات الأخرى .[1]

يوجد في دار جيلنج معبد شهير يسمى المعبد الياباني ، وإن كان بوذيّاً ، أما تل التيجر ، فهو من أشهر الأماكن والمعالم البارزة في البلدة ، ويطل هذا التل المرتفع على أجمل الغابات ، وأضخمها ، فضلاً عن الوديان والطرق الجميلة المتعرجة ، إضافة إلى الهواء الصحيّ جداً والذي يشعر بالحيوية والصحة لجفافه ونقائه مع شدة البرودة ، لقد سمي التل باسم النمور ، بسبب كثرة النمور والحيوانات المفترسة في الأدغال التي يشرف عليها فيما مضى ، ولا يزال البعض يتحدث عن خروج النمور ليلاً ، بينما تنفي لافتات الجهات السياحيّة وجود النمور حالياً .

[1] البنغال ، كلكتا، دار جيلنج ، الهند ، فبراير ،. 2008

يقع تل المرصد في جزء من تل النمر ، وقد أقام البريطانيّون ذلك المرصد في أجمل بقاع العالم وأكثرها صحة ورومانسيّة وحيث تشرق الشمس من ولاية آروناشال براديش وهي أكبر وآخر ولاية هنديّة في الشرق ، وتعني آروناشال براديش أرض شروق الشمس , وقد خصّصت في المرصد غرفة للاستمتاع بمنظر شروق الشمس فجراً ما بين الساعة الرابعة والخامسة ، والذي يقابله منظر الغروب .

يقع بالبلدة متحف الأحياء الطبيعيّة ، وهو مبنى صغير قديم ، تعرض به أنواع من النباتات والزهور ، والطيور والفراشات والحشرات ، والأحياء المائيّة والبريّة التي تشتهر بها الولاية . ويعد متنزه المحميّة البريّة ، ومعرض الهيمالايا ، من أجمل الأماكن السياحيّة بإطلالته الرائعة على أجمل مناظر المدينة من جبال وتلال ومنحدرات وقرى ووديان ، فضلاً عما يحتويه من حيوانات البنغال الشهيرة من فهود ونمور وأسود وثعالب ، وأنواع من الغزلان والدببة والماعز والطيور .

كما يوجد بالقسم الداخليّ متحف فخم حديث يعرض صوراً ومعلومات لأشهر المتسلقين الغربييّن والهنود ، وأنواعاً من ملابسهم وأدواتهم التي كانوا يستخدمونها ، لاسيما معدات أول متسلق هندي شيريا ويعرف في الهند بـ شيري كينسنيت ، كما أن منزله من المعالم السياحيّة الهامة ، التي يتوقف عندها السائق أو المرشد في البلدة ، كما يعرض في هذا المعهد مجسم كبير للهيمالايا وسفوحها ومنها كشمير ، دار جيلنج ، سكيم ، هيماشال برديش .

يقوم قطار جيلنج المحليّ برحلات قصيرة يومية ، تستغرق الساعتين و ينطلق من المحطة الرئيسيّة ، متوقفاً عند بعض المحطات السياحيّة كما يتوقف عند متحف السكة الحديد حيث القطار البخاريّ ، الذي أنشئ 1881 ، وغيره من أنواع القطارات وتاريخها و تطورها ، يمر القطار وسط الأحياء والأسواق بين الطرق الضيقة ، فترى الناس وكأنهم في القطار أمام الدكاكين الصغيرة ، والبيوت ، يتناولون وجبة الإفطار أو يشربون الشاي ، بينما تسرح إحداهن شعر ابنتها ، أما الثياب المغسولة ، فهي تنشر في كل ناحية ، وتحجب عنا مشاهدة المناظر التي خلفها ، ذلك بسبب وجود السحب واحتجاب الشمس كثيراً مما يضطر الأهالي إلى نشرها خارج البيوت .

تزخر المتاجر الصغيرة التي تشبه المخابز ، بأنواع من الكعك التقليديّ ، المخبوز ، تعرض دكاكين الجزارة أنواعاً من اللحوم بينما لا وجود لمطاعم تبيع وجبات غير نباتيّة ، وإن وجدت فهي قليلة جداً . ولعل البعض يسأل أين تذهب تلك اللحوم المعلقة ، إنها تشترى وتحضر في المنازل ، فالحياة في هذه البلدات تقليديّة بسيطة [1].

ويمر القطار على الملعب الرياضيّ القديم الذي يعد جزءاً من حضارة وثقافة النيبال الذين يتواجدون بكثرة في هذا الحيّ ، وهو ملعب قديم إلا أنه منظم ، ولا يزال أبناء النيبال يعتزون به ، ويمارسون كرة القدم وأنواعاً من الرياضات الأخرى على أرضه ، فهو يمثل حضارة (جوركا) في دار جيلنج .

ب – ولاية سكيم تاريخها ، منتجع جانجتوك

يرتفع الطريق إلى جانجتوك عاصمة ولاية سكيم 1768 متراً عن سطح البحر، ويقع على الطريق وادي (رانجيت)، وهو من أجمل الوديان ، و يقع بين دار جيلنج و كالمبونج عبر نهر تيستا، ومزارع الشاي ، وحيث المرور على الحدود من إحدى الجهات بين النيبال ودار جيلنج ، كما يمكن رؤية السكان النيباليّن بسيارتهم وأزيائهم الملونة ، الغريبة ، أحياناً توجد على الطريق سوق تعرض فيها البضائع النيباليّة ، و يسمح للمسافرين بالنزول للتبضع ، ذلك حسب الظروف الأمنية ، وتحيط بجانبي الطريق أشجار البرتقال والمطاط والصنوبر و الهيل ، كما توجد بعض المتنزهات الجميلة ذات المماشي المنظمة لرياضة المشي وتأمل الطبيعة و البحيرات ، وتتحول الطرق لاسيما إنها ضيقة إلى بحيرات تجتازها الشاحنات الضخمة ، كما تجتاز السفن البحر ، حيث تجرف السيول والشلالات الهادرة الطرقات والأحجار ، كما تحيط حقول الأرز والغابات بالتلال والأودية العميقة مما يؤدي إلى ما يشبه الحدود بين الهند والصين بهذه المواقع[2]

[1] البنغال ، دار جيلينج ، الهند ، فبراير ،. 2008

[2] سكيم ، جانجتوك ، الهند ، سبتمر ،. 2010

كانت سكيم مملكة وطنيّة في الهند الإنكليزيّة على إحدور جبال هيمالايا الجنوبيّ ، يحدها شمالاً تبت وشرقاً بوتان وجنوباً بنغال وغرباً نيبول ، أكثر سكانها من الجبليّن ، وهي عبارة عن سلاسل عديدة من جبال هيمالايا التي يبلغ ارتفاعها في جنوبها من 6,000 -10,000 قدم ويزيد ارتفاعها في الشمال والشمال الغربيّ حيث يبلغ ارتفاع قمة (كانتشيونغا) أكثر من 28,000 قدم فوق سطح البحر . و كانت هذه القمة تعتبر أعلى قمة جبليّة في العالم ، وبين الجبال وديان تنبسط أحياناً سهولاً صغيرة ، وتجري مياهها في نهر تيستا الذي يخرج من تبت ويمر في بلاد سكيم ثم يصّب في نهر الغانج وتكسو جبالها النباتات إلى ارتفاع 12,000 ، قدم وتربة أكثر الأراضي التي في حضيضها جيدة مخصبة ، وتكثر فيها الأخشاب الجيدة وفيها شجر السنديان والجوز والكستنا والكرز في الأراضي التي ارتفاعها من 6,000 إلى 8,000 قدم فوق سطح البحر وهيئة أهاليها الأصليّن منغوليّة وهم يتكلمون لغة تبتيّة افتتحها (الغركة) (الجوركا) ، سنة 1789 وفرضوا عليها الجزية ، إلا أن سلطانها في غضون الحرب النيبولية سنة 1814 ، انضم إلى الإنكليّز لقاء راتب سنويّ مقداره 300 لير إنكليزيّة زادوه فيما بعد حتى صار 600 ليرة إنكليزيّة ، إلا أنه نشط سنة 1849 ، وبغضّ رعاياه على إهانة رعايا إنكلترا فحمل ذلك الحكومة الإنكليزيّة على توقيف دفع معاشه مؤقتاً وعلى أخذ أراضي جديدة من بلاده .

وفتح هذا السلطان 1861 مملكته لتجارة الإنكليز فتحاً مطلقاً ، وسنة 1872 زادت الحكومة الإنكليزيّة راتبه فصار 1200 ليرة إنكليزيّة سنوياً ، وقاعدة مملكته (توملونج) تم دمج سكيم حديثاً مع الاتحاد الهنديّ عام 1975 تلافياً للمشاكل مع الصين ، مع رغبة سكانها في ذلك ، ومعظم السكان أصولهم من النيبال ، والليباش والسكان الأصليين يعرفون (بالرونجان) وهم سكان الأودية الصغيرة ، والبهانيس من التبت[1] وعاصمة الولاية ، مدينة جانجتوك .

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، لا تاريخ ، المجلد -9 ، ص 668.

تعد أديرة التبت البوذيّة جزءاً من تراث الولاية وثقافتها ، ومراكز جذب سياحيّ مهمـة ، فهـي تطل على قمم الهيمالايا والوديان ، وتلك الأديرة مليئة بالألوان الملفتة وأشهرها (رامتوك) الـذي بُنـي 1968 بعد أن أخرجت الصين الرهبان التيباتّيين من مـذهب (كارمبا) إلى المنفـى ، و كـان هنـاك مقـر إقامة(الدلاي لاما) السابق إذ عـاش فـترة في رامتـوك وهـي الآن مدينـة مـصغرة بهـا معبـد ومعهـد للتدريس ، وسكن ، ومحلات تجاريّة صغيرة ، ومقر السكن السابق أشبه بالقـصر، وهـو تحـت حراسـة مشددة .

تطل مدينة جانجتوك على جبال الهيمالايا ، و تبدو القمم الثلجية عن بعد ، فضلاً عـن الطـرق الجميلة المظللة بأنواع من أشجار الأرز والصنوبر والسنديان ومزارع الشاي ، إلى جانب المتنزهات ذات الزهور الشتوية الغريبة ، وطيور المنطقة وفراشـاتها ، أمـا مـساقط الـشلالات ، فهـي متنوعـة ، ومنهـا الشلالات السّبعة ، والمعابد الشهيرة ، وتظل جانجتوك جميلة بمناظرهـا ، وطقـسها البـارد ، فـضلاً عـن أنماط الحياة اليوميّة الممتزجة ما بين الحضارة الهنديّة ، والصينيّة ، والنيباليّة ، والإسلاميّة [1] .

خاتمة الباب الثاني

نتبين مما تقدم أن مواطن الجذب الطبيعيّـة الـسياحيّة في الهنـد ، تـشّكل جـزءاً مـن الـتراث الهنديّ وثقافته ، فأصولها ممتدة ومرتبطة بالتراث الهندوسيّ القديم ، كما تـرتبط بالتـاريخ الإسـلاميّ العـربيّ والعـثمانيّ ، فـضلاً عـن الـتراث المغـوليّ والبريطـانيّ ، ونتبـين اهـتمام الدولـة بمنـاطق الجـذب السياحيّة بإنشاء الطرق الرئيسيّة السريعة وشبكة مواصلات جوية ، فضلاً عن السّكك الحديديّة ، مـع اتهامها بالتقصير يزور الهند مليون سائح سنوياً ويشكل ذلك نـسبة ضـئيلة ، وربمـا يعـود الـسبب إلى المخـاوف مـن الأوضـاع الأمنيـة في الهنـد ، التـي تعـود إلى مـشكلة كـشمير ، أو الاعتقـاد أن الهنـد بلـد مـزدحم تعمـه الفـوضى ، إلى جانـب منـاظر الفقـر والبـؤس ، والأحيـاء القديمـة المكتظـة

---

[1] سكيم ، جانجتوك ، الهند ، سبتمبر .، 2010

حيناً آخر ، فضلاً عن بعد الأرياف والقرى الجميلة ، والتخوف من مشاكل الإجرام والسرقة .

تعتمد السياحة في الهند على الداخل ، ويكمن الجمال في مواطن الجـذب الطبيعـيّ ، الطبيعـة التي لم تطالها يد العمران والتدمير ، فالغابات والأدغال والمتنزهات تتميز بأنها بكر وإن لحقها التغيـيّر فهو لا يكاد يرى ، وقد بنُي التغيير على القديم فهو امتداد للتراث ، كما يرتبط بمـواطن الجـذب أنمـاط الحياة البسيطة بتقاليدها وطقوسهَا ، وبحيث يـرى الـسائح شريطـاً جمـيلاً يـصور الحيـاة الاجتماعيّـة والاقتصاديّة في الطرق والقرى والأسواق وما بين الحقول والغابات وأمام محطات السّكك الحديديّة .

كما نجد أن الوصف لجمال منـاطق الجـذب الطبيعيّـة الـسياحيّة ، لا يتنـاقض مـع مـا ورد في المصادر السياحيّة والمراجع الأدبيّة والتاريخيّة ، فما ورد فى بعض المراجع لا زال يمثل جـزءاً مـن عـادات الناس وتقاليدهم ، وأنماط الحياة الحديثة والتي هي جزء من السياحة لا تزال تـرتبط بـالتراث القـديم سواء أكان ذلك في ثقافة الإنتاج اليدويّ أو المطبخ وغيرها من عادات وطقوس دينيّة .

لعلنا نتبين أن مواطن جذب الطبيعة ذات أهمية للسياحة وبالتالي السائح، لذا يجب الاهـتمام بها ودعمها في أي بلد، ذلك بالمحافظة على الأخضر وجميع مظهر الطبيعة، لا سيما النخيل .

لذا يجب علينا الاستفاده من النظام القديم، كما حدث في الهند التي استفادت من مجـاري الصرف الصحي ومياه الأمطار فضلاً عـن التطـور للطـرق والإنفـاق ، وتوظيـف ذلـك لخدمـة الـسياحة وتطور الاقتصاد ونموه.

الباب الثالث

طبقات المجتمع الهندي والمعاقل الدينية

التمهيد

يتناول هذا الباب النظم الاجتماعيّة بما فيها من تقسيم طبقيّ وعرقيّ وطقوس وتقاليد تؤدّى في المراسم والاحتفالات الدينّية ، مع مقارنة بين القديم والحديث ،ذلك في الهند منذ ما يزيد على عدة قرون ، وقد تميّزت تلك النظم بالتنوع في ظل وجود طوائف دينيّة ، مسلمة وغير مسلمة ، وما لذلك من أثر في الحياة الثقافيّة والاجتماعيّة ، لاسيما مراسم الزواج ،وحركة الأسواق ، والأعياد ، يبدو ذلك من خلال نماذج التراث الإسلاميّ ، فضلاً عن التراث الهندوسيّ ، وأبرز الأمثلة يمكن ملاحظتها في بعض المدن العريقة ، ومنها حيدر أباد ودلهي القديمة ،(وبهوبال بوبال) ،كما تشير نماذج أخرى إلى التراث الهندوسيّ في أهم المدن والبلدات ومنها مادورايا ، وتنجور وتريشيي وكاجور اهو وجواليور.

ويجدر بنا الإشارة إلى أن هناك نماذج زاخَره من التراث الإسلاميّ، والهندوسيّ ،حيث أن الهندوسيّة نسبتها 83٪ من بين الديانات في الهند ، ولقد ارتأينا اختصار ذلك كي لا يتشعب البحث ونخرج إلى متاهات لا تتطلبها الدراسة التي نحن بصددها .

ولتحقيق هذا البحث ، طرحنا الأسئلة التالية : ماهي أبرز ملامح النظّم الاجتماعيّة في الهند ؟ وهل شكل ذلك عبئاً على الحكومات والدولة ؟ وكيف بدت ملامح الحياة الاجتماعيّة والثقافيّة بين القديم والحديث ؟ وما أثر ذلك في السياحة؟

يتألف هذا الباب من أربعة فصول رئيسيّة وهي ، طبقات المجتمع ، أعراقه، الطوائف الدينيّة ، معاقل التراث الإسلاميّ والطقوس ، وأبرز معاقل التراث الهندوسيّ، والطقوس.

الفصل الأول

طبقات المجتمع الهنديّ ، أعراقه.

1- الطبقات الطائفيّة

أ - طبقات المجتمع الهندي في عهد بني تغلق

كان المجتمع الهنديّ في عهد بني تغلق[1] يتألف من طبقتين عظيمتين ، الطبقة العليا التي تتألف من السلاطين ومن حولهم من الأمراء ، والحجّاب، والوزراء، وكبار رجال الدولة أصحاب الألقاب الرفيعة من الخانات والملوك، وأبناء هذه الطبقة، هم سلالة الملوك والحكام القدامى.

أما الطبقة الثانية فهي الطبقة الدنيا ، طبقة السواد الأعظم من الهنود ، ويمثلها الطائفة المنبوذة ، التي ليس لها مهنة خاصة ، ولاعمل معين إلاخدمة الطبقة العليا، وكان أبناؤها يعانون الفقر والجوع والفاقة وهم أصحاب البلاء والمحن ، وبخاصة أوقات المجاعات والكوارث التي كانت تتعرض لها البلاد ، وما يصاحبها من الغلاء والفتن العامة . وكان حكام بني تغلق يبذلون جهوداً مضنية من أجل التخفيف من غلواء المجاعات وآثارها [2]

ب- طبقات الطائفة الهندوسيّة:

ينقسم الهندوس إلى مجموعات تسمى الطوائف ، أو طبقات متحجرة،يولد الهندوس مع طائفتهم مثلما يولدون في دينهم . تتألف الطوائف من أربع طبقات رئيسيّة ، وحسب الهرم الطائفيّ تتسلسل الطبقة من الأعلى إلى الأسفل . تتربع على قمة الهرم طائفة البراهمة أو الرهبان ، ثم الكشاترياس أو المحاربون، فالفايسياس ،

---

[1] تغلق لقب السلاطين الأتراك الذين حكموا الهند في القرن الثاني عشر ـ الخامس عشر الميلادي ، بقيادة محمد الغّر.

[2] حوليات كلية الآداب ، النظَم السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بني تغلق ، الكويت ، مطبعة النشر العلميّ جامعة الكويت، لا طبعة1998،414، الرسالة28، ص53.

الذين هم تجار أو مزارعون ، ثم طبقة الشودراس الذين يقومون بالأعمال الحرفيّة أو التي لا تحتاج إلى مهارة وتتقارب هذه الطائفة مع الطبقة الثانية في عهد بني تغلق . تتفرع من هذه الطبقات الرئيسّية ، طبقات ثانوية أو مناطقيّة متفاوتة قد تـشير الطبقـة إلى التجـارة أو الديانـه، كـالبراهميّ الـذي هـو راهب ، إلا أن الشامار المتفرع عن البراهميّ يكـون إسـكافياً ، كـما أن هنـاك أعـضاء طبقـة(الـدهوبّي الدوبي)الذين يغسلون الثياب .

تدل الطبقة أحياناً على جهة المنشأ ، فالبراهمة من جنوب الهند قـد ينتمـون إلي الآيانغـار ، أو الآيار، أو طبقة نا مبديري ، بينما يمثل الجاتس أو الغاتس طبقة المزارعين ، فضلاً عن سـمعتهم الطيبـة كجنود، وهم يتواجدون في شمال وشمال شرق الهند ويمثل الماراثاس المهراته طبقـة مـلاك الأراضي مـن غرب الهند، أما النايارس هم طبقة محاربين من كيرلا الجنوبيّة[1]

تعد الراجبوت ،طبقـة إماراتيـه ، أصـولها راجـستان الغربيّـة التـي تـشتهر باهتمامهـا ودعمهـا للفنون وقد أضيفت لأسمائها كلمة سينغ والتي تعني كما تقدم الأسـد أو الـسبع، وقـد تبناهـا الـسّيخ أيضاً كرمز إلى الشجاعة والمواجهة أثناء الحروب،مما يوضـح بـأن مـن يـدعي سـينغ قـد لا يكـون مـن السّيخ.

تقع طبقة الشودراس في أسـفل الهـرم الاجتماعـيّ ، وهـي طبقـة العـمال وصـائدي الأسـماك ، وهؤلاء غالبا لا أرض لهم ، وقد وضع المنتمون لهذه الطبقـة حـديثاً تحـت مـسمىّ جماعـة خاصـة في الدستور بسبب فقرهم ، فضلاً عن بعض المجموعـات القبلّيـة الهنديّـة ، أو أشـخاص مـن مجموعـات عرقيّة أقليّة، وعددهم أكثر من 100 مليون ، إلى جانب خمسين مليون آتون من قبائل لـيست مـضافة في لائحة الدستور الهنديّ ، وقد دعاهم زعيم حركة الاستقلال المهاتما غاندي (ويجانز) أي أطفال اللــه ، واصـطلاحاً تعنـي الكلمـة المنبـوذين أو المـشردين . وتعمـل الحكومـة عـلى إزالـة الطبقيـة، إلا أن

---

[1] عبد المنعم نمـر، تـاريخ الإسـلام في الهنـد ، بـيروت ، المؤسـسّة الجامعّيـة للدراسـات والنـشّر ، والتوزيـع ، لا طبعـة ، 1981/1401جزء - 1،ص50.

العادات القديمة تموت ببطء ، والكثير من هندوس الطبقة الرفيعة لازالوا لا يشاركون المشردين أو الفقراء المائدة ، أو يتناولون طعاماً أعدّه شخص من طبقة دنيا . ولا يزال هذا النظام منغرسا بعمق في المجتمع الهنديّ[1] ، شأنه شأن التمييز الطبقيّ في مختلف الدول .

يأتي العمال من هذه الطبقة من ولايات بعيدة ، ويقيمون لهم مخيمات مهترئة بالية وسط أقسى الظروف الاقتصاديّة والطبقيّة من فقر وحاجة الي الطعام والملابس، فضلاً عن برودة الجو وحرارته وتدفق السيول وجرفها لمخيماتهم . ويبدو من خلال التعامل معهم أنهم لا يحقدون على الأغنياء، أو يحنقون على أحد ، فهم لا يتميّزون بالخبث . وتحاول الحكومة المركزيّة مساعدتهم ، كما أن هناك مجموعة من رجال الأعمال والأثرياء من المسلمين والهندوس يقدمون لهم المساعدات . ولقد ازدادت أعداد المجموعات العمالية لاسيما المزارعين ، والتي تعيش في قرى مختلفة وتقوم كل طبقة بالحفاظ على نقائها وعرقها بتجنب الزيجات من خارج الطبقة نفسها . ولا عجب من أن تقف الطبقيّة أو المحافظة على العرق ، دون الزواج من طبقة أدنى وإن كانت الهندوسّية هي المذهب ، فهم كما يقولون يحترمون الأديان ، إلا أن التسلسل الطبقي يحول دون الاختلاط .

وقد وعى أفراد الطبقة الفقيرة ، أهمية تحديد النسل كي يرتقوا في المجتمع وينالوا حظوظاً أوفر من العلم والصحة ، والوظيفة الجيدة ، ويعود ذلك إلى الإرشاد والتوجيه من الحكومات المركزيّة. وإلى التعليم والوعيّ بمخاطر كثرة النسل .

2ـ الأعراق الهنديّة:

ا ـ العرق الهنديّ والأختلاط بالأجناس.

تضم الهند طوائف وأجناس شتى ، ومع كون الهند محميّة بحواجز طبيعيّة ، إلا أنها شهدت الكثير من الشعوب المتباينة، لاسيما جهة الغرب ، حيث الممرات المائية التي

[1] راتب الزياتّ ، عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعيّة ، لا طبعة 1996، جزء -1 ، ص 40.

مهدت السبيل للجيران ، وعبر التاريخ استمرت الهجرة تجاه الشمال حيث استقر المهاجرون في السند ، أما المهاجرون عن طريق البحر من الساحل الغربيّ فقد استقر وا في البنجاب وما حولها ، فضلاً عن استقرار المقاتلين المسلمين في أعالي الهند وهضبة الدكن.

لقد شجّعت مساحة الهند الكبيرة ، وتنوع المناخ ووفرة الخيرات ، على الهجرة، مما أدى إلى اختلاف السّكان في اللغة والدين واللون والأجناس والطبائع والعادات ، ومع ذلك فإن هذا التنوع صار يؤلف شعباً واحداً ينتمي إلى أرض ووطن واحد ، حيث لا مجال للضغينة والأحقاد ضد الأجناس والأديان . وإن كان ذلك لا يعني وجود مشاكل وحوادث دخيلة بين الفترة والأخرى ، وتعد تلك الأحداث ذات أبعاد سياسيّة نادرة في بلد يصل تعداده إلى المليار[1].

تتألف العناصر العرقّيه ، التي أدت دوراً بارزاً في إحداث دولة بني تغلق ثم امتزجت مع الأجناس الأخرى، من العرب والأفغان والترك والمغول.

نشأت بين العرب والهنود صلات قوية قبل الإسلام خلال الرحلات التجاريّة للعرب بين آسيا وأوروبا كما أشرنا سابقاً، وقد استقرت الجاليات العربّية في الهند ، وتمتعت بمكانة خاصة عند الهنود ، فقد تعرفوا العادات والتقاليد العربيّة الساميّة، ولما ظهر الإسلام في الجزيرة العربيّة ازدادت مكانة العرب في قلوب الهنود المتعاملين معهم بعد أن عرفوا الكثير عن قيادة الإسلام الساميّة ، والعرب المسلمين. لذا فقد تمتع العنصر العربيّ منذ آلاف السنين بمنزلة كريمة ومكانة مرموقة لا سيما في عهد بني تغلق ، فالعرب المسلمون هم حملة لواء الإسلام ، وكان يطلق على العرب لقب الأعزة، فأقام كثير منهم في البلاد وتولوا الوظائف الكبيرة والمناصب الهامة ، وكانت لهم حرية العمل والتجارة ، وابن بطوطة مثال على ذلك ، وغيرهم من التجّار العرب الذين التقاهم ومنهم أبو الحسن العبادي العراقيّ والشيخ البغداديّ الذي ينسب إلى العباس

[1] كيرلا،كوتشين، الهند فبراير،2006

رضي اللـه عنه ويدعى السامريّ[1]. وتعود صلة عرب الشام بالهند ، إلى زيارة أمير الشام سيف الـدين بن هبة للهند ، حيث أكرمه السلطان وأنزله في قصر من قصور السلاطين ، وقد قدم أحـد تلاميـذ تقـيّ الدين بن تيمية على السلطان فأكرمه وأحسن إليه ، وهو الشيخ عبد العزيز الأودبيلي، الذي سرد عـلى السلطان أحاديث في فضل العباس، فأعجب السلطان ذلك ، واستفاد الملك ورجال حاشيته مـن علمـه ، وأفاد العلماء والطلاب الذين اتصلوا به، وقد أخذ هذا الشيخ بيد السلطان وشـد عـضده في رفـع شـأن السنّة وإزهاق البدع[2].

لا يـزال الهنـود مـن مـسلمين وهنـدوس وغـيرهم يحترمـون العـرب المـسلمين ويثقـون بهـم ويحترمونهم كما نجد أن من بين الأعراق التي سكنت مدن الهند في القرن الرابع عـشر، مجموعـة مـن الأفغان ، حيث اتخذوا الجبال المنيعة سكناً ، وذلك لحماية أنفسهم مـن بطـش الحكـام ، حيـث كـانوا يتعرضّون للاضطهاد ، حينما تسوء العلاقة بين الأفغان والسلاطين من بني تغلق.

لعب الأتراك دوراً كبـيراً في الحيـاة الـسياسيّة والاجتماعيّـة في تلـك العـصور، فقـد كـان أغلـب الخانات من الترك ، الذين شكّلوا المصدر الأساسيّ للقلق ، عندما تتنازع الكثير من العناصر والجنـسيات الأخرى لعدم تجانسها ، وغالباً ما أدى ذلك انتـشار الفـساد وعمـت الفـوضي ، مـما انعكـس أثـراً عـلى الحياة الاجتماعيّة لطبقات المجتمع ، وبخاصة الطبقـة الـشعبيّة الكادحـة التـي تـدفع الـثمن غاليـاً في مختلف الظروف والعصور.

[1] حوليات كلية الآداب، النّظم السياسيّة والاجتماعيّـة في عهـد بنـي تغلـق ، الكويـت ، مطبعـة النّـشر العلمـيّ جامعـة الكويت ، لا طبعة1418/1998، الرسالة 28، ص57.

[2] حوليات كلية الآداب ، الكويت ، النظم السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بنـي تغلـق ، الكويـت ،مطبعـة النّـشر العلمـيّ جامعة الكويت ،لا طبعة، 1418/1998، الرسالة 28، ص58.

وكان أهل فارس يباشرون نشاطاً كبيراً في البحر والتجارة ، وكان نشاطهم في مدينة منجرور (منقرور) التي تقع على أكبر خور في بلاد المليبار ومن هذه الأنحاء كانت السفن تحمل الناس والبضائع إلي عمان وفارس واليمن[1].

ب- الرقيق الأبيض

كثرت أعداد الرقيق الأبيض في الهند ، منذ العصور الوسطى ، فقد كانت قصور السلاطين والعظماء والأغنياء تأوي الكثير من الرقيق ، وعلى سبيل المثال الجواري اللاتي من أجناس متنوعة تختلف في الطباع والعادات واللغات وقد تجلّت في ذلك العصر ظاهرة تعليم الجواري الغناء الذي انتشر انتشاراً عظيماً ، حتى أصبح من الحاجات الضروريّة . وكانت العناية بتعليم الجواري قد ازدادت لتحقيق المكاسب التجاريّة ، ذلك لأن الجارية المتعلمة المتقنة للرقص والغناء ، كانت تقوم بأضعاف ما تقوم به غير المتعلمة ، ومما زاد من قيمتهن أن السلطان كان يهبهن للأفراد والأعزاء في المناسبات المختلفة[2].

هكذا نجد أصول التنوع الطائفيّ والعرقيّ في الهند ، بحيث فرضت الأنظمة الحاكمة والدينّية تقسيماً طبقياً بين الشعب ، مما قسمه إلى فئات أصبح متعارفاً عليها ، فالطبقات الدنيا التي تسّمى بالمجدولة لا تزال موجودة وتعاني الفقر والتشرد ، ومما خفف معاناتها ، بعض القوانين الدستوريّة التي أوجبت العناية بها . لا شك في أن التنوع العرقيّ الذي واجهته الهند من قرون، والذي جاء بسبب الغزو ، والفتح أو التجارة ، قد ساهم في إيجاد التعدديّة والتنوع الثقافيّ والحضاريّ والاجتماعيّ ، وساعد على بناء حضارة قوية قائمة على أساس التوازن والتفاهم بين الأديان والأعراق ، إلا أن الطبقيّة لا تزال موجودة ويصعب دفنها ، حتى وإن كانت

[1] حوليات كلية الآداب ، الكويت ، النظم السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بني تغلق ، الكويت ،مطبعة النّشر العلميّ جامعة الكويت،لا طبعة 1998/1418،الرسالة-28ص 58.

[2] حوليات كلية الآداب ، الكويت ، النظم السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بني تغلق ، الكويت ،مطبعة النّشر العلميّ جامعة الكويت،لا طبعة 1998/1418،الرسالة-28ص 59.

المجتمعات متقدمة مدنياً ومثال ذلك التقسيم الشكليّ لبلدة أو اتحاد بوندي شيري إلى مدينتين [1]

قد لا تجد لظاهرة الرقيق أثراَ ، إلا أن حجم القارة الهنديّة . وكذلك المدن والقرى النائية ، التي قد لا تصلها أحياناَ وسائل الكهرباء والنقل يشجّع على وجود عـصابات تـستغل الأطفـال مـن الجنـسين للقيـام بـأعمال تـدّر الأربـاح عـلى أصـحاب بعـض المؤسـسّات الـصغيرة أو الأهـالي ، وتتّتبـع الدولـة والحكومات المركزيّة هذه القضايا وغيرها من قضايا تستغل فيها الفتيات ، ويلاحق أصحابها ويجرمونّ.

[1] التاميلنادو ، شيناي ، (مدراس) ، الهند ، ديسمبر ، 2006 .

الفصل الثاني

الطوائف الدينيّة

الطائفة المسلمة

تضم الهند منذ آلاف السنين طوائف دينيّة من المسلمين ، وهذه الطوائف تنتشر في أجزاء متفرقة من الهند ، حيث يشكّل المسلمون نسبة 12٪ من مجموع السّكان في الهند ، وهي النسبة الثانية ذات الأغلبية بعد الهندوسيّة ، وتعرف هذه الطوائف بأهل السنة ، الباطنة ، والصوفيّة.

أ-أهل السّنة:

"...تمتّع مسلمو الهند من أهل السّنة فيما مضى بالحظوة والاحترام والتعظيم، لاسيما أيام ملوك بني تغلق ، وكان اسم الخلافة العباسيّة يلقى تعظيماً عند ملوك الهند، كما أن العاطفة الدينيّة كانت قوية راسخة عندهم ، ويظهر ذلك في تقدم القضاة والمؤذنين المواكب السلطانيّة ، وإذا جلس السلطان على سريره وتقدم وجوه الدولة لتهنئتة كان أول من يتقدّم منهم القضاة والخطباء والمشايخ[1] وقد بلغ من اهتمام السلطان محمد شاه تغلق بعلماء المسلمين ، أنه أمر بصنع منبر من الصندل الأبيض جعلت مساميره وصفائحه من الذهب، وألصقت بأعلاه حجر ياقوت عظيم، ليقف عليه الواعظ ناصر الدين الترمذيّ ، وأغدق عليه بحوامل الكتب الذهبيّة ، وكان بعد كل خطبة يعانق الواعظ ويركبه فيلاً ويأمر الحضور بالسير بين يديه، وكان الأمير الفقيه علاء الملك يملك جملة من السفن وكثيراً من العبيد وله حرس خاص وأبواق وطبول تضرب في طريق سيره ..."[2].

[1] حوليات كلية الآداب ، الكويت ، النظم السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بني تغلق ، الكويت ،مطبعة النّشر العلميّ جامعة الكويت،لا طبعة 1998/1418،الرسالة-28ص 59.

[2] درويش الجويديّ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 1430/ 2009 ، جزء - 2،ص60.

كانت الصلات بين المسلمين وغير المسلمين من سكان الهند وبخاصة البراهمة من الهندوس غير وطيدة في بدء الفتح الإسلاميّ ، حيث عاش كلاهما بمعزل عن الآخر ، للاختلاف في العقائد ، والثقافة ، فقد كان الهندوس البراهمة يحترمون البقر ويحرّمون ذبحها وكان الجزاء الرادع الذي يلقاه من يذبحها أن يخاط في جلدها ويحرق[1].

لقد مرت العلاقة بين المسلمين والبراهمة بفترات هدنة ، إذ أمر السلطان ملك خسروخان بدبغ من يذبح ، البقرة في جلدها، وأظهر أموراً منكرة بالنسبة للمسلمين ، منها النهي عن ذبح البقرة ، التي كان الهندوس يشربون أبوالها أيضاً لنيل البركة حسب اعتقادهم ، فضلاً عن الاستشفاء إذا مرضوا ، ويلطخون بيوتهم وحيطانهم بأرواثها ، ذلك بغضّ خسروخان إلى المسلمين ، وأمالهم عنه إلى تغلق ، فلم تطل مدة ولايته ولم تمتد أيام ملكه [2]

هكذا كانت العلاقة بين المسلمين والبراهمة تسوء أو تتحسن حسب عقائد وميول السلاطين ، ففي عهد السلطان فيروز وهو من بني تغلق قلّ بناء المعابد الهندوسيّة بعد أن تحّدد موقف الشرع منها آنذاك وأمر بحفظ القديم من المعابد فقط وهدم الحديث . ثم حدث نزاع في الهند بين الهندوسيّة والإسلام ، جعل التعايش السلميّ صعباً بين الجانبين ، وبخاصة أن الإسلام يرفض الوثنيّة ويدافع عن التوحيد بقوة، ويعارض نظام الطبقات ، مما لا يجعله ينسجم مع غيره، إلا أن هناك من تحول من الهندوسيّة إلى الإسلام . أملاً بتحقيق العدالة والتقدم الاجتماعيّ برعاية حكومة مسلمة ، وقد يرى البعض أن ذلك لا يعبر عن قناعة بالدين الإسلاميّ . ويشكل المسلمون السنة في الهند ، كما في باكستان والشرق الأوسط فئة متحمسّة مؤمنة بالإسلام كدين عقيدة وتوحيد وعدالة وخلاص من كثير من الموبقات والمفاسد،

[1] حوليات كلية الآداب ، الكويت ، النظم السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بني تغلق ، الكويت ،مطبعة النّشر العلميّ جامعة الكويت،لا طبعة 1998/1418،الرسالة-28ص 60.

[2] درويش الجويّدي، رحلة ابن بطوطة، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة، 1430/ 2009،جزء -2، ص52.

ومعظم هؤلاء أصولهم من المهتدين الهندوس . ولا تزال أعداداً من الهندوس تعتنق الإسلام يومياً على أيدي رجال دين من المسلمين الهندوس ، والهنود والعرب ، وبخاصة الدكتور (ذاكر نايك) الذي اهتدى علي يديه بعض من الهندوس ، وإن لم يهتدوا فقد فهموا الإسلام على حقيقته ، يجدر بنا الإشارة إلى أن الدكتور ذاكر نايك هو ذاته هندوسيّ اهتدى إلى الإسلام عن قناعة بعد قراءة ، وتمعّن في حقيقة الإسلام وروحه ، وهو حالياً داعية من أهل السنّة والجماعة.

وصل عدد المسلمين في الهند ، حسب إحصائيات 2000م إلى ما يزيد عن 80 مليون نسمة ، والذين تعود أصول بعضهم إلى هندوسيّ إمبراطوريّة المغول المعتدين ، وقد تحملوا وطأة الحكم المغوليّ الظالم ، وعانوا من الحكم البريطانيّ[1] ولازالوا يعانون المشاكل ما بين باكستان والهند ، وقد توحدت أركان الإسلام كدين رئيسيّ في الهند ، ومعظم المسلمين في الهند ينتمون إلى طائفة أغلبيّة سنيّة واحدة.

يعيش المسلمون والهندوس جنباً إلى جنب ، وهكذا فإن نقص الحساسيّة عندأتباع دين واحد نحو توجهات أتباع الدين الآخر قد يؤدي إلى المصادمات، يحدث هذا عندما يحتفل بيوم مقدس ، ومن المفارقات التي تحدث أن يكون الاحتفال للجانبين في نفس اليوم بل في نفس الشهر ، فقد يحدث في شهر رمضان الكريم الاحتفال بما يسمي (عيد غانيش) ويكون ذلك متزامناً مع طقوس الاحتفال بالشهر المبارك ، فالترانيم والأناشيد الهندوسيّة تصدح صباح مساء ، مع أوقات الصلوات ، صلاة الفجر والمغرب، قد يستاء البعض ، بينما اعتاد البعض الآخر ، تلك الأمور .

وقد تجد المسلمين والهندوس يتقربون من بعض في المواسم والأعياد ، فهم نسيج واحد في بعض الولايات والمدن ، وقد تناسوا المشاكل التي بينهم ، بل يشكر الهندوس أحياناً الحاكم المسلم الغنيّ الذي أنشأ لهم مورداً للماء على شكل خزان، أو بئر ماء في الأصقاع النائية ، كما أنهم يتبادلون التهاني في الأعياد والمناسات الدينيّة، ويتناول الهندوس الأطعمة والوجبات التي يعدها المسلمون في شهر

[1] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت ، مطبعة الدار العربية للعلوم ، الطبعة 1 ، 2002/1422 جزء -1 ، ص 18-19.

رمضان الكريم وقد يقيم المسلمون أيضاَ تأبيناً للحاكم الـذي مـات وإن كـان هندوسـيّاً ، وهـذا التـأبين رمزيّ ، يكون بتلاوة آيات مـن القـرآن الكـريم مـسجلة ، وتطلـق بواسـطة مكـبرات الـصوت في أنحـاء المدينة.

قد تعود عادة وضع طرف الساريّ على الرأس وتغطية الوجه، حينما يتواجد الرجال وأحياناَ إن لم يتواجدوا ، إلى التأثر بالثقافة الإسلاميّة الـشرقيّة ، ويؤكـد بعـض الهنـدوس إن ذلـك يعـود إلى التـأثر بالروح والثقافة الإسلاميّة ، بينما ينفي البعض الآخر ذلك ، ويفسر أن تغطية الوجه بالساريّ حمايّة لـه من الشمس، لا سيما من جانب الشابات ، وما يلاحظ لا سيما في راجـستان الغربيّـة أن الـسيدات هـن من يغطين الوجوه وليس الفتيـات الـصغيرات ، وراجـستان قريبـة مـن أغـرا، ودلهـي معقـل الحـضارة الإسلاميّة ، كما تضع بعض السيدات من الهندوس الحجاب على الرأس ، تعوداً أو كسباَ لـود المـسلمين أو ربما عن اقتنـاع، فالهنـدوس لازالـوا يحترمـون المـسلمين ويقـدمونهم وبخاصـة العـرب مـنهم . وقـد اختفت عادة إحراق جثث الموتى ، في بعض الولايات الهنديّـة ، عـن طريـق الإرشـاد والتوجيـه وإقامـة الندوات التي تقرّب بين الجانبين.[1]

وقد وحدّت الحـرب في بلـدة (بهتنـير) فـيما مـضى بـين المـسلمين والهنـدوس ، حيـث واجهـوا متحدين جيش تيمورلنك المغولي ، وإن لم تكن الحرب لإعلاء كلمة اللـه والحقّ ، بل هي كانت حروبـاَ شخصيّة أو أهلية ،أو قدوا نيرانها لتوطيد دعائم الملك ، فانحاز المسلمون والهنـدوس إلى حلفـائهم مـن أجل الظّفر بالمناصب والوظائف الهامة[2]، ومع ذلـك لا يـزال التقـارب بـين المـسلمين قائمـاَ ، ربمـا مـن الناحية الاجتماعيّة والثقافيّة.

[1] التاميلنادو ، شيناي ، (مدراس) ، الهند ، ديسمبر ، 2006.

[2] حوليات كلية الآداب ، الكويت ، النظم السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بنـي تغلـق ، الكويـت ،مطبعـة النّـشر العلمـيّ جامعة الكويت،لا طبعة 1998/1418،الرسالة-28،ص60 61.

ب-الباطنة:

بدأت الدعوة إلى التشيّع ما بين فارس والعراق ، وقد تحدث ابن بطوطة عن ذلك حينما ذكر أن «... ملك العراق السلطان محمد خدا بنده قد صحبه في حال كفره فقيه من الروافض الإماميّة يسمى جمال الدين بن مطهر . فلما أسلم السلطان المذكور وأسلمت بإسلامه التتّر زاد في تعظيم هذا الفقيه ، فزين له مذهب الروافض وفضله على غيره. وشرح له حال الصحابة والخلافة، وقرّ لديه أن أبا بكر وعمر كاناَ وزيرين لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)وأن علياَ ابن عمه وصهره فهو وارث الخلافة ، ومثّل له بما هو مألوف عنده من أن الملك الذي بيده إنما هو إرث عن أجداده وأقاربه ، مع حدثان عهد السلطان بالكفر وعدم معرفته بقواعد الدين . فأمر بحمل الناس على الرفض للصحابيين، وكتب بذلك إلى العراقين وفارس وأذربيجان وأصفهان وكرمان وخراسان . وبعث الرسل إلى البلاد ...، فأما أهل بغداد أهل باب الأزج منهم، وهم أهل السّنة ، وأكثرهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، قالوا لا سمع ولا طاعة... وأتوا المسجد الجامع في يوم الجمعة ومعهم السلاح وبه رسول السلطان ... فلما صعد الخطيب المنبر قاموا إليه وهم اثنى عشرألفا في سلاحهم ، فحلفوا له أنه إن غيّر الخطبة المعتادة أو زاد فيها أو أنقص ، فإنهم قاتلوه وقاتلوا رسول الملك ومستسلمون بعد ذلك لما شاء الله وكان السلطان أمر بأن يسقط أسماء الخلفاء وسائر الصحابة في الخطبة ، ولا يذكر إلا إسم عليّ ومن تبعه كعمّار، رضي الله عنهم فخاف الخطيب من القتل وخطب الخطبة المعتادة ، وفعل أهل شيراز وأصفهان بفعل أهل بغداد ، فرجعت الرسل إلى الملك ، فأخبروه بما جرى في ذلك ، فأمر أن يؤتى بقضاة المدن الثلاث . فكان أول من أتى به منهم القاضي مجد الدين قاضي شيراز ، يتحدث ابن بطوطة بعد ذلك عن نجاة القاضي من كيد السلطان وعقابه بما يشبه المعجزة ، حيث رمى السلطان القاضي للكلاب الضخام لتمزقه ، إلا أنها لم تدن منه مع كونها معدة لأكل بني آدم ، ولما أرسلت الكلاب على القاضي بصبصت إليه وحركت أذنيها بين يديه ولم تهجم عليه إطلاقاَ ، وخرج السلطان حافي القدمين من داره حينما بلغه ذلك ، فأكبّ على رجليّ القاضي يقبلها وأخذ بيده وخلع عليه جميع ما كان عليه من

ثياب وهي أعظم كرامات السلطان عندهم ... فرجع السلطان عن مذهب الروافض، وكتب إلى بلاده أن يقّر الناس على مذهب أهل السنة والجماعة...»[1].

لقد أوردنا هذه القصة للدلالة على دخول الإسلام الخالص إلى الهند ، حيث كان للدعاة الأوائل دور في تحول الكثير من الهندوسيّة إلى الإسلام ، ولا تزال المحاولات وإن استغلت الفرص وكثرة الأتباع في تحقيق مآرب سياسيّة منذ القدم ، تلك المآرب غيرذات صله بالدين والإسلام الخالص . ومثال ذلك نور الدين ترك ، الذي جمع شيعة الهندستان في دلهي ، حيث كونوا قوة ذات نفوذ ، فضلاً عن الداعي شمس الدين الفارسيّ ، والذي وصل الهند في أوائل القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر للميلاد ، قادماً من إيران ، وقد استطاع هذا الداعي أن يجد من يثق به من الأتباع بمشاركة أهل البلاد في عاداتهم وطقوسهم الدينيّة من رقص حول النار وتطبيل واعتقاد بالأساطير والخرافات والتنجيم ، ذلك حسب منهج مدروس بإحكام بدأ بالتعرف على عادات أهل الهند وتقاليدهم ، ثم دراستها ، ومن ثم خلطها بالتقاليد الاجتماعيّة الإسلاميّة ، «... فلما كثر أتباعه ومريدوه كون لهم فرقة خاصة نسبت إليه وعرفت باسم فرقة الشمسيّين ، وصار للشمسيّين قاعات خاصة يجتمعون فيها تسمى(جماعات خان)تدار فيها المناقشات وتجبى فيها الهبات والعطايا التي يقدمها الأتباع ، استفحل خطر الشمسيّين وصاروا أشبه بدولة مستقلة داخل الدولة ، مما أغضب الحكام عليهم، لذلك اتجهوا للعمل في الخفاء مع الفئات الأخرى وتحولوا إلى مذهب الباطنّية المتطرفة[2] لتحقيق أغراضهم السياسيّة ونشروا القلاقل والاضطرابات، ولاجتذاب مزيد من الأتباع أشاعوا الإباحيّة والتحلل من القيم الأخلاقيّة والشعائر الدينّية ، فلما استفحل خطرهم تصدى لهم السلطان فيروز شاه فهو يقول : «... وأمرنا بإحراق كتبهم علانية ...» وعاقب زعماءهم ، حيث يقول

[1] درويش الجويّدي، رحلة ابن بطوطة، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة، 1430/ 2009،جزء -1، ص184-185.

[2] محمد علي الصابونيّ ، التبيان في علوم القرن ، الإسكندرية ، مطبعة دار عمر بن الخطاب، لا طبعة ، 1390/1971 جزء-1 ، ص 203-205.

فأخذناهم بأعمالهم المنكرة أخذاً وعاقبناهم عقاباً ، وأمرنا بإحراق كتبهم على مرأى من الناس ومسمع ...» [1] .

لقد كان ذلك العقاب في الفترة من القرن الثاني عشر ـ الرابع عشر ، وما بعده حيث وجدت الدعوة إلى الباطنة أرضاً خصبة في بلاد الهند ، واستمالت فئات غير قليلة في شمال البلاد وجنوبها ، مستغلة الاستعداد لدى الناس لتصديق الأساطير والأقاويل وترسيخ عقيدة التبرك ، وتقديس الأشخاص ، ومثال ذلك حدوث رياح عاتية وسط البحر ، واحتمال غرق السفينة ، مع معرفة الداعي إلى المذهب بعلامات انقشاع السّحّب وتوقف العاصفة ، إلا أن الراكب البسيط . ووسط خوفه قد لا يلاحظ ذلك ،ثم يقنعه هذا الداعي بأن الفضل أبو العباس أو عبد القادر الجيلاني كان له دور في نجاته بسبب الدعاء له وطلب النجاة منه .

إذاً القدرات التأثيريّة في عقول الأتباع وقلوبهم وإقناعهم أولاً باعتناق الإسلام، وتزيّن المذهب الشيعيّ لهّم ، ودراسة الدعاة لعادات الهنود ومذاهبهم ومحاولة التقريب بينها وبين تعاليم الشيعة. الأثنيّ عشريه[2] ، ومحاولة التقريب بينها أيضاً وبين الإسماعيليّة[3] بشقيها النزاريّة والمستعلية و ينقسم المسلمون في الهند إلى

[1] حوليات كلية الآداب ، الكويت ، النظم السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بني تغلق ، الكويت ،مطبعة النّشر العلميّ جامعة الكويت،لا طبعة 1998/1418،الرسالة-28ص 61.

[2] الأثنا عشرية : يرى زعماء الطائفة الأثناعشريّة أن إلامامه انتقلت بعد الإمام عليّ بن الحسين ثم لعليّ زين العابدين ، ثم لابنه محمد الباقر ، ثم لابنه جعفر الصادق ثم لابنه موسى الكاظم ، ثم لعليّ الرضا ثم لمحمد الجوّاد ثم لعليّ الهاديّ ثم لابنه محمد ، وهو الإمام الثاني عشرة ويعتقدون أنه دخل سرداباً في دار أبيه بسر من رأى (سامرا) سنة 360هـ وأنه سيظهر ويملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جورا .

[3] الإسماعيّلية ، هم الذين جعلوا الإمامة بعد جعفر الصادق لابنه إسماعيل ، ولما كان إسماعيل قد توفي في حياة أبيه ، لذلك نقلوا الإمامة إلى محمد المكتوم بن إسماعيل ، وقالوا أيضاً برجعته بعد غيبته ، وانقسمت الإسماعيليّة إلى النزاريّة، والمستعليّة ، عبدالله الأمين ، دراسات الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ، بيروت ، لا مطبعة ، لا طبعة ، 1986/1406، جزء-1، ص 61.

فئتين هما السنّة والشيعة ، السنة هم الموالون للشريعة الإسلاميّة التي تطبق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ينتمي معظم الهنود حالياً إلى طائفة الأغلبيّة المسلمة في الهند وهي السنّة ، ويتواجدون بنسب كبيرة في كيرلا ، لاسيما في مدينة (كلكيت) وما حولها ، ومدينة (كولام) ، وبلدات أخرى مثل (كومالي) ، فضلاً عن التاميلنادو حيث الأغلبية المسلمة السنّية في شيناي، أما حيدرأباد في أندرهابراديش ، فهي تجمع بين السنّة والشيعة ، وإن كان لايبدو ذلك بوضوح ، حيث لا خلافات بين أصحاب الديانات ، ذلك لأن السلطة السياسيّة في يد حكومة مركزيّة ذات تعدديّة لاتركز على دين أو مذهب معين ، إلا أن الطابع الإسلاميّ تبدو مظاهره واضحة في حيدر أباد، وتعّد كشمير ذات أغلبية مسلمة تبلغ نسبتها 95٪ ، وتتراوح نسبة الطائفة الشيعيّة ما بين 30٪ إلى 35٪حسب أقوال المرشدين ، يشعر المسلمون السنة والهندوس أيضاً بالامتنان لدول الخليج العربيّ ، وبخاصة الإمارات العربيّة المتحدة والمملكة العربيّة السعوديّة سواء كان ذلك عن طريق الدعم والإرشاد المعنويّ الدينيّ، أوبناء وتعمير الكثير من المساجد وأماكن العبادة ، فضلاً عن حفر الآبار الإرتوازيّة في الأصقاع والبلاد النائية في شبه القارة الهنديّة ، إذ تعد مشكلة جلب المياه شاقة في بعض البلاد التي لم تصل إليها يد العمران .

وتعود طريقة الحفر إلى عدة قرون ومن ذلك ما ورد عن حفر السلطان التغلقيّ التركيّ المسلم ، أبو المجاهد محمد شاه ، في القرن الرابع عشر لبئر حيث يقول ابن بطوطة : «... وكان السلطان في زمن القحط قد أمر بحفر آبار خارج دار الملك وأن يزرع هناك زرع ، وأعطي الناس البذور ما يلزم على الزراعة في النفقة وكلفهم زرع ذلك للمخزن...» [1] .

ج- الصوفيّة:

تعّد حركة التصّوف من أكبر الحركات العقائديّة ، التي استمالت قاعدة عريضة من الهنود ، حيث أن التقشّف والزهد في الصوفيّة يتفق وتعاليم اليوغا الهندوسيّة ،

---

[1] درويش الجويديّ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ، 1430/ 2009 ، جزء -2،ص83.

والتي أساسها قهر الشهوات والرياضة الروحيّة . تأثر الهندوس بزعماء التصّوف الوافدين على الهند ، وصارت لهم قدسيّة في عقول وقلوب أنصارهم ، واعتقدوا ببركتهم وقاموا بمجاورتهم ، وزاروا قبورهم في المناسبات الدينيّة وحينما ظهرت الصوفيّة في بلاد الهند آثر مشايخها الهدوء والبعد عن النزال والحركة ، والتفرغ للعبادة، والتجرد من اللذات ، ومن ذلك أن أحد الأمراء الصوفيّين (سارنك الكهنوتّي) الذى ترك الإمارة وصحب الشيخ قوام الدين بن ظهير الدين الكرديّ وتلقى منه الذكر ، واقتدى به أتباعه ، فنفّروا من العلم وانقطعوا للذكر والمجاهدة مما يضعف النّفس ويعطل عمل الجوارح ، ويقتل الهمة الإنسانيّة ، ويؤدي إلى فناء عقيدة الجهاد والدعوة، بسبب التفرغ ، فيكون المتصّوف متفانياً في الاستماع إلى ما يردّده الشيخ من أدعية وأذكار ، فتتوارد على قلبه ما يسمى عند المتصوف بالنغمات الربانية ، حيث يكون المتصوف كالميت أو المخدر بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء [1] ، بل إن بعضهم قد يصاب بالجنون أو الوساوس.

لقد مزج بعض المتصوفّين بين الباطنة والهندوسّية وتأثر كل بالآخر ، حيث أباح شيوخهم السكر وشرب ما يذهب العقل ، كي يصلوا إلى درجة الوجد والشوق، وضرورة الإيمان بمذهب بديع الدين المدارجلي ، الذي ادّعى أنه أحد الأقطاب الذين عليهم مدار العلم ، وأن تصرفات الكون لا تعدوه ، وأنه يحي الموتى ... فامتزج دين التوحيد الخالص بالعقائد الوثنيّة وأوهام المتصّوفة ، وبلغ من تمسكهم بالعقائد الممتزجة بالوثنيّة وأساطيرها ، أن وضعوا لأنفسهم الشارات والرايات ، واتخذوا طبولاً ودفوفاً ، وخلطوا ذكر الله تعالى والصلاة على الرسول بقرع الطبول والضرب بالسيوف والسهام في أجزاء الجسم كالبطن والرأس.

وقد عمدوا إلى القيام بحركات غير متوازنة أثناء الذكر ، كإدخال النار في الفم والتعذيب الجسديّ ، والإيهام بالقدرة على فعل الخوارق ، وأصبحو نماذج إفساد في المجتمع يرقصون ويصفقون في حلقات ومجموعات تشبّهاً بوثنية الجاهلية مما شوّه الإسلام في الهند آنذاك.

---

[1] حوليات كلية الآداب ، الكويت ، النظم السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بني تغلق ، الكويت ،مطبعة النّشر العلميّ جامعة الكويت،لا طبعة 1998/1418،الرسالة-28ص 63.

لقد تصدى السلطان فيروز شاه لهذه الفتنة وقضى على رأسها ، الملقب بالمهديّ ، وتعقّب أتباعه ونكّل بهم ، وهو يقول:"... رجل ادّعى النبوة وتلقب بالمهديّ في دلهي فتبعه خلق كثير واستفحل أمره وعظم شرّه حتى جيء به إلينا ، فاعترف بالإثم غير وجل ، فأمرنا بقتله وقتل كل من يقتفى أثره ... ولذلك جعلناهم مثلاً لكل من ينفخ في أوداجه الشيطان فانطفأت جذوة الشّر ، ونجا الناس من ضلالاتهم...» [1] .

نتبين مما تقدم الأوضاع السائدة عبر القرون ، والفهم الخاطىء، للدين الصحيح والعقيدة السليمة ، فبين الحقبة والأخرى ، يضّل الناس الطريق ، ويتناسون التعاليم ، ويخلطون بين أمور الدين والدنيا ، فبعضهم عن طمع أو حقد ، أو رغبة في جاه أو سلطان ، والبعض عن جهل وضعف وهنا يكمن المقتل. وقد أطفأ فيروز شاه جذوة الشّر في عصره ، إلا أن الجذوة تعود بين الحين والآخر ، حيث يشعلها مريدو الفتنة والشّر للمسلمين ، تبدو آثار الصوفية جليّة في سرينجار ، حيث تقدم طقوس الطاعة والتأبين لصاحب الطريقة ، الشيخ عبد القادر الجيلانّي، والذي لم يكن مبدعاً أو مغالياً في الدين الإسلاميّ ، إلا أن من اتبعوه ، بالغوا في الحديث عن كراماته وقدراته ونسجوا حول ذلك القصص الخياليّة ، كما توجد في أنحاء من الولايات والمدن والقرى الهنديّة، الطرق الصوفّية توجد في أنحاء من دلهي إذ يوجد ما يسمى ما بالداركاه ، أي المزار ، وأحياناً تضيق المسافات بين تلك المزارات لكثرتها ، وحيثُ يغطى الضريح في المسجد أو المبنى بقماش ألوانه في الغالب أخضر مقصب باللون الذهبي ، فضلاَ عن أن هناك مساجد ، بناها سلاطين المغول ، وهم سّنة من المتصّوفين، ومنهم نظام الملك ، من مؤسسّي دولة المغول ، وباني حضارتها ، فهناك مسجد باسمه في دلهي القديمة يطلق عليه داركاه نظام شاه، وحيث تتواجد مجموعة ممن لم يفهموا الصوفيّة فهماً صحيحاً ، وهم مستلقون على الأرض وبعضهم يغطّ في نوم عميق ، ثيابهم رثة بالية ، لا آثار للنظافة على أجسامهم وربما بالغوافي ذلك رغبة في عطاء المحسنين ، كما استغل البعض أسماء بعض الصحابة من المسلمين وأقاموا له ضريحاً، ومن الأسماء في شيناي،

[1] حوليات كلية الآداب ، الكويت ، النظم السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بني تغلق ، الكويت ،مطبعة النّشر العلميّ جامعة الكويت،لا طبعة 1998/1418،الرسالة-28ص 65.

الأنصاري وقد اطلقوا على صاحب الضريح محمد نصير الأنصاري وقد يكون هذا الاسم وهمياً ، فهو دليل على استغلال الدين والصحابة للتكسّب ، فبعد خلع النعل (الجبلي) لابد من رؤية الضريح المغطى بالقماش الأخضر ، ويقوم أحدهم بتحريك مروحة كبيرة من ريش الطاووس على صاحب الضريح ، وإن قدمت له 100 روبية أو 500 طلب المزيد وبان عليه الطمع وتشاهد المزارات الصغيرة كثيراً عبر الطرق من مدينة إلى أخرى أو من ولاية إلى أخرى وتغطى الداركاه بقماش ذهبيّ أحمر وبرتقاليّ وتوضع على الضريح وأمام المبنى الزهور ذات اللون البرتقاليّ والأحمر ، مما لا يجعلك التمييز بين المزار الخاص بالمسلمين والمعبد الهندوسيّ[1]! إنه الخلط بين الباطنة والهندوسيّة، والابتعاد عن الصوفيّة الحقيقية الخالصة لله تعالى، البعيدة عن الزهد المبالغ فيه، والمغرقة في الأوهام والاعتقاد بالكرامات . وكما قال أمين الريحاني :«...لعمري أن أجمل الكمالات التي نتمناها محققة في الحياة هي تلك التي تقترن فيها روحية الصوفيّ الحقيقيّ بالأعمال السياسيّة والاجتماعيّة والأدبيّة كلها . فتصفو مجاري العقل في مواردها ، وتدق خيوط النفس في منسوجها ، يقل الجشّع والخداع والوهم في نواحي الحياة ولكن التصّوف اجتهاد شخصيّ ، ونعمة فردية ، لا تورّث ولا تعلّم ولا تنشر بالإجازات. ومن الأسف أنه لا يبقى منها ، بعد موت صاحبها ، غير الطريقة أو الحلقة وخزعبلاتها ، والمشايخ وشعوذاتهم...»[2].

مما تقدم نتبين ، ما تركته ثقافة القرون وحضارتها ، في شبه القارة الهنديّة، لاسيما التأثر بين الأديان ، وأحياناً الخلط بينها إلى درجة عدم التمييز ويبقى مع ذلك الإسلام وروحه المتمثلة في السنّة والجماعة قوياً في أنحاء الهند ، حيث تنتشر بيوت الله، ودور العبادة ، فضلاً عن دور الوعظ والإرشاد والعلم.

---

[1] التاميلنادو ، شيناي ، (مدراس) ، الهند ، ديسمبر ، 2006 .

[2] أمين الريحاني، ملوك العرب ، بيروت ، مطبعة دار الجيل ، الطبعة 8، 1987، جزء -1، ص 288

2- الطائفة غير المسلمة

أ- البراهمة

تعدّ الهند دولة علمانيّة مما يعني أن ليس هناك دين واحد للدولة ، إلا أن للدين مكان هام في حياة الناس ، فهذا ليس بمستغرب في بلد به البوذيّة والهندوسيّة اللتان خرجتا من رحمه ، فضلاً عن ديانات أخرى غير سماويّة مثل الجاينية والسيّخية ، وديانات سماويّه هي، اليهوديّة والمسيّحية والإسلام . تمثل الهندوسيّة عقيدة غالبية الهنود 83٪ أو أكثر من 650 مليون نسمة ، وتعود أصول ديانتهم مع مجيء الآريين إلى شبه القارة الهنديّة منذ أكثر من 3500 سنه ، وقد عرف دين الآريين بالديانة الملحميّة ، نسبة إلي النصوص أو الملاحم الشعرّية الديّنية ، والتي هي الأقدم عالمياً ،ثم تعرضّت الهندوسيّة إلى تحولات من ملحميّة الآريين إلى الهندوسيّة التي هي اليوم طريقة حياة أكثر مما هي دين . يكمن في قلبها الإيمان بأن الشخص قد يولد من جديد بعد وفاته.

يؤمن الهندوس بمجموعة من الآلهة . ويختلف الناس في الأهمية التي يعطونها لمن يعبدون ، على شكل تماثيل ترمز إلى أشخاص متعددين ، بينما يردد البعض بل يؤمن ، أن الهندوسيّة لديها إله واحد أقوى من الجميع، ومعبوداتهم من براهما، فيشنو ، وشيفا ، وغيرها ، إنما هي طرق لتمثيل الإله الواحد[1].

تعّد البراهمة أو البرهميّة ، كما تقدم الأعلى في سلم الطبقات الاجتماعيّة ، وبالتالي الدينيّة ، وتقدس طائفة البراهمة البقرة ، ويحرم البراهمة أكل لحوم البقر، وتعدّ هذه الطائفة من أكثر الطوائف انتشاراً في الهند ، ومن أقدمها ، وهي تنسب إلى رجل منهم يقال له براهم ، ينقسم البراهمة إلى فئات ، منهم البددة ، والبد عندهم شخص لا يولد من العالم ولا يتزوج ولا يأكل أو يشرب كما لا يشيخ أو يموت ، وأول (بّد) ظهر في العالم اسمه (شاكمين) ويعني هذا الاسم السيّد الشريف ، وقد

[1] راتب الزيات ، عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار الراتب الجامعية ، لا طبعة ، 1996، جزء -1 ، ص 43-42.

زعمت هذه الطائفة أن البددة أتوا من نهر الغانج ، وألقي إليهم بالعلوم في صورة أجناس وأشخاص شتى ، ومنهم أصحاب الفكر ويقولون أنه المتوسط بين المحسوس والمعقول.

وتعتمد فكرة أصحاب التناسخ على تجوال الروح ، إذ يعتقدون أن الأرواح متنقلة في أطوار شتّى من الوجود ، تنتقل من جسد إلى آخر سواء أكان الإنسان أو الحيوان ، في طريقها إلى هدفها الأخير . وقد تطورت البرهميّة على يد المفكرين في القرن الحادي عشر الميلادى وعرضت عقائدها في القرن الثالث عشر من (نيمباركاومادفا) ، وكانت صورة بسيطة تخلو من التعقيد ، وقد اجتهد مفكرو البراهميّة لتأكيد أن الوحدة الإلهية نبعت في صميم الفكر البرهميّ الهنديّ ولم تفد إليها من الفكر الإسلاميّ ، ذلك لخلق معارضة لطمس انتشار الإسلام ، وإحياء العقيدة الهنديّة القديمة [1] مما يؤكد المعارضة في اعتقادهم أن (رام مهون) وهو بنغاليّ ولد 1774، وديانة عائلته البرهميّة ، قد درس القرآن الكريم ، ورفض الاعتقاد بتعدد الآلهة ، ونشر بعد وفاة والده عدة مقالات بلغات الهند واللغات الأجنبيّة ، أوضح في مقالاته ، خروج البراهمة عن إيمانهم الأصليّ، وقد فصل عن عشيرته ، وأرسله السلطان إلى البلاط الإنجليزيّ، للعمل فيه ، وأشار أيضاً إلى التطابق بين مبادىء المسيح الحقّة والبرهميّة الأصليّة، وتوفي في بريطانيا 1833...» [2].

قد يذهب البعض الى أن البراهمة سموا بذلك لانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام ، إلا أن البعض الآخر لا يؤكد ذلك فالشهر ستانيّ يرى أن ذلك خطأ ، فإن هؤلاءهم المخصوصون بنفيّ أصلاً ورأساً فكيف يقولون بإبراهيم عليه السلام [3]

[1] حوليات كلية الآداب ، الكويت ، النظم السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بني تغلق ، الكويت ،مطبعة النّشر العلميّ جامعة الكويت،لا طبعة 1998/1418،الرسالة-28ص65-68.

[2] بطرس البستانيّ، دائرة المعارف ، بيروت . مطبعة دار المعرفة ، لا طبعه ، لا تاريخ . المجلد - 6، ص 227.

[3] تحقيق قمر سيد نحيلان ، الملل والنحل للشّهر شتاني ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، 1962 ، ص 250 – 254.

وتشبه طائفة السامرة ، البراهمة ، حيث تؤمن بتناغم الأرواح، وكانت تعيش قرب نهر السّند قديماً ، قبل ضمه إلى الإسلام.

ب ـ السحرة (الجوكيّة)

ولعل أعجب الطوائف في أيام بني تغلق طائفة السحرة الجوكيّة ، والتي هي من الطبقات الدنيا ، كان السحرة الجوكيّة يسكنون (كجرا) حالياً ، كاجوراهو ، فمنهم من يقيم مدداً طويلة لأ يأكل ولا يشرب ، وكثير منهم تحفر له حفرة في الأرض ثم يُهال عليه التراب ويترك له موضع يدخل إليه منه الهواء، تبدو شعور الجوكية منسدلة على الظهور والأكتاف ، ملبدة مشعثة ، يصنعون حبوباً يأكلون منها وهم لا يحتاجون إلى طعام ولا شراب وأغلبهم لا يتناول اللحوم . ومنهم من يقتصر على البقول[1].

ويقيم السحرة في الحفر شهوراً أو سنة ، وكما أشار ابن بطوطة إلى أنه رأى بعض المسلمين يتعلمون منهم «... ورأيت بمدينة منجرور رجلاً من المسلمين ممن يتعلم منهم ، قد رفعت له طبلة وأقام بأعلاها لا يأكل ولا يشرب مدة خمسة وعشرين يوماً، وتركته كذلك ولا أدري كم أقام بعدي ...» [2].

ويصف ابن بطوطة تعوّد الجوكية رياضة المغالبة والجّلد والصّبر عن الطعام وزينة الدنيا ، فضلاً عن تأثيرهم المبالغ فيه في الناس ، فمنهم من ينظر إلى الإنسان ويقع ميتاً، ويشير إلى أن العامة تقول أن من يقُتل بالنظر إذا شّق عن صدره يكون دون قلب ، أي أن الجوكي يأكل قلبه ، وأكثر ما يكون ذلك في النساء ، وتسمى المرأة التي تقوم بذلك بالكُفتار. كان السلطان يعظمهم ويجالسهم تبركاً بهم ، واعتقادًا منه بأن للسحرة الجوكيّة تأثيراً في إبراء الأبرص والمجذوم ، إذا أقام عندهم فترة طويلة ، بل كان السلطان يطعمهم ويبني لهم السقائف ويسكنهم بها.

---

(1) حوليات كلية الآداب ، الكويت ، النظم السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بني تغلق ، الكويت ،مطبعة النّشر العلميّ جامعة الكويت،لا طبعة 1998/1418،الرسالة-28ص68

(2) درويش الجويديّ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ،جزء-2، 1430/ 2009 ، ص149.

يشير ابن بطوطة إلى أنّ «... بعث إليّ السلطان يوماً وانا عنده بالحضرة ، فدخلت عليه وهو في خلوة ، وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكيّة، وهم يلتحفون بالملاحف ويغطون رؤوسهم لأنهم ينتفونها بالرماد... فأمرني بالجلوس فجلست ، فقال لهما « أن هذا العزيز من بلاد بعيدة فأرياه مالم يره » فقالا نعم ، فتربع أحدهما ، ثم ارتفع عن الأرض حتى صار في الهواء فوقنا متربعاً ، فعجبت منه وأدركني الوهن ، فوقعت على الأرض مغشياً علي ...»[1].

يأكل أكثر الجوكيّة البقول ، كما تقدم ، وأكثرهم لا يأكل اللحم . ويتميّزون بأنهم عودوا أنفسهم الرياضة ، ولا حاجة لهم في الدنيا وزخرفها. وتشاهد هذه الطائفة ، أو من يشبهها في أنحاء مختلفة من الهند ، مثل التاميلنادر جنوباً ، وسكيم شرقاً ، وومومباي غرباً ، حيث هم حفاة شبه عراة، كأنهم مخدرون، يرتدون الرداء البرتقاليّ الفاقع اللون ، الذي يستر أجزاء من أجسامهم ويتمّيزون بالبشرة السمراء الداكنة والعيون ذات اللون المائل إلى الحمرة ، والشعور المسترسلة المشعثة .

ولابد أن نشير في هذا السياق ، إلى أن الألعاب البهلوانيّة ، التي لا تزال تمارس تكسباً، ولجذب السائحين ، أشهرها ،حفر الحفر العميقة وتغطية أحد اللاعبين بالتراب داخل الحفرة ، ثم خروجه منها بعد فترة قد تصل إلى عشرين دقيقة تقريباً ، ذلك في منطقة (شوباتي) غرب مومباي وقريباً منها ، مستوحاة من أعمال السحرة.

ج- طوائف أخرى:

كانت تلك أبرز الطوائف الدينيّة ، كما أن هناك جماعات عرقيّة تمثل أقل نسبة من الهندوس والمسلمين ، منها السّيخ [2] مؤسسها ناناك غوروا ، وتعاليم السّيخ تؤمن بتجلي اللــه مثل الهندوسيّة ، كما تدعو تعاليم السّيخ إلى تقديس القرآن ومنع الكحول والتبغ ، وقد تأسسّت البوذيّة أيضاً منذ أكثر من 2500 عام ، مقابل الهندوسيّة ، وإن زالت حالياً بسبب اضطهاد أفرادها ، الذين ذاب بعضهم في الكيان الهنديّ ، وتفسر

[1] درويش الجويديّ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصحّحة ،جزء-2، 1430/ 2009 ، ص149-150

[2] السيخ : انظر ، ص 76 - 77 .

حياة بوذا تعاليمه ، إذ تذكر الأسطورة التاريخيّة ، أن (سدها راتا غوتاما) ولد في أيكة مـن أشـجار الملـح قريباً من النيبال 561 قبل الميلاد ، وحملت به أمه بعد أن حلمت بأن فيلاً أبيض يحمل زهـرة اللـوتس في جذعه دخل إلى داخلها ، كما تشير الأساطير إلى أن بوذا ولد غنياً إلا أنه تعاطف مع الفقراء والمـرضى وسلك مسلكهم حيث جاع وتسول ليأكل ، وقاوم إبليس وتجارته مما جعله حكيماً. قامت كـل نـصائح بوذا على أن المعاناة سببها الرغبات الخاصة ، والحلول في الرؤياً الصحيحة ، وهـي ثمانيـة ،حـل صـحيح خطاب صحيح ، تأمل صحيح ، مهد صحيح ، تصرف صحيح ، حياة صـحيحة ، اسـتجماع صـحيح . مـما يؤدى إلى البصيرة والإناره[1].

تقوم الفلسفة البوذيّة التي بعثت في الهند ، على الدعوة إلى المساواة التي يتوق إليها الـشعب الهنديّ ، ويوجد في الهند ما يقارب من خمسة ملايين بوذيّ ، ومعاقـل البوذيّـة توجـد في، دار جيلنـيج وجانجتوك شرقاً كارنا تاكا جنوباً وأنحاء أخرى من شبه القارة الهنديّة.

كما تنحدر البارسيّة من زرادشتيى ، من أصلاب المقيمين في مومباي ، ويعود تاريخها إلى القـرن السابع عشر قبل الميلاد ، وهم يبنون قانونهم الأخلاقيّ المتطور على الصراع بين قوى الشّر والخير[2].

د-اليهود :

تشير بعض النصوص إلى أن من وصل إلى الهند من اليهود ونـشر اليهوديـة ، كـان في عـام 587 قبل الميلاد ، ويدعّي آخرون بأن ذلك يعود إلى زكرانغابور على شاطىء المليبار، عـام 727 بعـد المـيلاد ، وهو الوقت الذي يعتقد بـأن التلميـذ توما جـاء يبـشر عـن المـسيحية في الهنـد ، وأقـدم المجتمعـات اليهودية التى دخلت قلة قليلة لا تـذكر ، وقـد تواجـد بعـض مـنهم في مومبـاي ، وهـاجر بعـضهم إلى إسرائيل عام 1941.

---

[1] المؤلف مجهول ، دليلك إلى الهند ، بيروت مطبعة الدار العربيّة للعلوم ، الطبعة 1، 2002/1424،جزء -1 ، ص 23-24.

[2] البارسيّ : انظر ، الكبر ، ص 98 - 100

هـ-المسيحّية :

كان المسيحيون الذين قدموا إلى الهند من أتباع الكنيسة الأرذوكسية السورية، وهـم يعيـشون على شاطىء المليبار ، ذلك منذ القرن الأول للميلاد ، فالهنود المسيحيون بعـض أصـولهم منحـدرة مـن السوريين ، وبعضهم مـن المرتـدين مـن المستبـشرين البريطـانيين والبرتغـاليين ، وأعـدادهم تقـارب 19 مليوناً ، ومعظمهم من الكاثوليـك ، الـذين يعيـشون في غـوواً ، وهنـاك مجموعـات مـنهم في كوتـشين وبنغللور وكلكتا وغيرها من المدن المسيحية واليهودية.

هكذا بدت أبرز الطوائف والأديان في الهند ، حيث يتقبل كل الأخر كما يبدو غالباً بل تـأثرت بعض الأديان بالأخرى في بعض الجوانب ، سوف نشير في الفصل التالي إلى أبرز معاقل الـتراث الإسـلاميّ في الهند ، مع مقارنة بين القديم والحديث ، أما النمـوذج الـدال عـلى معاقـل الـتراث الإسـلاميّ ، فهـو حيدرأباد ، بوبال (بهوبال) وذلك لا يعني عدم وجود معاقل إسلامية تزخر بالتراث في مدن أخرى مثـل دلهي ، وأحمد أباد وغيرهما.

الفصل الثالث

أبرز معاقل التراث الإسلاميّ في الهند.

1- مدينة حيدر أباد من معاقل التراث الإسلاميّ.

أ- حيدر أباد القديمة:

كان يطلق حيدر أباد على ولاية وطنية من ديكان تضم حالياً ثلاثة أقاليم كبيرة تسمى أندرهابراديش ، «... كانت تسمى بأملاك نظام ، يحدها شمالاً بيهار والولايات الوسطى ، وغرباً مهارشترا، وجنوب شرق التاميلنادو ، سطحها هضبة مرتفعة عن سطح البحر 180 إلى ألفين قدم وهي قائمة على قاعدة من الصخر الجنوبي والنيس والصخر الكلسّي والصخر الرمليّ ، فضلاً عن البازلت في بعض المناطق ، وأهم معادنها الحديد والفحم الحجري والجرانيت، والمعادن الماسية التى كانت تقوم باحتياجات خزينة أمراء ، وسلاطين جولكندا (غولكندا).

كانت البلاد خصبة ، زراعتها غير متقنة وبها أراضي مهملة ، وغابات ضخمة ، أهم محاصيلها القمح والقطن والأرز والشعير والبطاطا وأهم مصنوعاتها الحرير والقماش وصادراتها القطن والتبغ ، تتميز حيدرأباد القديمة بطرق عسكريّة وسّكة حديدية ، كانت خاضعة لرجة (تلنغانابيجا نغر) ، وبني تغلق ، ثم المغول 1687 حيث ساد عليها نظام الملك حتى وفاته 1748 ثم حدث خلاف بين أبناء عم الملك وتحالف كل إبن مع دخيل خارجيّ من فرنسا ، وبريطانيا ، وساءت حال الولاية حينما سلمها نظام علي إلى الإنجليز مقابل حمايته ، وعمت الفوضى الولاية، ووقع الملك تحت طائلة الديون ، واستمر في تحالفه مع الإنجليز مدة الثورة 1857-1858.

تقع حيدر أباد عاصمة نظام على نهرمسي ، كان أكثر سكانها مسلمين ، وهي محصنة بحصون غير متينة وأبنيتها مزدحمة ، وأكثرها طبقة واحدة مما يظهر المدينة أكبر مما هي عليه ، شوارعها ضيقة معوجة وبها جوامع كثيرة «... وللرئاسة الإنجليزية بناء جليل على جانب النهر يصله بالبلدة جسر حجري ، وفيها حرس إنجليزي .

بُنيت حيدر أباد أواخر القرن السادس عشر وسُميت أولاً (بغتاغور)، ثم سميت باسمها الحالي نسبة إلى حيدرة أو حيدر الله والمعنى أسد الله ،وهو لقب علي بن أبي

طالب رضي اللـه عنه ، وقيل أنه لقب لحق به في صغره ومعناه الممتلىء لحماً وقيل غير ذلك ...» [1].

تقع قلعة (غولكند) أو مدينـة غولكنـدا 7 أميـال عـن حيـدر أبـاد شـمال غـرب وقـد اتخـذها السلاطين قصوراً للسكن وحصنوها للحماية وهي تزخر بالتراث وتشرف على حيـدر أبـاد العريقـة ذات التقاليد التي تعود إلى ستة قرون .

ب-مراسم ومواكب الاحتفالات الدينية:

سوف نتناول فيما يلي مراسم الاحتفالات، بالمواسـم والأعيـاد ، تحديـداً في القـرن الرابـع عـشر للميلاد ، والذى لا تزال أثاره تؤدّى حتى اليـوم في حيـدر أبـاد، اهـتم سـلاطين بنـي تغلـق فـيما مـضى بالاحتفال بالمواسم الدينيّة والأعياد في شيء من العظمة والمبالغة لإدخـال الـسرور إلى قلـوب المـسلمين وتجسيداً للخصوصيّة الدينيّة في ذلك ، وتتجلى الاحتفالات في عيد الفطر وعيـد الأضحى، ورأس الـسنة الهجريّة ، وليلة النصف من شعبان ، وحلول رمضان .

يبدأ الاحتفال بحلول شهر رمضان ، عندما يهل الهلال ، ويستعد للاحتفال بالـشهر الكـريم في الأيام الأخيرة من شهر شعبان في كل سنة ، ويقوم المـستخدمون والعـمال بإعـداد آلات موكـب السلطان بعرض الخيل وإذا فُرغ من عرضها يتلو القّراء آيات القرآن الكريم الخاصة بصيام شهر رمضان المبارك.ويرتدي الخانـات والملـوك والأمـراء صـباح أول رمـضان الثيـاب الفـاخرة متقلّـدين سيوفهم إلى قصر السلطان ، وبين أيديهم العسكر ركبانـا ومـشاة ، ثـم يبـدأ الـسلطان في الخـروج وحوله خاصته وحاشيته ، ويـسير الموكـب الـسلطانيّ في شـوارع دلهـي وخلفـه الطبـول والـصنوج

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، لا تاريخ ، المجلد -7 ، ص 272-273.

حتى يصل إلى المسجد الكبير بالحاضرة ، وهناك يأمر بتوزيع الهدايا الجليلة على الأمراء وكبار شخصيات الدولة فضلاً عن خطيب المسجد ومؤذنيه[1].

كان هذا وصفاً للاحتفال بقدوم شهر رمضان أيام حكم بني تغلق الأتراك وفي دلهي ، وهكذا الاحتفال في سائر الإمارات في القرن الرابع عشر الميلادي ، جرياً على العادة المتّبعة لدى السلاطين والأمراء في إمارة مكة المكرمة والحجاز .

لا يزال المسلمون في الهند يحتفلون باستقبال رمضان في سائر الولايات الهنديّة ، لا سيما التي بها نسبة لا يستهان بها من المسلمين . ويكون الاحتفال برفع الرايات التي ترمز إلى الإسلام ، وهي شبيهة بالأعلام التركيّة والباكستانيّة ، أي ذات النجمة والهلال ، واللون الأخضر وأحياناً الاحمر ، كما تضاء الأسواق التقليديّة العامة والمساجد ودور العبادة بالمصابيح الكهربائيّة ، فضلاً عن قراءة القرآن وتدارسه ، كما تكون الدعوات إلى إجراء الصدقة والزكاة ذلك في الخطب بالمساجد أو عن طريق الإعلانات والكتيبات التي تصدرها الجمعيات الإسلاميّة ويعدّ مسجد الجمعة[2]. الذي تحدثنا عنه فيما تقدم روح الإسلام في دلهي ، بل شبه القارة الهنديّة ، إذ يعلن شيخ الإسلام أو(مولانا)كما يطلق عليه حلول شهر رمضان من مسجد الجمعة ، فضلاً عن يوم العيد ، وبدء شهر شوال.

تبدأ مراسم الاحتفال بالعيد أيام بني تغلق ليلاً ، حيث يبعث السلطان إلى الملوك والخواص ، وأرباب الدولة ، والأعزة ، والكتّاب ، والتجّار والنقباء والقادة وأهل الأخبار ، وينعم عليهم بالخلع والعطايا وتزين الفيلة صبيحة العيد بالحرير والذهب ، وستة عشر فيلاً منها لا يركبها أحد إلا السلطان ، يرفع عليها ستة عشر شطراً من الحرير مرصّعة بجواهر . ويجلس السلطان على المرتبة وترفع الستارة ، المرصّعة بالجواهر .

---

[1] حوليات كلية الآداب ، الكويت ، النظم السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بني تغلق ، الكويت ،مطبعة النّشر العلميّ جامعة الكويت،لا طبعة 1998/1418،الرسالة-28ص77

[2] مسجد الجمعة : انظر ، ص 51-52 .

يمشي عبيد السلطان بين يديه ، وهم متمنطقون بأحزمة ذهبيّة ، أما النقباء وهم نحو ثلاثمائة ، يسيرون أمام السلطان أو على جانبيّ الفيّلة وقد ارتدوا الأحزمة الذهبيّة وحملوا مقارع الذهب . كما يركب سائر القضاة وكبار رجال الدين على الفيّلة ، وهم يكبرون حينما يخرج السلطان من باب القصر ، والعساكر تنتظره . وكل أمير بفوجه ، معه طبوله وأعلامه، وحينما يتقدّم السلطان وخلفه مراتبه وهي الطبول والأعلام والأبواق ويتقدّم أهل دخلته ، وإخوته وعساكره، وباقي أهله والوزير...ويفرش القصر يوم العيد ويزين بأبدع الزينة ، وينصب ما يشبه الخيمة الكبيرة التي تقوم على أعمدة ضخام ، وتحتها القباب والأشجار المصنوعة من الحرير بحيث تكون على صفوف ثلاثة وبين كل شجرتين كرسيّ مذّهب ، ويقام السرير الأعظم المرصّع بالجواهر ، وفوقه المرتبة .

ويصعد بعد ذلك السلطان على السرير أو المرتبة ، فينادي الحجّاب بأصوات عالية «بسم الله» ويتقدّم الناس للسلام ، وأولهم القضاة والخطباء والعلماء والشرفاء وأقارب السلطان ، ثم الوزراء ، والأعزّة ، وأمراء المعسكر وشيوخ المماليك وكبار الأجناد ، حيث يهنئوون السلطان ، دون تدافع أو تزاحم...» [1].

وتتبع عادة في يوم العيد وهي أن من بيده قربة من المهنئين عليه يأتي بدنانير ذهب في قطعة قماش على شكل صرّة وعليها اسمه ، فيضعها في طبق ذهب ، حيث يتم جمع مال كثير يعطيه السلطان من يشاء ثم يوضع الطعام حسب المراتب ، كما تنصب يوم العيد المبخرة العظمى،وهي تشبه البرج وفي داخلها ثلاثة أجزاء يدخل فيها المبخرون ، ويوقدون العود القماري والعنبر والجاوي ، وبأيدى الفتيان براميل الذهب والفضة مملوءة بماء الورد وماء الزّهر والذي يصّب على أيدي الناس فيمسحون به وجوههم وأيديهم .

تقام خيمة أو سرادق بعيداً عن القصر ، يجلس السلطان داخلها ولها ثلاثة أبواب ، ويقف الملوك عند كل باب، وعن اليمين واليسار أمراء المماليك، حيث

---

[1] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، لا طبعة، 1430/ 2009 ، جزء -2، ص 61-63 .

يصطف الناس حسب مراتبهم ، أمام الملك وهو يحمل عصاً من ذهب ، ونائبه عصاً من فضة. يتقدّم أهل الطرب من بنات الهنود غير المسلمات للغناء والرقص ، ويكون ذلك عصر يوم العيد الأول ، ثم اليوم الثاني ، وفي اليوم الثالث يكون الاحتفال بزواج الأقارب ، أما اليوم الرابع فيتّم فيه عتق العبيد ، ثم عتق الجواري في اليوم الخامس[1].

هكذا كان الاحتفال أيام العيد في دولة الهند المسلمة منذ عدة قرون ، ولا زالت معظم الطقوس تؤدّى لاسيما في المدن ، ذات الكثافة السكانيّة المسلمة ، كما أن تلك العادات والطقوس مشابهة لمثيلاتها في الشرق، وبخاصة دول الخليج العربيّ ، سواء أكان ذلك من حيث الملابس ، أي ملابس السلاطين والأمراء ، وألوانها ، فضلاً عن توزيع النقود وصّب ماء الورد وطرق التهنئة ، ذلك منذ مئات الأعوام ، ولا تزال بعض المظاهر متواجدة كما كانت منذ مئات السنين .

لا تزال الطقوس تؤدّى حتى الآن في الهند ، مما يفسر الارتباط الشديد بالتراث. كانت المآدب والأسمطة من مظاهر الاحتفال بالمواسم والأعياد في عهد السلاطين ، وبخاصة بني تغلق ، حيث اعتنوا بتنظيم الموائد عناية خاصة ، وبالغوا في إعدادها ، وكانت الموائد تُمد في قاعات استقبال فخمة ، وتخصّص منها قاعات استقبال للخاصة والأخرى للعامة ويبدو من وصفها ووصف مراسم العيد أثر الحالة الاقتصاديّة والتركيبة الاجتماعية ، إذ يبدو أن الخيرات وفيرة ، ووسائل الترف والملذات في متناول الجميع وأن أسعار المواد زهيدة ، فضلاً عن تقسيم الطعام الذي يدل على وجود الطبقّية في المجتمع ، فالمطبخ الخاص يعدّ طعام السلطان ، لتناوله في مجلسه مع الحاضرين الخواص من أمراء ، وأمير حاجب ابن عم السلطان ، وعماد الملك «سركيز» وأمير المجلس ، وغيرهم من الأعزاء وممن يراد تكريمه وتشريفه ، وكبار الأمراء فيأكل الملك معهم وربما أراد أيضاً تشريف أحد من الحاضرين ، فأخذ إحدى الصحاف وجعل عليها الخبز ، ويعطيه إياها ، فيأخذها المُعطى ويجعلها على كفه اليسرى ،

[1] درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، لا طبعة، 1430/ 2009 ، جزء -2، ص 61-64 .

ويخدم بيده اليمنى إلى الأرض وربما بعث ذلك الطعام إلى من هو غائب عن المجلس ، فيخدم كما يصنع الحاضرون ، ويأكله مع من حضره...» [1].

يشارك السلاطين والأمراء العامة ، الذين يؤتى بطعامهم من المطبخ وأمامه النقباء يصيحون «بسم الله» وبعد دخول النقيب ونائبه يقوم الجميع احتراماً ولا يبقى أحد جالساً إلا السلطان ، فيوضع الطعام ويتبادل الحضور التّحية ،... ولا يتحرك أحد من الحضور ، إلا بعد مدح السلطان ، والثناء عليه وبعد حديث نقيب النقباء والأمير بمدح السلطان . يكتب كتّاب الباب معرفين بحضور الطعام ، ويعين السلطان من شاء من كبار الأمراء لترتيب الناس وإطعامهم الرقاق والشواء والأقراص ذات الجوانب المملوءة بالحلواء ، والأرز والدجاج والسمسوسك... يجلس في صدر سماط الطعام ، القضاة والخطباء والشرفاء والمشايخ ، وأقارب السلطان ، ثم الأمراء وسائر الناس ، كل يجلس في موضع معين ، حيث لا تزاحم البتَة ، وإذا جلس الجميع يأتي (الشربداريّة) السقاة ، وبأيديهم أواني الذهب والفضة مملوءة بالنبات المذاب بالماء ، ويشرب قبل الطعام ، ثم يدعون إلى الأكل بقول «بسم الله» ، ومن العادة أن يجعل أمام كل إنسان من جميع ما يحتوي عليه السماط يأكل فيها وحده ، ولا يأكل مع أحد في صفحة واحدة ، ثم يؤتى بالفقاع [2]. في أكواز القصدير ، ثم التنبول[3] والفوفل، [4] ، فيعطى كل إنسان غرفة من الفوفل المهشوم وخمس عشرة

(1) درويش الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، لا طبعة، 1430/ 2009 ، جزء -2، ص 61-65 .

(2) الفقاع : نوع من الشراب المعدّ من الشعير والعسل والكرّفس والنعناع.

(3) التنبول : أوراق أسمها العلمي (PIPER REETE) بها طعم القرنفل العطرّي تركب وتمضغ مع بعض التوابل

(4) الفوفل : نخيل تكثر زراعته في الهند وسيرلانكا واسمه العلمّي (AREC).

ورقة من التنبول مجموعة ومربوطة بخيط أحمر ، وبعدها ينصرف الحضور ، وهذا السماط يمدّ مرتان في اليوم ظهراً وعصراً [1].

كانت تلك أبرز ملامح الحياة الاجتماعيّة ذات الصلة بالتراث الدينيّ والطقوس والعادات المتّبعة في المناسبات الديّنية منذ قرون في الهند . وسوف نتطرق فيما يلي إلى مراسم وتقاليد الزواج .

جـ - تقاليد ومراسم الزواج

تتجلى مراسم وتقاليد الزواج الهنديّة في عهد بني تغلق ، من خلال وصف مراسم الزواج الخاصة ، حيث أشار ابن بطوطة، إلى «... زواج الأمير سيف الدين من أخت السلطان فيروز خونده ، وقد كان السلطان فيروز شديد المحبة في العرب ، مؤثراً لهم معترفاً بفضلهم ، وأحسن إلى هذا الأمير وأجزل له العطاء من الخيل والفرس ثم زوجه بأخته ،يستمر ابن بطوطة في وصف مراسم الزواج الذي بدت مظاهره ، بإقامة الخيام الكبيرة في أفنية القصر ، فضلاً عن القبب الضخمة فوق كل خيمة ، كما بسطت الخيام بأجمل البسط ، وقدم الرجال المغنون والنساء ، والراقصون من مماليك السلطان ، كما حضر الطباخون والخبازون والشواؤون وأصحاب الحلوى وسقاة الشراب والتنبول ، وذبحت الأنعام والطيور ، وأطعم الناس خمسة عشر يوماً. [2].

تأتي الخواتين قبل الزفاف بليلتين ، من دار السلطان ليلاً إلى القصر ، ويزينّه ويفرشنّه بأحسن الفرش ، ويحضرن الأمير سيف الدين ويجلس على مرتبة معينة

[1] درويش الجويديّ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصّححة ، 1430 / 2009جزء - 2 ، ص 65-66.

[2] درويش الجويديّ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصّححة ، 1430 / 2009جزء - 2 ، ص 76-77

ويضّعن الحناء في يديه ورجليه ، بينما تغني الباقيات ويرقصن حتى الإنصراف إلى قصر الزفاف ، مع بقاء الأمير مع خواص أصحابه [1].

«... ويحضر الزوج مع خواصه في يوم الزفاف ، إلى باب الموضع الذي ستكون فيه الزوجة ، فيجد جماعة من أهلها تمنعه من الدخول حتى يتغلب عليهم ، أو يعطيهم الآلاف من الدنانير ، إن لم يستطع إزاحتهم عن الباب ، فلما قدم الزوج مع أصحابه ، حمل على أهل الزوجة حملة عربيّة صرعوا بها كل من عارضهم ، وهكذا نال إعجاب السلطان الذي علم بالأمر . وأبدى إعجابه بالزوج. ومن ثم يدخل الزوج مكان العروس، حيث تجلس فوق منبر عالٍ مزين بأفخر أنواع الحرير مرصّع بالجواهر ، بينما تحيط بها النساء والمطربات ... ويتقدم منها الزوج ، فيركب فرساً يطأ به الفرش والبسط وتنثر الدنانير عليه وعلى أصحابه، بينما ترفع العروس في محفة [2]. تحمل على الأعناق إلى القصر . كما تبعث العروس في اليوم التالي للزفاف بالثياب والدنانير والدراهم إلى خواص زوجها، ويهب السلطان كل واحد من الخواص الفرس المسرّج والدراهم في صرة من ألف إلى مائتي دينار...» [3].

كانت تلك أبرز مراسم الزواج عند الخاصة ، أما مراسم الزواج عند العامة ، فهي على غرار مراسم الخواص ، إلا أنها تتسم بالبساطة ، وتبدأ حيث يرسل الشاب الراغب في الزواج إلى عائلة العروس ، التي يفضلها أن تكون ذات مال وإمكانات الجهاز ، وإذا تمت الخطبة وحان موعد الزفاف ، يرسل أقرباء الزوجين والأصدقاء هبات بسيطة من المال والطعام لمساعدة الزوجين وأسرتهما. ونجد العامة يقلدون الأمراء والأغنياء

(1) درويش الجويديّ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصّحّحة ، 1430 / 2009جزء - 2 ، ص 77

(2) المحفة : محمل يشبه الهودج تدخله العروس ، وتحمل إلى منزل الزوج.

(3) درويش الجويديّ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصّحّحة ، 1430 / 2009 ، جزء -2 ، ص 78.

ويحذون حذوهم ، كل على قدر استطاعته ، فيتم تزيين البيوت بالبسط والستائر ومختلف أنواع الزينة ، وتصبغ أيدي وأقدام العروس بالحناء ، كما يتّبع تقليد تغلب جماعة الزوج على الزوجة ، فهو دلالة على تحمل الزوج تبعية ومسؤليات الزواج ، كما تقابل العملات الذهبيّة والدنانير عند العامة بالنقود النحاسيّة والبرونزيّة ، التي تنثر على العروسين ، من موضع خروجهما إلى دخولهما منزل الزوجيّة ويتحمّل الزوج نفقات أهل الطرب وغيرهم.

د- زيارة القبور

تبدو عادة زيارة القبور، في الخروج صبيحة اليوم الثالث من دفن الميت وفرش جوانب القبر بالبسط والحرير ، ووضع الزهور فوق القبر ، وتشمل الزهور مجموعة ذات لون أصفر وأبيض ، فضلاً عن الأغصان المثمرة مثل الليمون والنارنج دون نزع ثمارها ، كما تنثر على القبر الفواكه المجففة وجور الهند ، ويجتمع الناس ، حيث يؤتى بالمصاحف ويقرأ القرآن ، ويسمى ذلك اليوم أو التقليد المتّبع «الختمة» حيث يختم القرآن ، وقد يصل عدد الختمات إلى عشر أو أكثر ، فإذا تمت الختمات ، يؤتى بماء الجلاب ، ويسقى الحضور ، ثم يّصب عليهم ماء الورد ، وتوضع نعل الميت فوق متكأ، بعد الانتهاء من مراسم الدفن يعود الناس إلى دار أهل المتوفى فيجدون الطعام جاهزاً ويأكل الجميع ، لاسيما الفقراء...»[1]. وقد منع السلطان فيروزشاه خروج النساء لزيارة القبور ومشاهد الأولياء ، حينما تفشى الأمر ، وتصدى للبدعة وأمر بالقضاء عليها فهو يقول «... من البدع المنكرة الفاشية التي قضينا عليها وشددنا في أمرها زيارة جمّ غفير من المسلمات للقبور ومشاهد الأولياء أيام الأعياد ، والحال أنها محظورة في الشّرع ، فأصدرنا الأمر الملكيّ بمنع النساء من تعاطي هذا المنكر وتعزيز

[1] درويش الجويديّ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصّححة ، 1430 / 2009 ، جزء -2 ، ص 112.

كل من تتجاسر منهن على ركوب هذا المسلك الوعر من بعد ... فمحيت هذه البدعة بفضل من اللـه وتوفيقه ...» [1].

وقد أشار ابن بطوطة إلى وفاة إحدى بناته ، إلى حضور أحد الحجّاب والقاضي وكبار أهل المدينة ، حيث أعدّ القبر ، وأخذ الحضور يقرؤون القرآن ، وحينما فرغوا ، قرأ القاضي رثاء في المتوفاة وشكر السلطان ، ودعا دعاًء حسناً ثم صبت براميل ماء الورد على الناس ، فأديرت أقداح شربة ، النبات، ويذكر عادة إرسال الطعام إلى أهل بيت الميت ، وإهداء النقود والذهب المرصع[2].

لا يزال ما ذكر حول زيارة القبور متّبعاً في الهند بين بعض المسلمين لاسيما في الأعياد ، حيث تنثر الورود والأزهار حول القبور بعد صلاة العيد ، وقبل تبادل التهاني ، فضلاً عن صّب ماء الورد على من يحضر وحول القبر ، كما أن جوانب القبور الأربعة لرجال الدين والصالحين لازالت تفرش بالحرير والبسط ، كما ذكر ابن بطوطة وحتى أن الناظر إليها لا يفرق بين المعبد الهندوسيّ وقبر المسلم ، أما القبور العاديّة فهي دون فرش حالياً ، وإن كانت على شكل مجسّم محدد أحياناً وأمامها شاهد مكتوب عليه اسم المتوفى.

هـ-حيدر أباد ما بين القديم والحديث:

تتميّز مدينة حيدرأباد عاصمة أندرا براديش حالياً ، بأجواء وأساطير ألف ليلة وليلة ، وحكايات السلاطين والمهراجا الذين حكموها، ومن معالمها القصور الفريدة الشّكل والمساكن التابعة للقصور ، ويعود تاريخ المدينة إلى عهد حكام تغلق والنظاميّين الذين تمتعوا بثراء فاحش ، وكانت غرفهم تمتلىء بالمجوهرات والأوراق

(1) درويش الجويديّ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصّححة ، 1430 / 2009 ، جزء -2 ،113.

(2) الّندوي ، تاريخ الدعوة الإسلاميّة في الهند ، لا مطبعة ، لا طبعة ، لا تاريخ جزء -1 ، ص 36-37.

المالية التي كانت تخزّن في المفارش ، لاسيما في قلعة (غولكند) التي اتخذت كحصن لحماية المملكة آنذاك . لا تزال آثار الثراء الفاحش حتى بداية القرن العشرين، بل لا يزال بعض أحفاد المهراجا يعيشون في نفس القصور في ولايات أخرى ، ويدل ما تزخر به القصور من أثاث فاخر، ومرافق وسيارات فارهة ، وغيرها من كنوز لا تقدر بثمن تدل ، على الثراء والبذخ . تنقسم مدينة حيدرأباد إلى قسمين القديم والحديث فهناك حيدر أباد القديمة بمساجدها ، ومزاراتها ، وقلاعها ، وأسواقها العتيقة جداً ذات الطراز العثمانيّ والقاهريّ ، وكذلك المطاعم الشعبيّة التقليديّة ذات الطابع المغوليّ التركيّ . يقابل ذلك حيدر أباد الحديثة ، التي تشتهر بأسواق اللؤلؤ والذهب الحيدر أباديّ ، فضلاً عن أفخم الفنادق والمجمعات الضخمة والشوارع الحديثة والمطاعم العالميّة من شرقيّة وغربيّة ، ومدينة التقّنية العلمية الحديثة ، حيث أصحاب الاقتصاد والتجارة والمؤسّسات العلميّة الحديثة ، تلك المدينة ، معقل من معاقل العلم والحداثة كما هو الحال في دبيّ أو طوكيو وغيرهما من مراكز علميّة وتجاريّة[1].

تشرف حيدرأباد بقسميها على أجمل الشوارع والبحيرات ، مثل بحيرة الأسرار وحسين ساجر وعثمان ساجر وغيرها من سدود وقناطر تفصل بين القسمين القديم والحديث ، وتشتهر المدينة بمعمل صناعة الأفلام الهنديّة والذي يبعد عنها ما يقارب الساعة، إنها مدينة (راموجي سيتي فيلم) حيث بوليوود الهنديّة ، بمختلف الاستديوهات ، ومكاتب التصوير والإخراج ، والمدن المقامة داخلها من هندية تمثل مختلف الولايات فضلاً عن المدن العالميّة.

تضّم مدينة حيدر أباد الكثير من المدارس والمعاهد والجامعات ، ولعل أبرزها الجامعة العثمانيّة والتي تدرس فيها مختلف العلوم والتخصصّات ومنها الإسلاميّة ، والتاريخيّة ، وهناك كلية للغة العربيّة ، حيث تدرس العربيّة ، ويتحدث أساتذتها الفصحى .

[1] أندر هابراديش ، حيدر أباد ، الهند ، فبراير ، 2008 .

تعدّ (جارمينار)[1]. بأسواقها وما حولها روح حيدر أباد التغلقيّة ، يتوسط المسجد القديم ذو الأربع منارات ،السوق القديم ، على شكل بناء مربع ذي ست طبقات ، يصعد إليها من الداخل بسلالم بحيث ترى المدينة بسوقها وطرقاتها وما حولها عن بعد ، كما يوجد بالمدينة مسجد شهير تؤدّى به الصلاة حالياً ، هو مسجد المدينة، تبدو (جارمينار) ، منطقة مكتظة جداً ، حيث تتحرك السيارة ، بطيئاً ، ما بين عربات الركشه ، والدراجات الهوائيّة والناريّة ، فضلاً عن المارة، وعربات بيع الخضروات والفاكهة ، التي تتكدس على شكل تلال وأهرام ، وتقع على جانبيّ الطريق الذي تحول إلى ستة صفوف غير منظمة المحلات التجارية ، والمطاعم التقليديّة ، ومحلات الحلوى ، وحيث يختلط دخان الديزل ، بدخان الشواء ورائحة الأطعمة .

تتميّز (جارمينار) أو شارمينار ، بأسواق مسقوفة لها مداخل ومخارج ، أي بوابات علي شكل مقوس جميل تذكر المشاهد بأسواق البهارات في إسطنبول ، وسوق الحميديّة في دمشق ، وحيّ الحسين بالقاهرة .

يعود التراث الدّيني الأصيل ، في مدينة حيدر أباد ، إلى عدة قرون ، ويرتبط ، بكثير من العادات والتقاليد القديمة ، التي اختفت معالمها من بعض المدن العربية والشرقية ، وتتجلى مظاهر التراث العريق في أبدع صورها في الاحتفال بشهر رمضان ، فالأعلام الإسلاميّة الخضراء ذات النجمة والهلال ، ترفع على المساجد ، والمحلات التجارية في الاسواق ، فضلاً عن تزيين الطرقات والمساجد ، بمصابيح الإنارة التي تضاء طيلة الشهر الكريم ، إلى جانب إصدار تقويم للأذان والإفطار ، والإمساك ، كما أن هناك صفارة عوضاً عن المدفع ، والذي يوجد في مدن أخرى مثل دلهي ، تنطلق الصفارة قبيل أذان الفجر والمغرب، ولابد من تناول التمرات عند الأفطار وهو ضروريّ اتباعاً سنة الرسول صلى اللـه عليه وسلم .

[1] مينار : جار تعني العدد أربعة ، ومينار ، أي المنارة ، فالعبارة المنارات الأربع ، فالكلمة أوردية مزيج بين الهندية والعربيّة .

تزين المدينة وطرقاتها ومحلاتها إعلانات ورقية ، والتي تشير إلى صورة حمل أو ماعز وأحياناً دجاج ، ذلك إشارة إلى وجبة شهية رمضانيّة وهي (الحليم) حيث يعلن عنها كتابة أمام صورة الماعز ، أحياناً بالإنجليزية أو العربيّة أو الأورديّة . ولا تغلق المدينة مطاعمها حتى في شهر رمضان فلا عجب أن بعض سائقي الركشه وسيارات الأجرة قد لا يصومون ، وعذرهم العمل القاسي والجوع وظروف الأسرة ، حيث يبدو بأنهم فهموا تفسير الآية خطأ (ومن كان فيكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) بل إن البعض ليس في نيته التعويض ، قد ينظر البعض طوال الشهر بتلك الحجة ، والبعض يصوم يوماً ويفطر آخر ، لكن ذلك لا يعني وجود المسلمين الحق ، الذين يصومون وسط أقسى الظروف . يشترك المسلمون مع الهندوس ، في إعداد وجبة الحليم، حيث تعد ابتداءً من الخامسة مساءً، والبعض يعدها على عربة خشبيّة وسط الطريق أمام المتاجر ، بحيث يكون معه الموقد التقليديّ ، وملاعق الغرف والقدور ويدق اللحم مع القمح بحيث يكون ناعماً وممتزجاً ببعضه ، ينصح الجميع بتناول الحليم ، المرتبط بشهر رمضان في حيدرأباد ، ومع كون العرض غير مشجّع ، إلا أن هناك الكثير من المطاعم والفروع التي تبيع الحليم ، إذ تتروّاح أعدادها ما بين المائة والمائة والستين فرعاً ، أشهرها وأطيبها (بستة حليم) الذي تعود جذوره إلى بيته الأصليّ في (جار، شارمينار) من حيدر أباد القديمة ، حيث أصول العائلة ومطبخها التقليديّ ، فضلاً عن مطعمين عريقين هما مطعم أدب ، وشدب وغيرهما من المطاعم ذات الواجهات الحديثة ، كما يباع الحليم في محلات أمام الفنادق ، فضلاً عن المطاعم الشعبية العامة[1].

تشبه وجبة الحليم ما يسمى في الخليج العربيّ ، لاسيما البحرين بالـ (هريس) ، إلا أن الحليم يتميّز بوجود لحم الضأن عوضاً عن البقر في الخليج العربيّ ، ويضاف إليه البهارات الهنديّة من الفلفل الأسود وورق الغار والقرفة والقرنفل وجوز الطيب وبهارات أخرى ، مع قليل من الزّيت والبصل المحمر.

---

[1] حيدر أباد ، أندرها براديش ، الهند ، سبتمبر ، 2008م.

تجمع بعض الآراء على أن أصول (الحليم) الثقافة الحيدر أباديّة ، بينما يرى البعض أن أصوله مغوليّة ، بينما هناك من يميّز بين النوعين ، فالحليم ذو الأصول الحيدرأباديّة يقدم مع لحم الضأن ، بينما الحليم المغولي يعد مع الدجاج ويكون أكثر سيولة وليونة ، مما يّرجح أن الحليم حيدر أبادي ، وهو نتاج الاختلاط العربيّ العثمانيّ المغوليّ مع الثقافة الهنديّة.

تتجلى أجمل اللحظات في هذه المدينة العريقة في شهر رمضان وقبيل الإفطار بساعتين ، إذ تبدو على مرأى من البصر في أسواق المدينة وطرقاتها ، وجبات الأفطار، في المطاعم والمطابخ الشعبيّة التقليديّة والحديثة ، وعلى مطابخ متنقلة تشبه عربات بيع الخضار والفواكه وتحضّر أنواع من المشاوي مثل الكباب والتندوريّ فضلاً عن الدجاج والوجبات النباتيّة ، والخبز الهنديّ بمختلف أنواعه ، والسمبوسة المحشو بالخضروات ، إلى جانب البرياني بمختلف أنواعه باللحم والدجاج ، إنه البريانيّ الحيدر أباديّ ، الذي يعّد أيضاً في مطابخ تقليديّة ، تعود أصولها إلى ثلاثة قرون أو أكثر ، ومنها مطعم أدب ، شدب التقليديان ، أما سيد الطعام الرمضانيّ في حيدرأباد فهو (الحليم).

تفرش الطرقات ، أمام عتبات المحلات التجاريّة في الأسواق والتي تتداخل مع الطرق والأحياء، بما يشبه السماط ، أو موائد الطعام ، حيث يفطر الباعة وربما المارون بالسوق مع بعضهم ، ولا تغلق المحلات ولا تنام المدينة ، إلا قبل منتصف الليل أو الفجر ، ترى المسلمين من الباعة تجمعوا حلقات وأمامهم أصناف الحلويات ، والفواكه والخضار . وهم يؤدّون دعاء الإفطار في خشوع وخضوع وفي جو روحانيّ كما يمكن المرور ما بين الأحياء والمداخل إلى السوق، وتجد من يتناول بضع تمرات ويشرب الماء أمام متجره ، ثم يذهب إلى المسجد لأداء الصلاة ، وقد يدعو بعضهم البعض الآخر في الطريق إلى الإفطار ، إنها عادات إسلاميّة عريقة قد يظن البعض ألا يجدها في بلد العجائب ، إلا أن ذلك غير مستحيل في هذا البلد[1].

---

(1) حيدر أباد ، أندرها براديش ، الهند ، سبتمبر ، 2008م.

كما تقام على جانبيّ الطرقات ما يشبه السرادق أو الخيم التي يعدّ فيها الطعام لما بعد الصلاة ، حيث القدور الكبيرة المتنوعة الأحجام والأشكال .

إن من مقومات الجذب السياحي الاهتمام بالمطاعم الشعبية القديمة والتركيز عليها لا سيما من الإعلام، إذ يتم تصويرها وتقديم برامج إعلامية عنها، وبخاصة في رمضان حيث كاميرات القنوات الشهيرة تصور المطاعم التقليدية في إقبال شديد.

تشتهر مدينة حيدر أباد بجو روحانيّ خالص ، وطاقة دينيّة قوية ، تلك المدينة العريقة الضاربة جذورها في التاريخ . حيث الطقوس الرمضانيّة والتقاليد الإسلاميّة ، والمحافظة على التراث والارتباط به ، يبدو ذلك في وجود الكثير من المزارات الدينيّة والمسماة (الدارجاه) أو (الداركاه) وحيث يختلط الإسلام الحق أحياناً بالصوفية المعتدلة ، وأحياناً المبالغ فيها والقريبة من الهندوسيّة والباطنة ، وتتميز مدينة حيدر أباد بوجود مزار لأبي العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عن مزار للشيخ عبد القادر الجيلانيّ ، والذي له مزار في سرينجار كشمير ، تقع على بعد كيلو متر من قلعة غولكندا (مقبرة قطب) أو المقابر السّبعة التي تضّم ، رفاة سبعة من حكام شاهي وتبدو تلك المقبرة روضة غناء خضراء جميلة ، فهي أشبه بالمتنزه والممشى البديع ، تراها من بعد وإن لم تدخلها ، يساورك شعور بالهيبة والرهبة ، حيث الجو الروحانيّ الخفيّ في هذه المدينة العظيمة ، وكذلك مدن ولايات أخرى من الهند

يجد الزائر لاسيما في (جارمينار) عظمة الإسلام وقوته ، وحيث الطابع الدينيّ لا يزال حياً منذ عدة قرون ، في بلد علمانيّ هندوسيّ ، لا سيما أن أهل السِّنة يحافظون على الإسلام، والتراث الدينيّ ، ومعظم العادات والتقاليد ، إذ يكافح المسلمون من أجل الإسلام وسط ظروف قاسية أحياناً . قد تشُعر تلك الأجواء بالطمأنينه والراحة ، فيسمع الزائر أصوات افتقدها ، وهي تردد أناشيد الموالد والمناسبات الدينيّة ، مثل المولد النبوي الشريف والإسراء والمعراج ، ووداع شهر رمضان الكريم ! هل ذلك وهم أم خيال ، هل ذلك الربط بين ذكريات ماضية والحاضر ، علماً بأن الربط في ذلك الحين لم يكن وارداً أو لم يرد تذكر ذلك الصوت وصاحبه ، إلالحظة سماع تلك الأصوات ، ومن ثم التنبه إلى أن الليالي هي مناسبة دينيّة يحُتفل بها ، هي ليلة السابع والعشرين من شهر الصيام المبارك ! والله أعلم ربما هي الطاقة الخفيّة التي

تتميّز بها تلك المدينة الخالدة ، والتى دافع بعض سلاطينها عن الإسلام ، وإن ظلوا طريقة الدفاع أحياناً[1].

وكما وصف ابن بطوطة ليلة العيد ومراسم الاحتفال به ، فإن بعضاً من تلك المراسم والطقوس لا تزال حاضرة، وكأن ابن بطوطة نفسه يشاهد الحدث، تكتظ الطرقات ليلة العيد بالعربات والمارة ولا مجال للسير على الأقدام ، الإنارة والمصابيح تزيين الطرقات والأسواق وتزداد طاقة الشراء في اللحظات الأخيرة . ويخرج المسلمون صبيحة العيد رجالاً وشباباً وأطفالاً.وهم يرتدون الملابس الواسعة البيضاء، التقليديّة والمصنوعة من القطن الخفيف ، وهي قريبة من الزيّ الباكستانيّ ، حيث التصاهر والتقارب والتشابه بين العادات ، يتبادل الناس التهاني وتزدحم المقاهي بالمهنئين ، الذين يحتّسون الشاّي والقهوة ، تبدو الشوارع مزدحمة بوسائل النقل والمواصلات ، لا سيما الدرجات الناريّة التي يصطف عليها ما بين ثلاثة إلى أربعة أشخاص ، أي أسرة تقريباً بمن فيهم الزوجة . تبدو بهجة العيد ونكهته المميّزة في (جارمينار) ولا مجال لمرور سيارات الأجرة ،إلا نادراً ، بينما قدّ يمر أصحاب الأوتوركشه وسط ذلك الازدحام ، إن حالفهم الحظ ، فتُسمع أبواق الدرجات والعربات ، كما تصدر الألحان والأغاني المسجلة ، وباللغة الأورديّة ، من السيارات وغالباً الحافلات الكبيرة التي يستغلها شباب مرح يحتفل بأصوات وهتافات عالية مستقبلاً يوم العيد، وهكذا تنطلق العربات والحافلات من حي إلى حي ومن طريق إلى آخر ، بينما يتجمع شباب أخرون وسط طرقات (جارمينار) على شكل حلقات ، وهم يرقصون ويصفقون مُطلقين المفرقعات العالية الأصوات ، ويشارك الهندوس المسلمين الفرحة بالعيد ويهنئونهم ، ولا عجب أن نافسوهم الاحتفال ، فهناك بعض من المناسبات الهندوسية تحدث في نفس اليوم[2].

---

(1) أندرها براديش ، حيدر أباد ، الهند ، سبتمبر ، 2008.

(2) أندرها براديش ، حيدر أباد ، الهند ، سبتمبر ، 2008.

تجد ما بين الأحياء ، من يتجه لزيارة المقابر وبيده الزهور وماء الورد ، ويمر الجيران على بعضهم لتبادل التهاني ، كما تفوح من الأحياء روائح مخلفات، وبقايا ما نحر من ذبائح .

تعد حلوى العيد ، في هذا اليوم ويوزّع البعض النقود ، كما تعدّ وجبة العيد الرئيسيّة في البيوت والمطاعم ، إنها البريانيّ الحيدر أباديّ الشهيرة وغيرها من أطباق يغيب عن المشاهد ذكرها والكثير من الجزئيات، إذ لا يمكن إجمال الاحتفال بالعيد خلال ساعتين ، وقد لا تعين الظروف على تتبع ذلك ، ومما يتطابق مع وصف ابن بطوطة أو يقاربه ، سماع أصوات تشبه دق الهاون مساء أول يوم في العيد ، كما تسمع أصوات فتيات صغيرات يطفن الحيّ، مرددات (لا إله إلا الله محمد رسول الله) مع الدقّ في الهاون ، وهن يحملن صوانٍ نحاسيّة أو ذهبيّة ، وعليها شموع وربما ماء الورد أو أنواع من العطور.

هكذا نتبين جزءًا من الاحتفال الرسّمي بالعيد ، إذ تمنح حكومات الولايات المسلمين إجازة يوم من أيام العيد ، الثلاثة ، بينما يحتفل المسلمون بباقي الأيام ، بتبادل التهاني ، وزيارة الأقارب والأصدقاء ، ولعل القيام بنزهات خارج المدن ، وهو ما يفضله معظم الهنود سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ، حيث البساتين والمتنزهات الخضراء ، كما يلاحظ أن بعض المحلات التجاريّة تكون مغلقة في اليوم التالي ، وقد تفتح في ساعات متأخرة من النهار .

لا تزال أسواق مدينة حيدر أباد ، وكذلك سائر المدن والعواصم ، تزخر في أقسام منها بالسّلع وأدوات الزينة ، فضلاً عن الأقمشة بمختلف أنواعها ، إلى جانب المواد الغذائيّة من خضروات وفواكه وأرز وقمح وسكّر وغيرها من حبوب وبهارات وتوابل ، كما تعلق لحوم الضأن والماعز ، والدجاج ، في محل الجزارة ويباع الدجاج غالباً حياً ، إذ يكدس في أقفاص كبيرة ويكون متراصاً فوق الرفوف المعّدة ، ولا عجب أن ترى دجاجة تتجول بالطريق السريع حائرة، أو كأنها ترقد على البيض فوق أرض الطريق ، ذلك بسبب أنها وقعت خطأ من باب القفص الذي لم يحكم إغلاقه حين حمله في عربة النقل . تعد القوة الشرائية كبيرة في الهند ، حيث الازدحام الشديد في الأسواق ، لاسيما الأقسام القديمة من المدن ، مع كون البعض وبخاصة في القرى

يعد الحبوب والتوابل وبعض الأطعمة منزلياً حيث يتمّ تخزينها ، ويلاحظ أن الأسعار في متناول الجميع ، إذ تقنن من الجهات الرسميّة ووفقاً للمستوى المعيشيّ[1].

ويجيء ذلك مطابقاً لما ذكره ابن بطوطة بأن الأسواق كانت تعّج بالأطعمة والأشربة الجاهزة كالشواء والأرز والحلوى المتنوعة على خمسة وستين نوعاً . مما يدل على خصوبة الأرض ، وأن بلادهم كريمة طيبة التربة ، إذ يزرع الأرز ثلاث مرات في السنة والسمسم وقصب السّكر مع الحبوب الخريفيّة ، كما أشار في معرض حديثه عن البنغال قائلا: «... وهي بلاد متسّقة كثيرة الأرز ، ولم أر في الدنيا أرخص أسعاراً منها ... رأيت االأرز يباع في أسواقها خمسة عشر رطلاً بدينار فضّي ، والدينار ، الفّضي هو ثمانية دراهم ... وحدثني محمد المصمودي المغربيّ . وكان من الصالحين ، أنه كانت له زوجة وخادم ، فكان يشتري قوت ثلاثتهم في السنة بثمانية دراهم .... ورأيت البقرة تباع بها للحليب بثلاثة دنانير فضّية ، وبقرهم الجواميس ، ورأيت الدجاج والسمّان تباع بحساب ثمانيّ بدرهم واحد ، وفراخ الحمام يباع خمسة عشر منها بدرهم ...» [2].

ويعّد ترتيب الزواج من الجوانب الاجتماعيّة التقليديّة حيث يرتب للزواج في أنحاء كثيرة من الهند ، ذلك بين المسلمين ، وغير المسلمين من هندوس ومسيحين ، وقد يقدّم أحدهم المهر وفقاً للسنّة النبوية أي ما يعادل ربع الدينار ، بينما يزيد بعضهم المهر حسب أوصاف العروس وجمالها ، ذلك يحدث بين العائلات المسلمة أحياناً ، كما تتميّز الزيجات المرتب لها لاسيما بين المسلمين بالنجاح، تتم بعد الخطبة إجراءات وطقوس الزواج ، والتي يرافقها ، الرقص والغناء ، والإعداد المسبق لأزياء الزفاف للعروسين ، وتعّد أيام الزواج الولائم، وقد تصل إلى ثلاثة أيام أو أكثر حسب

---

(1) أندرها براديش ، حيدر أباد ، الهند ، سبتمبر ، 2008.

(2) درويش الجويديّ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ ، طبعة مصّححة ، 1430 / 2009 ، جزء -2 ، ص 204 - 207 .

حال الأسرة ويتم وضع الحناء للعروسين، فضلاً عن زينة الوجه والتي توضع في بعض القرى للزوج.

وتقام سرادق لتهنئة الزوج ، حيث تنصب في ساحة كبيرة ، ويّزف الزوج في طرقات الحيّ على أصوات دقات الطبول والأغاني والتصفيق ، ويحدث ذلك في المساء مرة ، وظهراً مرة أخرى ،

لقد تناولنا فيما تقّدم أهم معاقل التراث الإسلاميّ وبعض مظاهر احتفالات المسلمين ومراسمها بين القديم والحديث من خلال نموذج واحد ، وهو مدينة حيدرأباد . وسوف نلقي الضوء فيما يلي على أهم معاقل العلم والتراث الإسلاميّ ، ونموذجه مدينة (بهوبال) في مادهيا براديش.

2- أبرز معاقل التراث الإسلاميّ العلميّ في الهند

أ - صلة العلماء المسلمين بالإسلام والعربيّة:

تعّد الصّلة وثيقة بين الإسلام والعربيّة ، فهي مستودع أسرار دقائقه ، وأيّ انفصال بين المسلم والعربيّة يعني انفصاله عن الإسلام ، والسبيل الأساسّي لبناء المسلم الحق هو إتقانه لغة الإسلام الرسميّة ، أي العربيّة. إن فهم الكتاب والسنّة فرض ومالايفهم الواجب إلابه فهو واجب ، لقد وعى مسلمو الهند هذه الحقيقة منذ دخول الإسلام هذة الديار النائية عن الأراضي المقدسة وحافظوا على الإسلام حفاظهم على حياتهم . واهتم العلماء الإجلاء والمسلمون في الهند باللغة العربيّة وخدموها بطرق شتّى مع كونها غير رسميّة . عندما انتهت سلطة المسلمين السياسيّة وسط القرن التاسع عشر بالهند ، وواجه المسلمون مسألة الحفاظ على دينهم ، كان الحلّ التوجه إلى فتح المدارس طول البلاد وعرضها مضّحين بالغالي ، حيث كان العلماء يدرسّون دون راتب ، أو القليل منه . وضّحى الطلاب بالمهن الرسميّة المرموقة . إذ درسوا العلوم الدّينية التيِ لا توفر لهم بعد التخرج الوظيفة الجيدة حسبة لله تعالى ، ويعود السبّب في بقاء الإسلام والعربيّة في الهند إلى عشرات الألوف من المدارس التي قدمت الخدمات الجليلة [1].

[1] مادهيا براديش ، بوبال، الهند، اكتوبر، نوفمبر، 2007

كانت المدارس الإسلاميّة في الهند تأخذ بالمنهج التعليميّ الجامد الذي لا يساير الزمن ، مما دعا إلى إصلاح المنهج التعليميّ وإدخال العلوم العصرّية الحديثة، فكانت حركة ندوة العلماء بقيادة شبلي النعمانيّ ، صاحب الرّد على مصنفات جورجّي زيدان ، وحركة ندوة العلماء ودار علومها التابعة لها مدت جسراً بين الثقافة الإسلامّية والعربّية ، مما قرب بين علماء الدين والمثقفين العصّريين ، فجمعت بين القديم الصالح والجديد المفيد وبين التشّدد في الأصول والمرونة في الفروع .

وقد عقدت جمعية الندوة في السّنة الحادية عشر من القرن الرابع عشر الهجرىّ جلسة لكبار علماء الإسلام ، في شبه القارة الهنديّة ، للتشاور في أوضاع المسلمين حينما اشتدت وطأة الاستعمار عليهم ، فضلاً عن بريق المدنيّة الغربيّة ، التي أبهرت عيون السّذج والطبقة المتعلمة منهم ، وكانت أبرز أهداف علماء الدين ، خدمة الفكر الإسلاميّ وتطويره لمواجهة الأوضاع الجديدة وإصلاح المناهج التعليميّة بحيث تسّد حاجات الأمة الإسلاميّة بما يناسب الحداثة مما يجمع كلمة المسلمين وينسيهم الخلافات [1].

هكذا نتبين حال المسلمين في الهند وأوضاعهم ، فهم يحافظون على الإسلام بكل ما يستطيعون ، ويعضوّن عليه بالنواجذ ، دون مطامع في مناصب عليا ،كما أن الحضارة الحديثة ، لا تجذبهم إليها ، إلا بقدر ما يفيد الإسلام . قد يعجب المرء من قوة الإسلام في الهند ، ومن حماية المسلمين له ودفاعهم عنه وسط أشّد الظروف قسوة، ومنها الظروف الاقتصاديّة ، والثقافيّة بخاصة أن الهند دولة علمانيّة ، والأغلبية بها هندوسيّة ، إلا أن المسلمين الحقّ يسايرون الأوضاع ويحاولون التغلب على الصعاب ، دون كلل أو ملل ، فالمدارس قد تكون قديمة جداً أو متواضعة ، فضلاً عما يواجهه المسلمون في بعض الولايات في المدارس المشتركة ما بين المسلمين والهندوس ، إلا أن مراكز تحفيظ القرآن ، ودراسة العلوم الدينّية ، تتواجد حتى في القرى النائية ، وتقدم العلوم لتلاميذها وطلابها في ساعات إضافيّة مسائيّة ، أو أيام العطل .

---

[1] محمد حسّان خان ، دار العلوم تاج المساجد بهوبال ،بهوبال، مطبعة محمد سعيد المجدّدي ، لا طبعة ، لا تاريخ ، جزء -1، ص 6-10.

إن أبرز المدارس والمعاهد وهو قديم جداً وشهرته تتجاوز حدود الهند ، والنموذج الـدال عـلى ذلك هو ، دار العلوم (بديوبند)، ودار العلوم لندوة العلماء ، ومنها ما هو أقل شهرة مثل جامعة عمـر أباد دار السلام والجامعة السلفيّة بنبارس ، ودار تـاج المـساجد بهوبـال ، فـضلاً عـن المـدارس الثانويـة والإعداديّة والابتدائيّة وهي كثيرة لا تعّد ولا تحصى[1].

ب- مدينة بهوبال وتاريخها وأهم مساجدها:

كانت بهوبال قبل استقلال الهنـد ، إمـارة إسـلاميّة ، وهـي ولايـة وطنيـة مـن ملـوى في الهنـد حكمها كان وطنياً تحت حماية بريطانية وسيطر عليهـا محمـد خـان الأفغـاني 1723 ثـم سـيطر عليهـا الإنجليز 1818، اشتهرت بهوبال بدور هام في مجال الدين والعلم وخدمة الثقافة الإسلاميّة ، ولعل أبرز معاقل الثقافة الإسلاميّة بهذه المدينة آنذاك ، دار للقضاء الشرعيّ وإدارة للمساجد وللأوقاف ومـدارس دينّية لتدريس الفقه الدينيّ وحفظ القرآن وقسم للتأليف والنّشر ومطبعة حكوميّـة . وكانـت الإمـارة تنفق عليها من ميزانيتها . وقد امتازت الشعائر الإسلاميّة بالازدهار، حيث راية الإسلام عالية.

وقد حكمت إمارة بهوبال الأميرة المؤمنه شاه جيهان بيغم (1868-1901) ، وامتازت الإمـارة في عهد الأميرة بكثرة المدارس والمعاهد والجوامع . لا سيما أن وزيرهـا كـان محبـاً للعلـم والعلـماء ، وهـو الشيخ جمال الدين الذي عرفه الشرق والغرب واعتُرف بنبوغه وفضله.

كما يعّد الإمام الشيخ حسين بن محـسن الأنـصاريّ الخزرمـيّ الـيمانيّ ممـن سـاهم في ازدهـار بهوبال الإسلاميّ العلميّ ، إذ نشر علوم الحديث في الهند ، وقـد تّتلمـذ في عهـد علـماء الهنـد آنـذاك ، فنُشرت الكتب الهامة مثل (الفتح الباري لشرح البخاريّ) للعلامة ابن حجر ، وتفسير ابن كثير [2].

[1] مادهيا براديش ، بوبال، الهند، أكتوبر، نوفمبر، 2007

[2] محمد حسّان خان ، دار العلوم تاج المساجد بهوبال ،بهوبال، مطبعة محمد سعيد المجدّدي ، لا طبعـة ، لا تـاريخ ، جزء -1، ص 6-7

وقد شيّدت الأميرة شاه جيهان بيغم مسجد تاج المساجد الضخم في 28 محرم 1305 هـ 1887م ، ويّعد هذا الجامع من أكبر جوامع العالم الإسلاميّ ، وأوسع المساجد في الهند، وهو يشبه جامع دلهي الشهير (مسجد الجمعة) ويتألف هذا المسجد من ثلاثة أدوار، حيث أنفقت الأميرة مليون روبية على بنائه الذي استمر أربعة عشر عاماً ويقّدر المهندسون كلفة البناء حالياً بخمسين مليون روبيّة هنديّة.

انضمت إمارة بهوبال بعد استقلال الهند كسائر الإمارات الإسلاميّة إلى حكومة الهند المركزية 1949، فأُلغي القضاء والإفتاء ولفظت المدارس الإسلاميّة أنفاسها مثل الجامعة الأحمديّة والسليمانيّة . وتحمّل المسلمون في بهوبال العبء ، ولم يكونوا حديثيّ العهد بهذا الوضع ، منذ تأسيس الإمارة 1725م . وأصبح الأساتذة بلا عمل في الجامعتين وكان الطلاب في حيرة من المستقبل

كان فضيلة الشيخ محمد عمران الندوىّ الأزهريّ آنذاك من أجّل علماء بهوبال ، إذ حفظ القرآن وتعلم بندوة العلماء ، مظهراً النبوغ العلميّ والمهارة في إدارة الأعمال بنظام ، وقد تخرج من ندوة العلماء 1351 هـ بامتياز وعُين أستاذ للحديث والتفسير ثم سافر إلى مصر حيث التحق 1939للميلاد بالأزهر الشريف، فنال شهادة التّخصص مع إجازة الدعوة 1358هـ 1939م وكان والده مدير الإدارة للمساجد والأوقاف بإمارة بهوبال ، وجّده من كبار العلماء ، وقد عرفت أسرته بالجاه والعلم

وحينما عاد الشّيخ محمد عمران من مصر ، عين أستاذاً لعلوم القرآن والحديث ونائباً لعميد دار العلوم التابعة لندوة العلماء 1940للميلاد وبقي على هذا المنصب حتى 1958للميلاد ، وازدهرت في عهده دار العلوم ، كان من أنبغ طلابه العلامة سيّد سليمان النّدوي ، بعد استقالة الشّيخ محمد عمران من ندوة العلماء عاد إلى بهوبال . حيث قاد أهل مدينته وسط أسوأ الصعاب ، فأسّس مدرسة دينيّة في أضخم مسجد بمدينة بهوبال ، وبعد ذلك أكمل بناء المسجد تاج المساجد ، الذي لم يكمل بناؤه بعد وفاة الملكة بيغم ، وتوفي الشيخ محمد عمران النّدوي 1986[1].

[1] محمد حسّان خان ، دار العلوم تاج المساجد بهوبال ،بهوبال، مطبعة محمد سعيد المجدّدي ، لا طبعة ، لا تاريخ ، جزء -1، ص 7-8.

جـ - تأسيس دار العلوم :

استقال الشّيخ محمد عمران من عمادة دار العلوم لندوة العلماء ، حيث كـان في بهوبـال عنـد استقلال الهند في 15 أغسطس 1947، وبعد انضمام إمارة بهوبال إلى الجمهوريّة الهنديّـة ذات التّوجـه الديمقراطيّ العلمانيّ ، بدأ توقـف الأعـمال الإسـلاميّة ، ومواجهـة المـسلمين في بهوبـال للخطـر الـدينيّ والثقـافيّ ، ودون مـساعد أو معـين بحيـث تعطلـت الجامعـات والمعاهـد الإسـلامّية وأغلقـت المطـابع والمدارس الدينيّة ، ولم يكن المسلمون آنذاك قد اعتادوا التبرع للأعمال الإسلاميّة الخيريّة.

تناقش الشّيخ عمران مع سليمان النّدوي الذي كان مقيماً في بهوبال ، وتّقرر إنشاء مركز دينـيّ إسلاميّ مهمته تخريج علماء أكفاء ودعـاة حـق يتولـون التوجيـه الـدينيّ والتربيـة الإسـلاميّة للـشعب المسلم في بهوبال وما جاورها من المدن والأقاليم ، مما يخفف وطأة الخسارة التي منيت بهـا بهوبـال ، فضلاً عن أن مدينة بهوبال تقع بين قسميّ الهند أي في الوسط مما يجعلهـا همـزة وصـل بـين مـدارس الشمال الدينّية ومسلمّي الجنوب[1].

افتتحت دار العلوم بهوبال في حيّ مسجد شكورخان بهوبال بداية 1950على يد الشيخ محمـد عمران النّدوي ، ثم انتقلت دار العلوم إلى تاج المساجد في يوليو 1950م 1369هـ ، وهي فـرع لنـدوة العلماء روحاً ومنهجاً ، لنشر أفكارها وسط الهند ، إلا أنها مستقلة مالياً وإدارياً وتعتمـد عـلى تبرعـات المسلمين العامة ، ومساهمات الأغنياء منهم ، دون اعتماد على حكومة أو حزب ، حفاظـاً عـلى الحريـة في السياسة التعليميّة والتربويّة والفكريّة وأهدافها الإسلاميّة . بلغ طلابها سبعمائة طالب ، داخل سكن الجامعة 1999-1998 ، وأربعمائة خارج الجامعة ، وتجاوز عدد الأساتذة والإداريين الستين شخصاً[2].

---

[1] محمد حسّان خان ، دار العلوم تاج المساجد بهوبال ،بهوبال، مطبعة محمد سعيد المجدّدي ، لا طبعـة ، لا تـاريخ ، جزء -1، ص 9

[2] محمد حسّان خان ، دار العلوم تاج المساجد بهوبال ،بهوبال، مطبعة محمد سعيد المجدّدي ، لا طبعـة ، لا تـاريخ ، جزء -1، ص 10.

د- فروع دار العلوم :

وصل عدد فروع دار العلوم خمساً وثلاثين فرعاً افتتحت 1998 في أنحاء بهوبال وضواحيها والقرى المجاورة ، ويدرس فيها الطلاب العلوم الابتدائية وحفظ القرآن ، ثم يقُبلون في دار العلوم لنشر الأفكار الإسلاميّة بين الشعب ، وتقع دار العلوم في تاج المساجد ، الذي كان تابعاً لأوقاف إمارة بهوبال ، وقد تولى إدارتها الشّيخ محمد عمران وبناء على طلبه بعد استقلال الهند حيث أدار فروع الدار من الفصول الإدارية وغيرها من أقسام .

وقد ضمّت الدار إليها الميدان الجنوبيّ والشماليّ ، حيث حصلت عليها بعد قضاياً مع الحكومة ، ذلك مقابل رسوم رمزية قابلة للتجديد وفقاً لفترة زمنيّة محددة ، وقد حول الميدان إلى متاجر وهيِ سوق ضخمة مكتظة ومصدر لتمويل الدار كي تؤدي رسالتها ، وأقيم على الميدان الشماليّ سكناً للطلاب ، كما أقيم سكن آخر للطلاب فوق الميدان الغربيّ

تحتوي دار العلوم مكتبة العلامة سليمان النّدوي وهي تضم عشرين ألف كتاب ، كما يوجد بها نفائس الكتب النادرة وماله أهمية تاريخيّة وفنّية خاصة ، معظم كتب المكتبة باللغة العربية ثم الأوردية ، والفارسيّة ، والإنجليّزية ، وموضوعاتها أدبيّة وفكرّية وعلّمية ، وهي من أهم مكتبات العلوم الإسلاميّة في وسط الهند إذ ينهل منها العلماء والدارسون والباحثون من أنحاء مادهيابراديش الوسطى، ولازالت تحتاج إلى الكتب العلّمية والمراجع الإسلاميّة الدينيّة في الجامعات والمعاهد العربيّة [1].

---

[1] محمد حسّان خان ، دار العلوم تاج المساجد بهوبال ،بهوبال، مطبعة محمد سعيد المجدّدي ، لا طبعة ، لا تاريخ ، جزء -1، ص 10-12.

هـ- مراحل التعليم في دار العلوم ، أهم الأقسام والمشاريع:

يبدأ التعليم بالمرحلة الابتدائيّة ثم الثانويّة ، ومدته اثنتا عشر سنة ، يدرس الطلاب في المرحلة الابتدائيّة التوحيد وأحكام الدين العامة واللغة الأورديّة وقراءة الألفاظ العربيّة والحساب ، كما يدرس الطلاب في السنة الابتدائيّة الثانية وحتى السادسة المعلومات الدينيّة ، وقراءة القرآن الكريم وحفظ جزء منه وتجويده وتلاوته ، ودراسة سيرة الرسول صلى اللـه عليه وسلم ، وقصص الأنبياء واللغة الأورديّة ، والحساب ، ومعلومات علميّة وجغرافيّة عامة ، فضلاً عن الرياضة والصحة البدنيّة ، واللغة الهنديّة كما تضاف إلى المرحلة الثانوية الدينيّة ، اللغة الإنجليزيّة والعربيّة من قواعد ونحو وصرف ، فضلاً عن مبادىء العلوم الكونيّة والكيماويّة والإنسانيّة ، وكي لا يثقل على الطلاب تحذف في المرحلة الثانويّة اللغة الهنديّة ، بينما تدرس اللغة العربيّة فترات أطول من اللغات الأخرى.

وتدرّس في كلية الدراسات الإسلاميّة ولمدة أربع سنوات ، علوم التوحيد والعقيدة والتفسير وأصوله والحديث وعلومه والفقه وأصوله والأدب العربيّ نثره وشعره ، فضلاً عن النحو والصرف والبلاغة والتعبير والمطالعة الدينيّة وتاريخ الأدب العربي والنقد الأدبي والمنطق والفلسفة وعلم الفرائض وتراجم إسلامية والتاريخ والجغرافّية الإسلاميّة ، والمعارف العلمّية واللغة الإنجليزيّة ، والاجتماع والحضارة الإسلاميّة [1].

ويوجد في دار العلوم قسم ، لتحفيظ القرآن وتجويده ، ومدة الدراسة ثلاث سنوات ، وتهتم دار العلوم بمسائل المسلمين وسط الهند وجنوبها بحيث يجيب على المسائل أساتذة في الفقه والإفتاء في مسائل شرعّية وقضائّية .

ويمارس الطلاب في دار العلوم أنشطة ثقافيّة وفكريّة ، حيث يوجد ناد عربي ، وأعضاؤه من الطلبة المتميّزين في اللغة العربيّة وآدابها ، ولهم أنشطة تحت إشراف

---

[1] محمد حسّان خان ، دار العلوم تاج المساجد بهوبال ،بهوبال، مطبعة محمد سعيد المجدّدي ، لا طبعة ، لا تاريخ ، جزء -1، ص 13-14

أساتذة الأدب العربيّ بدار العلوم ، وتبدوأبرز أهداف النادي العرّبي ، إحياء الوعيّ العلميّ والفكريّ عن طريق البرامج الخطابيّة وتحرير المقالات ، كما يمارس الطلاب أنشطة رياضيّة مثل الهوكي والكركيت وكرة الطائرة والتنس ، في ساحة الألعاب بالدار.

وتقدم دار العلوم مشروعات متنوعة طموحة ، منها ما يقدم خدمات جليلة في مجال التربية والتعليم ، حيث تخرج منها حتى 1987 الألف طالب ، وأكمل البعض دراسته في الأزهر الشريف وبعض الجامعات العربيّة ، وقد وجد بعضهم وظائف مرموقة في البلاد العربية ، إلا أن بعضاً منهم قد عاد إلى الهند لخدمة الإسلام والمسلمين ، فضلاً عن حفظ القرآن ونشر الشريعة في ربوع القارة الهنديّة عامة وجنوب الهند خاصة ، فقد فتح بعضهم المدارس الإسلاميّة وساهم في نشر العلم ، لاسيما في رمضان ، حيث يتدارس القرآن ، ويشترك في التوعية الدينيّة ويؤم بعضهم صلاة التراويح .

ويطمح المشرفون على إدارة دار العلوم ، إلى إكمال بناء المسجد بعد توقف بنائه بوفاة الأميرة جيهان بيغم ، وما حدث من تطوارات سياسيّة بعد الاستقلال ، حيث عمل الشيخ محمد عمران الندويّ الأزهريّ وزملاؤه الذين تربوا على يديه على إتمام بناء المسجد الذي يشبه الأزهر في عظمته وسعته ، فأجريت عدة إصلاحات منها تشيّيد الغرف الخاوية ، ورفع منارة المسجد وترميم فنائه ، وتغطية ثلث صحنه بالحجارة ، وغيرها من إصلاحات ، وأكمل بناء المسجد 1969 بمساعدة الشخصّيات الإسلاميّة في الهند والعالم الإسلاميّ ولا يزال المسجد يفتقر إلى إكمال أجزاء أخرى وإضافات الأثاث كالسجاد والستائر [1].

وهكذا عم الوعي الثقافيّ والدينيّ وسط الهند ، وبخاصة مادهيابراديش ، وتنوي دار العلوم البدء بمشروع ثقاّفي للكبار وفق الثقافة الإسلامّية ومنهج الدراسة مدته

[1] مادهيا براديش، بوبال، الهند، أكتوبر، نوفمبر، 2007.

ثلاث سنوات ويؤهل الدارسين لنيل الإجازة العالمية ويلتحق بهذا القسم المتخرجون من التعليم المدني وممن لديهم شهادة الثانوية العامة والليسانس والماجستير ، والدراسات المعاصرة وتربط دار العلوم علاقات ذات نطاق واسع بجميع المعاهد والمراكز الإسلامّية في الهند ، وعلاقة دار العلوم تاج المساجد ، ودار العلوم التابعة لندوة العلماء علاقة وثيقة ، فمؤسّس دار العلوم الشيخ محمد عمران الندوّي من أبرز رجالات ندوة العلماء فهو متخرج منها ، وعمل في خدمتها عشرين عاماً ، وترتبط دار العلوم بالأزهر الشريف ، فمؤسسها متخرج منه ، فضلاً عن مجموعة أخرى من أساتذة الدار ، ويعترف الأزهر الشريف الآن بشهادة دار العلوم ، إذ يستطيع المتخرجون في دار العلوم مواصلة دراستهم في الأزهر الشريف[1].

لقد ركزنا على دار العلوم تاج المساجد كنموذج لبيان معاقل التراث الإسلاميّ من مساجد ومدارس ومعاهد ودورها في المحافظة على الإسلام النقيّ الخالص من الشوائب والاهتمام بلغة القرآن ، اللغة العربيّة ، ومواجهة التحديات التي قد تعيق اللغة من جمود وتقليد ، وعصرنة وحداثة ، ومحاولة التوفيق بين القديم والحديث دون طغيان على روح الإسلام ، حسب التمسك بأصول الشريعة وحفظ القرآن والسنة النبوية الشريفة ، دون تغليب الهوى والطمع .

[1] مادهيا براديش، بوبال، الهند، اكتوبر، نوفمبر، 2007.

الفصل الرابع

أبرز معاقل التراث الهندوسيّ

1- معاقل الهندوسيّة في الجنوب

تعد التاميلنادو معقل الهندوسيّة في جنوب الهند ،وبها أهم المدن التي توجد بها الهياكل والمعابد الهندوسيّة ، التي تتميز بغريب الطقوس والتقاليد الهندوسيّة .

أ- ماديورايا ، أهميتها الدينيّة .

تستغرق الطريق إلى ماديورايا من كوديكانال 120كلم ، نحو أربع ساعات بالسيارة ، تتخللها المناظر الجميلة ، فالحقول الخضراء تنّم عن خصوبة الأرض وترعى بها المواشي من أغنام وجواميس على شكل قطعان ولا غرابة أن تشارك وسائل النقل الأخرى في إيقاف حركة المرور أو تحريكها ، وتبدو على امتداد البصر أشجار الكاجو التي تشتهر بها القرى القريبة من ماديورايا ، ويمكن مشاهدة أكوام من الكاجو المعّد على شكل أهرام على قطعة قماش أو خيش بالية ، وتحيط الحقول والبساتين بالبيوت الطينيّة أو الخشبيّة المعروشة بسعف النخل وجذوع الشجر ، بينما يمارس الأهالي حياتهم المعتادة فمنهم من يغسل الثياب والأواني عند جداول البحيرات ، وهناك من يرعى الأغنام ، والبعض يستفيد من أجزاء عديدة من النبات ، فالهنود ماهرون بصورة خاصة في ذلك ، فالنباتات التي لا تستعمل لغذاء البشر ، قد تكون علفاً للحيوانات ، إذ يعّد العلف من بقايا سنابل الأرز والقمح وغيرها ، ويجفف ليقدم للماشية ، يستخدم زيت جوز الهند للطهي، كما تستخدم الألياف لصناعة السجاد والحبال، بينما تستخدم القشرة الخارجية الصلبة للثمرة في عمل منتجات يدويّة مثل حمالات الشموع ، والسلال الصغيرة ، كما أنها تستخدم في تنسيق الحقول والحدائق والمتنزهات ، إذ توضع كسياج أو سور حول الأشجار والزهور في أشكال هندسيّة جذابة وجميلة .

تعّد مدينة ماديورايا من المدن العالميّة القديمة ، كما أنها مدينة ناشطة ، وثاني أكبر مدن التاميلنادو بعد مدراس (شيناي) العاصمة ، ويقال أن ماديورايا تعني مملكة العسل ، لا تزال مادورايا أو ماديوراي ، مستأمنة على حضارة التاميل حالياً ، ونشاط

المدينة يبدو في محيط أحد عشر مزاراً شاهقاً في الهيكل الكبير الذي تعود هندسته الحالية إلى القرن السابع عشر ، ويقع مزار شيفا في مكان مجاور ، حيث تقام المهرجانات في مادورايا في شهر إبريل ومايو حيث المصالحة الكبرى مع الهنود الآريين.

يسير الزائرون الهندوس على الأقدام ، مقدّمين الجوز الهنديّ والفاكهة كما يقذفون بكريات صغيرة من الزبدة على تماثيل شيفا المدهونة باللون الأسود وهذا ما يمكن ملاحظته في مدينة تيراننتابورم ، عاصمة كيرلا ، إذ يوجد وسط المدينة ، معبد هندوسيّ ، تصطف بالقرب منه ، وعلى طريق رئيسيّ ، مجموعة من النسوة ، أمامهن كميات من جوز الهند المصفوفة على شكل هرم ، حيث يبقى الجوز الذي يكسّر أمام التمثال ،«المذبح» ويعتقد أن ذلك يجلب الحظ والبركة.

مما يدل على أن هذه المدينة ناشطة أنها تعج بالخياطين ، وصانعي المعادن والحرفييّن ، فضلاً عن باعة السّجاد والتحف والمجوهرات من كشمير ، إلى جانب المطاعم الشعبيّة والمتاجر التقليديّة[1].

تبدو أهم معالم ماديورايا بوجود قصر ملكّي قديم بناه أحد ملوك الهندوس وهو بناء فخم ، أرضه وأعمدته من رخام ، وبه قاعات فخمة للاجتماع وحفلات الرقص ، فضلاً عن الساحات التي تزينها نافورات المياه والرسوم والنقوش الهندوسيّة، كما يوجد بالبلدة متحف للمهاتما (غاندي) والذي يضّم الوثائق الرسميّة الدالة على كفاح غاندي ومسيرته الطويلة لنيل الاستقلال ، وأنشطة أخرى توضح مطالب الزعيم في الحصول على حقوق بلاده ، كما يضّم المتحف الملابس والأقلام وغيرها من أدوات كان يستخدمها الزعيم في كفاحه ، وأبرزها الرداء الملطّخ بالدم ، والذي يبدو أنه كان يرتديه عندما قتل.

ب - تنجور ، أهم معابدها

تعّد تنجور التي تبعد عن مدارس شيناي 180 ميلاً ، من معاقل الهندوسيّة ، وهي ذات سطح خصيب بها قلعتان ، الكبرى محيطها أربعة أميال وهي منيعة وبها

[1] كيرلا، تيراننتا بورام، الهند، يوليو، 2010.

قصر الراجه ، من صناعتها المنسوجات الحريريّة والقطنيّة ، بنيت تنجور عام 1400م ثم أصبحت قاعدة لإمارة هنديّة باسمها ، استولى عليها المهراته في القرن السابع عشر ثم الإنجليز في القرن التاسع عشر.

عرفت تنجور بأنها بريطانيّة ، إلا أنها نشرت حضارة التاميل إلى الصين وجنوب شرقيّ آسيا ، فالنقوش الفنيّة والهندسة المعماريّة تشبه هياكل كمبوديا في تايلند وجزيرة جاوه بأندونيسيا ، وتعود الهياكل والمعابد في تنجور إلى القرن الحادي عشر ، فالهندسة المعماريّة تؤكد مزار (فيمانا) الذي يتضّمن الهرم الضخم القائم على ثلاثة عشر دولاباً ، والبالغ ارتفاعه 66 متراً ، كما بني نانـدي الثور العائد لشيفا ، وفقاً للمقياس الضخم ، إذ يعتقد أنه الأضخم في الهند[1].

يزور الهندوس هذا المعبد الضخم بأعداد كبيرة ، ويبدو هذا المعبد مثل القلعة ، ويتوسط الفناء الواسع ، المعبد المربع الشّكل والذي يتصدره تمثال البقرة ، الذي يشبه الفيل في أجزاء منه . ويؤدي الزائرون حركات تفقدهم الوعي ، من بكاء ، ومناجاة ، بل وسجود على الأرض واستلقاء عليها ، والزحف تجاه هذا التمثال في تضرع وعويل ، ويشبه ذلك ، وما يقوم به أتباع بعض المذاهب. كما يطّوف فيل ضخم في القلعة ، وهو يؤدي حركات مدرب عليها فيضع خرطومه على رأس من يقف أمامه ، والذي يسعد بذلك ، معتقداً إنه نال البركة من الفيل ، حسب العقيدة الهندوسيّة، ويضع مقابل ذلك ، فضلاً عن التصوير ما يزيد عن العشرين روبية[2].

جـ - تريشي والطقوس الهندوسيّة:

تعني تريشي الصخرة المقدسة ، وهي مركز لانطلاق الهندوس لزيارة هيكل نادو الكبير ، حيث لكل تلميذ مدرسة ، لا سيما من ينتمي إلى المدرسة القديمة ، يّوضح حصن الصخرة الشهير المعارك التي دارت بين البريطانيّين والفرنسّيين في القرن

[1] بطرس البستانيّ ، دائرة المعارف ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة ، لا طبعة ، لا تاريخ ، المجلد -6 ، ص 227.

[2] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 م .

الثامن عشر ، ويشرف هذا الحصن على المدينة من قمة هضبة كبيرة من حجر الصوان الصلب ، وقد اتخذت المدينة اسمها من هذه الصخرة المنيعة التي تزينها الهياكل ومزارات الكهوف الشديدة الانحدار والتي توصّل إلى قائمة ترتكز على ألف عمود ، ثم إلى مزار شيفا والأدراج ، وهيكل جانيش أو غانيش ، حيث الإطلالة على نهر كافري الشهير وعلى السهول البعيدة.

يمكن رؤية غريب الطقوس والعادات الهندوسيّة على ضفة ، نهر كافري ، إذ تتواجد أعداد هائلة من الزائرين شباباً وشيوخاً وأطفالا ، وقد اصطفوا عند مداخل محطات القطار والعربات أو تواجدوا داخل ما يشبه المخيم المسقوف ، وتوضع أمام المتواجدين لاسيما الفقراء أوراق أشجار الموز وغيرها من أشجار وكأنها الصينيّة أو الطبق ، ويمّر أحدهم ويضع أمام الجالسين على الأرض ، الأرز المطبوخ والفاكهة والخضروات والعدس والحمص والذرة والسّكر والحلوى ، ويعتقد الهندوس هنا أيضاً بأنهم يقدمون ذلك كي ترتاح أرواح أحبائهم وأهاليهم في الجنة حسب ظنهم ، فهم يعتقدون بالجنة والنار وبالحساب وبعضهم يعتقد بوحدة الإله ، إلا أنهم انحرفوا عن الطريق السليم وأشركوا بحيث وضعوا الوسيط بينهم وبين الخالق سبحانه وتعالى [1]..

توجد في جانب من الضفة حلقات تتألف من أربعة أشخاص تقريباً ، وهم يرتدون الأزياء الغامقة الألوان من صفراء وحمراء وبنفسجّية ، فضلاً عن البيضاء والخواتم الفضّية والنحاسيّة ، وقد اجتمعوا حول امرأة أو شابة أو صبّي ممن يعانون مشاكل صحيّة نفسيّة أو جسمية ، لذا ينتظرون من البرهميّ ، الرجل الأول من الطائفة الهندوسيّة ، أن يخلصهم مما يعانونه ، ذلك عن طريق قراءة تعاويذ يصدر عنها أصوات وحركات غريبة ، وهكذا سيخرج المريض من معاناته، حسب اعتقادهم ، وهناك مجموعة تستحم في النهر لتكّفر عن ذنوبها، وتنال الخير والبركة يقع نهر كافري في الجنوب ، يقابله نهر الغانج المقدس في الوسط ، وأصولهما الشمال إذ ينبعان من جبال الهيمالايا، فنهر الغانج ينثر فيه رماد الموتى ، حيث الاعتقاد بقدسيته ،

[1] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 م .

وهكذا ينعتق الميت من الروح الأبديّة لإعادة الولادة (التقمّص) وتلك عقيدة هندوسيّة[1].

د - السّرادة من الطقوس الهندوسيّة:

لابد أن نشير في هذا السياق إلى ما ورد عن (السّرادة) وهي لفظة هنديّة تعني الوضيمة ، وقد ذكر بطرس البستانيّ ، أن السّرادة تطلق على احتفال يجري في الهند للموتى وأرواحهم ، وإذا أُجرِي لشخص متوفٍ من مدة قريبة يكون المقصود منها إيصال روحه إلى السماء ، وتسهيل قبولها بين الأرواح الخالصة . وهم يعتقدون أن عدم إجراء الاحتفال يبقي الروح تائهة على وجه الأرض مع الأرواح النجسة ، وإن من يتأخر عن أداء السّرادة نحو أقربائه الميّتيين تلعنه الآلهة والبشر حيث يحرم عدة سنوات من وليمة الأرواح الخالصة ، ومن يموت دون أن يترك إبناً ليتم بعده تلك الطقوس المأتمية يكون قد تسبّب بطرد أرواح أسلافه من الجنة إلى الجحيم.

يجري البراهمة أول كل شهر قمريّ سرّادات مشتركة عن أرواح أسلافهم عموماً ويقّدمون ما يشبه الوليمة أو الوجبات يومياً ويقيمون في كل شهر أو كل سنة سّرادات خصوصيّة لأقربائهم وقد ورد في كتاب مانو تفصيل شريعة السّرادة عندهم وذكر فيه أن الذي يقّدم لأرواح الموتى أرزاً مسلوقاً في الحليب والعسل وزبدة مصفاة في أحد الأيام القمريّة عندما يكون ظل الفيل متجهاً نحو الشرق يرضيها سنة كاملة، والتقدمات الأخرى ترضيها شهرين أو ثلاثة أو أكثر حسب أنواعها ، والأرواح تكون مسرورة سروراً أبديّاً إذا قدم لها لحم وحيد القرن أو ماعز صوفه لونه يميل إلى الأحمر وعسل أو حبوبا أكل منها ناسك. ويدعو الهنود إلى السّرادة الأشخاص الطاهرين ، ولابد أن يكون الحاضر برهميّاً فضلاً عن حضور رجل عارف بالكتب الدينيّة ، وهما أفضل من حضور مليون رجل لا يعرفون عن السّرادة شيئاً [2].

[1] التاميلنادو ، شيناي (مدراس) ، الهند ، ديسمبر 2006 م .

[2] فؤاد بطرس البستاّني، دائرة المعارف ، بيروت . مطبعة دار المعرفة ، لا طبعه ، لا تاريخ ، المجلد -9 ، ص 548.

يتطابق ما تقّدم مع مـا ذكرنـاه مـن طقـوس تـؤدّى عـلى ضـفة كـافري ، كـما لا يـزال الهنـود يتبادلون أطعمتهم على أوراق الموز ولا يشارك البرهمّي غيره الطبق ، فضلاً عن عدم أكلهـم مـن طبـق تناول فيه شخص آخر طعاماً ، وينفي البعض حدوث ذلـك الآن ، مـا عـدا البراهمـة ، لكـن أحيانـاً قـد يوجد من بين الطوائف الأخرى أو الأديان من لا يـشارك الغـير أطباقـه ، أو يـستخدم أوراق البلاسـتيك والموز اقتصاداً أو محافظة على الصحة .

كما لا تزال هناك طائفة مـن البراهمـة متقـشّفة تـسكن الأمـاكن الـضيقة ، شـعورهم مرخيّـة أجسادهم مشوهة وأظافرهم غير مقلمة يتجولون حفاة شـبه عـراة ، يعيـشون عـلى الـصدقة وهـم لا يتكلمون طلباً للصدقة ، وإن مد البعض يده دون كلام، وهم يتواجدون على شواطىء الأنهار المقدسـة متذرعيّن بالصّبر ويطلق عليهم أفادوته[1].

ويجعل البراهمة موضوع عبادتهم دعوة براهما مساًء وصباحاً ، يرمون الماء ثلاث مرات براحـة أيديهم على الأرض ونحو الشمس ويجددون لبراهما عبادتهم وقت الظهر بتقديمهم زهرة، وفي تقـديس النار يقدمون له سمناً مصفىً[2].

تؤدى الطقوس الهندوسيّة حسبما ذكرنا فيما تقدم حتى يومنا ، إذ تشاهد أمام عتبات المنـازل رسوم باللون الأبيض والأصفر والأحمـر عـلى شـكل مـستدير ، وزهـور ، مرسـومة بالطباشـير أو الأقـلام الشمعيّة ، وتّرش من النساء غالباً أو أصحاب البيوت بالماء ، ذلك تقـديراً لـبرهم ، وإبعـاداً للـشر وقـد يجد المار أحياناً من يوقفه ويّرش الماء أمامه ،إبعاداً للشّر ، كما يرى أصحاب بعض النفوس غير السويّة.

---

[1] فؤاد بطرس البستاّني، دائرة المعارف ، بيروت . مطبعة دار المعرفة ، لا طبعه ، لا تاريخ،المجلد4،ص9.

[2] فؤاد بطرس البستاّني، دائرة المعارف ، بيروت . مطبعة دار المعرفة ، لا طبعه ، لا تاريخ،المجلد -5، ص 376.

كما يقدم السمن مع العسل أو ما يشبه ذلك في صينيّه، بها زهور وشموع وألوان من مسحوق البودرة الحمراء والصفراء والبيضاء التي توضع ما بين الحاجبين وذلك تقليد هندوسيّ والألوان تكون حسب درجة الهندوسيّ وأهميته الدينيّة لديهم. كما يوجد بهذه الصينيّة نوع من البخور ، إذ يتصاعد منها الدخان وغالباً ، ما يقف سائق العربة أو السيارة لاسيما في الصباح لوضع العلامة الحمراء، فضلاً عن استنشاق البخور كي ينال البركة والرعاية والحماية من الشرور والأحداث ، ويكون ذلك مقابل مبلغ من المال وتوضع العلامة الحمراء بين الحاجبين وهي تعد العين الثالثة التي تحمي الإنسان وترعاه من الشر

لا عجب أن توقف إحدى المجموعات في الطرقات من قبل الصبية السائقين، وإن كانوا صبية، غرضهم فرض ضريبة الغابات والأطراف النائية، ويسأل السائق بأن يدفع مبلغاً من المال لوفاة قرد، وذلك المبلغ يساهم في طقوس دفن القرد، وهؤلاء لا ينتمون إلى أنصار حماية الحيوان أو البيئة، إنما هناك طائفة من الطوائف التي قد تصل إلى ثلاثة ألاف مجموعة هندوسية، تقدس القرد، وتقيم له المعابد، والاحتفالات[1].!؟

هـ- إحراق المرأة نفسها بعد وفاة زوجها:

سوف نتناول فيما يلي طقوس إحراق المرأة نفسها بعد موت زوجها، وإحراق الموتى بشكل عام، فمن غريب تلك الطقوس عند البراهمة، أن المرأة تحرق نفسها بعد وفاة زوجها ومن ذلك قول ابن بطوطة عن موت أحد الهنود:".. وأججت النار لحرقه، وامرأته تحرق نفسها معه، ولما احترقا جاء أصحابي وأخبروا أنها عانقت الميت حتى احترقت معه.. وبعد ذلك كنت في تلك البلاد، أرى امرأة.. متزينة راكبة، والناس يتبعونها.. والأطبال والأبواق بين يديها، ومعها البراهمة وهم كبراء الهنود. وإذا كان ذلك ببلاد السلطان استأذنوه في إحراقها، فيحرقونها،.." [2].

---

[1] كيرلا، كليكيت، الهند، فبراير، 2006.

[2] درويش الجويدي، رحلة ابن بطوطة، بيروت، مطبعة، أبناء شريف الأنصاري، طبعة مصححة، 2009/1424 جزء – 2، ص – 26.

كما يصف ابن بطوطة في بلد آخر إحراق ثلاث زوجات مات أزواجهن ".. فاتفقن على إحراق أنفسهن، وإحراق المرأة زوجها عندهم أمر مندوب[1] إليه غير واجب لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفاً بذلك ونسبوا إلى الوفاء، ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب، وأقامت عند أهلها ممتهنة لعدم وفائها.. ولما تعاهدت النسوة الثلاث على إحراق أنفسهن أقمن قبل ذلك ثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب، كأنهن يودعن الدنيا، ويأتي إليهن النساء من كل جهة، وفي صبيحة اليوم الرابع أتيت كل واحدة منهن بفرس فركبته، وهي متزينة متعطرة، وفي يمناها جوزة نارجيل تلعب بها، وفي يسراها مرآة تنظر فيها وجهها، والبراهمة يحفون بها وأقاربها معها، وبين يديها الأطبال والأبواق.. والكل منهم يقول لها: أبلغي السلام إلى أبي أو أخي أو أمي، وهي تقول نعم. وتضحك إليهم. وركبت مع أصحابي لأرى كيفية صنعهن في الاحتراق، فسرنا معهن نحو ثلاثة أميال، وانتهينا إلى موضع مظلم، كثير المياه والأشجار متكاثف الظلال، وبين أشجاره أربع قباب في كل قبة صنم من الحجارة، وبين القباب صهريج ماء قد تكاثف عليه الظلال وتزاحمت الأشجار فلا تتخللها الشمس فكأن ذلك الموقع بقعة من جهنم، أعاذنا الله منها، ولما وصلن القباب نزلن إلى الصهريج وانغمسن فيه، وجردن ما عليهن من ثياب وحلي فتصدقن به وأتيت كل واحدة منهن بثوب قطن غير مخيط خشن، فربط بعضه على وسطها وبعضه على رأسها وكتفها، والنيران قد أضرمت على قرب من ذلك الصهريج في موضع منخفض، وصب عليها روغني كنجت، وهو زيت الجلجلان[2]، فزاد من اشتعالها. وهناك نحو خمسة عشر رجلاً بأيديهم حزم من الحطب الرقيق، ومعهم نحو عشرة بأيديهم خشب كبير وأهل الأطبال والأبواق وقوف ينتظرون مجيء المرأة، وقد حجبت النار بملحفة يمسكها الرجال بأيديهم لئلا يدهشها النظر إليها.

فرأيت إحداهن لما وصلت إلى تلك الملحفة نزعتها من أيدي الرجال بعنف، وقالت لهم "أنا أعلم أنها نار محرقة". ثم جمعت يديها على رأسها خدمة للنار، ورمت بنفسها فيها. وعند ذلك ضربت الأطبال والأبواق ورمى الرجال ما بأيديهم من

(1) المندوب: المطلوب والمستحب.

(2) الجلجلان: السمسم.

الحطب عليها، وجعل الآخرون تلك الأخشاب من فوقها لئلا تتحرك، وارتفعت الأصوات وكثر الضجيج. لما رأيت ذلك كدت أسقط عن فرسي لولا أن أصحابي تداركوني بالماء فغسلوا وجهي وانصرفت، وكذلك يفعل أهل الهند أيضاً في الغرق يغرق كثير منهم أنفسهم في نهر الغانج، وهو الذي يحجون إليه، وفيه يرمى برماد هؤلاء المحروقين، وهم يقولون: إنه من الجنة وإذا أتى أحد ليحرق نفسه يقول لمن حضره لا تظنوا أني أغرق نفسي لأجل شيء من أمور الدنيا أو لقلة مال، إنما قصدي التقرب إلى كساي، "وكساي" اسم الله عز وجل بلسانهم، ثم يغرق نفسه، فإذا مات أخرجوه وأحرقوه، ورموا برماده في البحر المذكور.." [1].

يحرق الهندوس حتى اليوم جثث موتاهم في الغابات البعيدة، أما عادة إحراق الزوجات لأنفسهن فقد قلت، بسبب التوعية من الحكومة، إلا أنها تتواجد في بعض الولايات.

كما أن طقوس توديع الميت قبل دفنه قد تشاهد في بعض المدن والقرى أثناء المرور بالطرق، إذ يلفت الانتباه قرع الطبول، والعزف على الآلات الموسيقية التقليدية مثل الأبواق، ويؤدي ذلك مجموعة من الرجال الذين يرتدون بدلات بيضاء رسمية خاصة بهذه المناسبة، وقبعات طويلة تشبه الطرابيش بألوانها الحمراء، وبحيث يظن المشاهد أن مهرجاناً أو حفلاً راقصاً يقام، كما يتوسط الموكب إبن أو إبنة الميت، وقد ارتدى ما يشبه أثواب الأعياد أو حفلات الزواج، من ثوب طويل أبيض وشعر مسدول على الكتفين، ومساحيق على الوجه، إذ كانت فتاة، وتجسد عادة إحراق المرأة التي مات زوجها الإخلاص للزوج والوفاء والاعتماد عليه وإن كان المجتمع الهندي أنثوياً نوعاً ما، حيث تعتمد المرأة على نفسها، فهي تعمل في البناء، وتنظيف الشوارع، وفي تنسيق الحدائق، كما تعمل المرأة الهندية في المصانع والبيوت. [2]

توفر المآتم المذهبية، حيث تأتي الأسر بموتاها لتقدمها محرقة إلى غوط، في بلدة (فاراناسي)، والتي هي في غرب الهند، ويلف الجثمان بكفن أبيض وينقل على نعش

---

[1] درويش الجويدي، رحلة ابن بطوطة، بيروت، مطبعة أبناء شريف الأنصاري، طبعة مصححة، 1424/ 2009 جزء – 2، ص 26 – 27.

[2] التاميلنادو، بوندشيري، الهند، فبراير 2006.

من قصب إلى حافة النهر حيث تصب بضع نقط من مياه نهر الغانج بين شفتي الميت، ثم يوضع الجثمان على ركام من خشب الصندل المعطر ومن ثم تضرم النار فيه. ويصعب إقناع المعتقدين بهذه الطريقة في تقدير نهر الغانج بأنه ليس نظيفاً، فعلى مدى قرون وهذه الجثث التي لم يسمح لها لأسباب دينية بإحراقها على (الغوط) وهو درج ينزل بواسطته إلى النهر بما في ذلك جثث الأطفال وضحايا الكوليرا، تم رميها في النهر، وحيث يستحم الناس ويشربون من مكان قريب من النهر في نفس الوقت.

يصر الكثير من الناس أن الغانج أو الغانجا يؤمن تطهيراً ذاتياً، وقد عزز ذلك لديهم، نتائج التحاليل الكيميائية التي تثبت وجود 5% من مادة الكبريت لمكافحة البكتيريا، بينما واجه البعض ذلك التحدي بشعور نفسي ضد التلوث، ويعاني الكثير ممن يعيشون قريباً من المحرقة. بشكل دائم الأمراض المعوية، مما يفسر المقاومة المضادة، وتحارب الحكومة تلوث النهر بسبب الجثث بمشروع لمعالجة مياه الصرف الصحي والنفايات الصناعية، كلفته 25 مليون دولار أمريكياً. ولا زالت الدعوات والنصائح التوعوية، لمخاطر إحراق الجثث من تلوث البيئة، ونقص ثروة الغابات، وتكاليف الحرق، وقد استجاب البعض، لهذه الدعوات وبخاصة الفقراء.

تواجه الهند مشكلة أخرى خارج المدن، إذ هناك القليل من البيوت التي لديها مراحيض أو مورد ماء بالأنابيب أرضاً. فيستخدم الأشخاص الحقول كمراحيض، مما يجعل مورد المياه الذي يأتي عادة من الآبار والأنهار عبر الحقول ملوثاً بواسطة نظام المجاري، فالحياة في المدن والقرى ذات الأكواخ تؤدي أيضاً إلى حالات غير صحية ومنها مرض الكوليرا القاتل الذي يتفشى في مناطق آهلة بالسكان [1].

2- أساليب الحياة وأهم معاقل الهندوسية في الوسط:

أ- أساليب الحياة ومعتقدات الهندوس:

يعتنق الهندوسية ما يقارب 83% من الشعب، فهي تعد طريقة حياة أكثر منها ديانة، فالهندوسية تهتم بما هو أساسي في الحياة اليومية من ولادة وعمل، وصحة

[1] المؤلف المجهول، دليلك إلى الهند، بيروت، مطبعة الدار العربية للعلوم، الطبعة 1، 1422: 2002، جزء – 1، ص 148، 149.

وعلاقات إنسانية، ووفيات ويمكن للنظام الطبقي الهندوسي المعقد أن يلعب حتى اليوم دوراً في اختيار الهندي لوظيفته، ولزوجته، وللحزب السياسي، وقد صدرت القوانين التي تمنع التمييز منذ الاستقلال، إلا أن البراهمة أو المثقفين من الطبقة العليا يتم اختيارهم كرجال دين ويشغلون المناصب العليا في الجامعات والإدارة، وضباط الجيش الذين يمكن تحديد أصولهم أي كشاتريا، فضلاً عن الطبقات الأخرى من تجار، ومزارعين والشودرس.

يستطيع الهندي مع تنوع العرق، والدين، واللغة، والطبقة، أن يتحدث عن زميله الهندي بالنظر إليه، فالكل يعرف الولاية التي تنتسب إليها من ترتدي سارياً، ذلك من حيث اللون، والتطريز، والأسلوب الذي تربط به المرأة الساري، فضلاً عما يرتديه الرجال أو النساء من أقراط وخواتم وأساور ذات ألوان وأحجام معينة، كما تكشف العلامات الملونة التي تضعها المرأة على وجهها عن طبقتها، وكونها متزوجة أم لا فهي أيضاً تضع خواتم في أصابع قدميها توضح ذلك، فضلاً عن العمامة التي قد يرتديها الرجال أو الخيط المقدس حول المعصم والعنق وبألوان محددة لا سيما الأحمر والأسود، إنها إشارات إلى طبقة أو ديانة معينة، كما تكشف اللغة واللهجة التي يستعملها الشخص، والأسماء أيضاً عن مكانته وأصله، وكذلك الأكل ونوعه وطريقته، فهناك الأطعمة النباتية والحيوانية التي تحدد ذلك.

تتيح الهندوسية مجالاً للأديان الأخرى، والتسامح معها، كما تتنوع العقيدة الهندوسية بشكل هائل، وتؤمن الهياكل بصورة منتظمة لممارسة الطقوس والعادات، وقد يتواجد في كل بيت هندوسي مذبح للتعبد فيه، كما توجد المذابح والعابد توجد في كل طريق وطرف من المدينة أو القرية وحتى مداخل الفنادق وبوابتها ويجمع الهندوس موسم محدد وهو الالتقاء عند نهر الغانج.

لا يأكل الهندوس وبخاصة ممن هم من الطبقات العليا، مثل البراهمة اللحوم أو السمك، فهم نباتيون كما لا يأكلون لحم البقر كونهم يقدسونها، ذلك لأنها تعطيهم الخيرات لا سيما الحليب!! ويولي جميع الهندوس أهمية كبيرة للنظافة والاغتسال الذي هو جزء هام من شعائرهم الدينية اليومية. وهم يميلون إلى الخرافة والأساطير، ويعتقدون بقراءة الكف وملاحظة الفأل، أو شارات المستقبل، ويستشيرون المنجمين

قبل اختيار موعد لحدث هام، مثل الزواج. وأبراج شركاء الزواج التي تؤكد على توافقهم حسبما يظنون.[1]

ب- تقاليد الزواج العامة:

يرتب لحفلات الزواج في الهند، ويتم الترتيب لها تقليدياً، إذ يناقش الموضوع برمته، وتقع المسؤولية على الأبوين في البحث عن الشريك المناسب لابنهما أو ابنتهما، سواء أكان ذلك حسب التقاليد المتبعة بزيارة أهل الفتاة، أو أحياناً عن طريق الإعلانات المتعلقة بالزواج، ولا بد أن يكون الزوج من نفس الدين والطبقة، ومتعلم إلى مستوى مشابه وأحياناً لا يشترط ذلك، ووالدا الفتاة الجذابة الجميلة يتوقعان وجود الشريك المناسب والدخل الجيد، ويكون مهر العروس إما مالاً أو أرضاً يقدمها الوالد، أو ممتلكات تتوقع عائلة العريس أن تتلقاها من عائلة العروس، ذلك التقليد متبع عند الهندوس، أما باقي الأمور فهي متشابهة عند المسلمين والهندوس.

تعد صناعة الزواج في الهند تجارة كبيرة، ويتبع إجراءات الخطبة والاتفاق حفل زواج متقن ووليمة قد تدوم أكثر من يوم، وغالباً ما تكون سن الزواج متقدمة في الهند، لا سيما في الأرياف والقرى.

تذهب العروس قبل حفل الزواج أحياناً إلى بيتها، عند والديها (فترة إجازة) لمساعدتها على التكيف مع الوضع الجديد، وتبدو الزيجات المرتب لها ناجحة، وإن أصبح اختيار البعض لشريكاتهم شائعاً حالياً في المدن.

يتزوج معظم الهندوس من امرأة من نفس طبقتهم الاجتماعية، علماً بأن الهندوسية تسمح بأكثر من واحدة.

ج- مدينة جواليور، تاريخها:

تستغرق الرحلة من دلهي إلى جواليور ما يقارب العشر ساعات بالسيارة، مروراً بمدينة أغرا، في ولاية أوترابراديش، حيث محطات الوقوف ونقاط العبور ويستقبل القادمين أصحاب القرود والحيات وهم يستعرضون ما لديهم من حيوانات

[1] كيرلا، تيرانتنابورام، الهند، يوليو 2010.

تؤدي حركات معينة، فضلاً عن المتسكعين من الباعة، بما لديهم من حلى نحاسية وفضية، ومراوح ريش النعام وغير ذلك.

تعد الطرق في الهند، فرعية أم رئيسية محطات توضح جانباً من العادات والتقاليد الدينية والاجتماعية وحتى السياسية فيمكن مشاهدة إضراب عام أو مسيرة سياسية على امتداد الرحلة. حيث يكون البشر ما يشبه السلسلة البشرية التي لا تنقطع، فهم يواصلون السير قادمين من ولايات أو مدن بعيدة متجهين إلى العاصمة دلهي، لعرض مطالبهم أمام البرلمان، ترى البعض يسير، بينما يفترش البعض الآخر الأرض، أو يستلقي تحت ظل شجرة صغيرة، بينما يتناول البعض وجبته، متخذاً ثوبه أو رداءه سقفاً يضعه على شجرة جافة كي تظلله، وسط جو شديد الحرارة، ويطالب أصحاب المسيرة بحقوقهم، ومنها مثلاً إسقاط الديون عن كاهلهم أو زيادة الرواتب التي لا تفي بسداد الديون، وترافقهم سيارات الصحة والإسعاف، ولا ينسى المحتجون الأغاني الهندية المميزة التي تؤنسهم في الطريق[1]، وتلك المسيرة التي قد تستغرق أسبوعا، لا تعمها الفوضى أو التمرد أو العنف، وإن كان المحتجون بسطاء أو فقراء وثقافتهم محدودة إلا أن الأحزاب تنظمهم وتدربهم على المطالبة بحقوقهم، وأصول ذلك مسيرة غاندي السلمية وطريقة اللاعنف في المطالبة بالحقوق. وتتوالى الإضرابات والاحتجاجات في سائر الولايات الهندية، وعلى نفس الطريقة حيث يقف المسلمون مثلاً في كيرلا وأحياناً جنباً إلى جنب مع الهندوس، وهم يعبرون عن استيائهم من تلوث المياه، لكن دون ضجيج أو صخب، إنها إعلانات ولا فتات توضح حجم المشكلة والمطالبة بحلها، وقد يشل الإضراب الحياة بأكملها في الهند كما حدث حين المطالبة بتخفيض أسعار الديزل والبترول عام 2010، وقد استجابت الحكومة سريعاً للمطلب. إنه جانب حضاري تتميز به شبه القارة الهندية، علماً بما يسود البلاد من ازدحام وفوضى وفقر[2].

---

[1] مادهيا براديش (خسواليور)، الهند، أكتوبر – نوفمبر، 2007.

[2] دلهي، مادهيا براديش (جواليور، الهند، أكتوبر – نوفمبر، 2007.

هكذا تنتهي ساعات الرحلة عند المساء، حيث مدينة جواليور في مادهيا براديش، وهي مدينة الولاية لأقصى الشمال، ومن أشهر معالمها، حصن أعالي التلة، وهو يضم تحفاً جميلة، ومعبداً قديماً، فضلاً عن نصب أخرى.

ورد اسم جواليور كثيراً في رحلة ابن بطوطة، الذي أشار إلى حصن اسمه (كاليور)، ويسمى أيضاً (كيالير)، ذكر أنه حصن منيع ويقع على بعد عشرة أيام من دلهي، وكان يستخدم في القرن الرابع عشر كسجن للمعارضين للسلاطين والمجرمين.

يقول ابن بطوطة: "... وحصن كاليور هذا في رأس شاهق، كأنه منحوت من الصخر، لا يحاذيه جبل، وبداخله جباب الماء ونحو عشرين بئراً عليها الأسوار مضافة إلى الحصن منصوباً عليها المجانيق والرعادات، ويصعد إلى الحصن في طريقة متسعة، يصعدها الفيل والفرس، وعند باب الحصن صورة فيل منحوت من الحجر.. وإذا رآه الإنسان على بعد لم يشك أنه فيل حقيقة.

وأسفل الحصن مدينة حسنة مبينة كلها بالحجارة البيض المنحوتة، مساجدها ودورها، ولا خشب فيها ما عدا الأبواب، وكذلك دار الملك والقباب والمجالس.."[1].

يسود جواليور الهدوء، لا سيما فترات الصباح، إذ تكاد طرقات البلدة وأحياؤها تكون خالية من وسائل النقل، وكذلك السوق، عدا باعة الخضار والفاكهة الذين يعرضون ما لديهم، ثم تعلو أصوات الباعة شيئاً فشيئاً. ويبدو حصن المدينة المنيع الذي حكمه سلاطين بني تغلق فترة، ثم أشرف عليه الهندوس، كما اتخذه المغول مقراً لحكمهم، وأضافوا إليه وسائل الحماية والترفيه، من نافورات مياه وبرك سباحة وقاعات رقص، ووسائل تهوية وإضاءة، حيث يعكس زجاج المرايا أضواء الشمس من خلال فتحات النوافذ والمشربيات المجصصة بالطين الأبيض والأحمر، كما تزين القصر استراحات السلاطين الرومانسية والشرف الخاصة بالنساء، وتبدو وسائل الاتصال بغرف القصور وحجراته بواسطة أنابيب تمر خلال فتحات عبر الغرف وأبنية القصر، وبحيث تتصل بغرفة السلطان أو الأميرة، وتزين حدائق القصر المماشي

[1] درويش الجويدي، رحلة ابن بطوطة، بيروت، مطبعة، أبناء شريف الأنصاري، طبعة مصححة، 1430/ 2009 جزء – 2، ص 50.

الجميلة ومراجح النساء والأطفال، فضلاً عن النقوش والرسوم البديعة المرسومة حول باحات القصر، وكانت وسيلة التنقل في البلدة القديمة، الفيلة التي استخدمت لرحلات القنص وصيد الأسود والنمور، والسفر إلى إمارات أخرى. لا يزال الحصن يشرف على أجمل المناظر وبيوت المدينة ومدارسها وسوقها التجاري.

كما يوجد في جواليور قصر، يعود إلى القرن التاسع عشر، وتعرض به صور ومقتنيات أحفاد حاكم جواليور الهندوسية الذين يعيشون في قسم من القصر، بينما حول القسم الآخر إلى معرض سياحي به أنواع فاخرة من الأثاث والتحف الإيطالية والسويسرية، والسيارات الفارهة.

تعرض في سوق المدينة، أنواع من السلع المثيرة، استعداداً لأحد أعياد الهندوس، ويبدو الازدحام شديداً في هذا السوق، فهناك من يقرأ الترانيم والأناشيد، وهناك من يغتسل بماء في حوض أمام أحد المعابد، ويوزع أحدهم وهو شيخ كبير قطع نقدية على الأطفال، بينما ينقش البعض الآخر الحناء على أذرع وكفوف الفتيات، ويصوم الهندوس لا سيما البراهمة قبل الاحتفال لمدة عشرة أيام [1]. ويؤدي الطريق في هذا السوق إلى بلدة أخرى إنها أورشهاها.

د- أورشهاها، تاريخها:

تتميز قرية أورشهاما بالمعابد الهندوسية والقصور الضخمة التي تشبه القلاع الحصينة، حيث اتخذها ملوك الهند المهراجه مقراً لحكمهم. ويؤكد أحد المرشدين السياحيين بأن أورشهاها تعني صوت القضم من الحيوانات التي تفترس الفريسة، بينما لا يعرف البعض الآخر أصلاً للتسمية، وقد ربطنا بين ما أكده المرشد السياحي وحديث ابن بطوطة عن مدينة اسمها (برون) إذ يصفها بأنها: ".. مدينة صغيرة للمسلمين بين بلاد الهندوس، أميرها محمد بن بيرم التركي الأصل، والسباع بها كثيرة وذكر لي بعض أهلها أن كان يدخل إليها ليلاً وأبوابها مغلقة فيفترس الناس، حتى قتل من أهلها كثير، وكانوا يعجبون من شأن دخوله، وأخبرني محمد التوفيري من أهلها، وكان جاراً لي بها، أنه دخل داره ليلاً وافترس صبياً من فوق السرير،

[1] دلهي، مادهيا براديش (جواليور، الهند، أكتوبر – نوفمبر، 2007.

وأخبرني غيره أنه كان مع جماعة في دار عرس، فخرج أحدهم لحاجة فافترسه، فخرج أصحابه في طلبه فوجده مطروحاً بالسوق قد شرب دمه ولم يأكل لحمه، وذكروا أنه كذلك فعله بالناس. ومن العجيب أن بعض الناس أخبرني أن الذي يفعل ذلك ليس بسبع، وإنما هو آدمي من السحرة المعروفين بالجوكية [1] يتصورون في صورة سبع، ولما أخبرت بذلك أنكرته وأخبرني به جماعة.." [2].

تشبه حكاية هؤلاء السحرة، ما يسمى في بعض القصص والمسلسلات بمصاصي الدماء والمستذئبين الذين يجمعون بين البشر والذئاب والذين لوجودهم أسباب علمية حيث يتغذون على نباتات تساعدهم على النمو بأحجام كبيرة والله اعلم [3].

يسكن هذا البلدة غالبية من الهندوس، فضلاً عن أقلية من المسلمين. وهذه البلدة حالياً يشعر الزائر لها بأن هدوءاً مخيفاً يخيم عليها وكأن بها طاقة خفية أو سراً لا يعلمه إلا الله، تلك الملاحظات بدت والله على ما نقول شهيد قبل قراءة تلك المعلومات من رحلة ابن بطوطة أو حتى معرفة التسمية بأورشهاها، إذ علمنا أن بأصل التسمية من مرشد في (جنديري) (شاندليز) أي بعد زيارة تلك البلدة.

تقع بلدة أورشهاها على ضفتي النهر وطرقتها الضيقة بسيطة، بها الكثير من المعابد الهندوسية وكهوف (الجين) تمتاز طرقات البلدة بالنظافة الملفتة وبالهدوء حيث تبدو وكأنها خالية من السكان، أما السوق في البلدة فهي عامة بسيطة.

قد يسمع الزائر للسوق موسيقى عالية مطربة، وبعد عدة خطوات يتعرف على المصدر، إنه التلفزيون أو جهاز الفيديو، الموجود في أحد المتاجر أو المقاهي، وقد تربع حوله مجموعة من المشاهدين على الأرض، وهم يتابعون الأحداث، بكل انتباه. لقد أصبح التلفزيون أكثر انتشاراً في الهند، لكنه لا يزال نادراً في منازل بعض القرى، وقد يكون للقرية الثرية جهاز واحد، يتجمع القرويون حوله للمشاهدة، أطفالاً نساءً

---

[1] الجوكية: انظر، ص224-225.

[2] درويش الجويدي، رحلة ابن بطوطة، بيروت، مطبعة، أبناء شريف الأنصاري، طبعة مصححة، 1430/ 2009 جزء – 2، ص 148.

[3] ذلك حسب المشاهدة للأفلام العلمية، والوثائقية.

شيوخاً وشباباً، ولا قيمة للتلفزيون أحياناً إذا انقطع التيار الكهربائي. وكذلك الحال بالنسبة لخطوط الاتصال بالهواتف داخل الهند أو خارجها.

وتؤدي الرقصات التقليدية المقدسة خدمة للمعابد وأهدافها ويوجد في بعض المناطق تقليداً للرقص، مثل كاثاكالي الشهير في كيرلا، ويلعب الرجل من خلال الرقص الدورين معاً، أي هناك رجل يؤدي دور المغني أو العازف أو ناقر الطبل، فضلاً، عن رجل آخر يؤدي دور الراقصة بحيث يرتدي أزياء الرقص النسائية، ويضع مساحيق التبرج على وجهه، وتستخدم أدوات موسيقية شهيرة في أنحاء الهند ومنها السيتارة وهي آلة موسيقية مطربة تشبه العود، يعزف الموسيقى الهندية شخصان أو ثلاثة يجلسون جميعهم على الأرض أو خشبة المسرح وهم يضعون رجلاً فوق رجل كما تلعب (الستامبورا) (الطمبورا) دوراً في الغناء والعزف الموسيقى، وتتألف الطمبورا من أربعة أوتار، تحقق تردد الصدى الموسيقي في المحيط [1].

وهناك (الفينا) آلة هندية قديمة، وهي عود ذو سبعة أوتار له علبة مستديرة، عند القاعدة وطاسة مملوة بالألوان عند القمة، وكانت تلعبها ساراسفاتي في أساطير الهندوس، كما توجد الطبلتان الصغيرتان، والطبلة الطويلة المنتفخة في جنوب الهند، وتمسك أفقياً، فضلاً عن الطبلة الهندية[2]، ويطلق عليها في بعض اللغات الهندية تبلة(طبلة). وتؤدي برامج الكاثاكالي والموسيقى غالباً على رمال الشواطئ والمنتجعات، فضلاً المطاعم والفنادق الشهيرة.

هـ- كاجوراهو أهميتها الدينية، ما حولها:

تشتهر كاجوراهو بمنحوتاتها الحسية الموجودة في الهياكل الهندوسية، والتي تعود إلى القرون الوسطى كما تضم الهياكل المصنوعة من الحجر الرملي والتي تعد في نظر المهتمين بالآثار أعجوبة من التناغم، كانت هذه الهياكل نصف مدفونة في التراب ومخبأة في الأدغال خلف الأعشاب. واكتشفها الصيادون البريطانيون 1840 وتم التنقيب عنها 1923.

[1] مادهيا براديش، أورشهاها، الهند، أكتوبر، نوفمبر، 2007.

[2] المؤلف المجهول، دليلك إلى الهند، بيروت، مطبعة الدار العربية للعلوم، الطبعة 1، 1420: 2002، جزء – 2، ص 223،224.

كانت كاجوراهو عاصمة مملكة الشانديلا، التي تميزت بقوة الحب والحرب معاً، حيث بنيت الهياكل منذ القرن الثاني عشر، وتقسم هذه الهياكل إلى ثلاث مجموعات، غربية وشرقية، وجنوبية، وأهمها الهياكل الغربية القائمة في حديقة تلقى عناية جيدة فيها ممرات تتصل ببعضها البعض إذ يمكن رؤية المنحوتات في حال جيدة، أما أقدم الهياكل، فهو هيكل ليكشمان، وقدم إلى (وشنو) وفي كل زاوية من زواياه المربعة مزار. وترتفع فوق رواق أربع قبب، إضافة إلى قاعة المصلين، هناك قاعة كبيرة للرقصات، وهناك هيكل آخر بني 1002 للميلاد وهو متراص ومتناغم وتتضمن منحوتاته، حورية عذراء، وحورية أخرى صغيرة.

ويبدو الهيكل الغربي مثيراً للإعجاب بقببه الثلاث وارتفاعه 30 متراً، حيث أنشئ هذا الهيكل في القرن الحادي عشر وأبرز ما يميزه المنحوتة الداخلية الأكثر دقة وإبداعاً، إذ توجد البنات الحوريات الراقصات اللاتي يضعن مواد التجميل ويلعبن مع القرود والببغاء، ويعد هذا الهيكل، الأكبر حجماً، إذ يملأ المكان بالحيوية وحب الحياة.

كما تتضمن المجموعة الشرقية، ثلاثة هياكل يانية (جينية) أحدها بني في القرن العاشر، وفقاً للشكل الهندوسي التقليدي[1].

هكذا بدت بلدة كاجوراهو، شهيرة بمعابدها وهياكلها الأثرية، ذات أهمية لدى الهندوس، لا سيما وسط الهند، ما عدا ذلك فهي بلدة هادئة، فقيرة تبدو طرقاتها وأطرافها جميلة، إذا تحيط بها الحقول والأراضي الخضراء، التي ترعى بها الماشية من جاموس وأبقار وأغنام، وتظللها الأشجار الجميلة على امتداد الطريق، كما تبدو القرى والأرياف على طبيعتها في تلك الأنحاء، وتتميز الطرقات بأنها ليست مستوية، وغالباً ما تكثر بها الحفر والمطبات، ويكثر وجود العربات التي تجرها الثيران ما بين الحقول وداخل البلدة.

[1] المؤلف المجهول، دليلك إلى الهند، بيروت، مطبعة الدار العربية للعلوم، الطبعة 1، 1420: 2002، جزء – 2، ص 153،154.

لقد أشار ابن بطوطة إلى تلك البلدة باسم كجرا واصفاً إياها بالمنزل الذي به حوض عظيم طوله نحو ميل وعليه الكنائس فيها الأصنام، وفي وسطه قباب، من الحجارة الحمر على ثلاث طباق وعلى أركانه الأربعة أربع قباب،.... ويسكن هناك جماعة من الجوكية، وقد لبدوا شعورهم وطالت حتى صارت في طولهم، وغلبت عليهم صفرة الألوان من الرياضة..." [1].

يصف ابن بطوطة بعض المعابد والهياكل التي تحدثنا عنها في كاجوراهو، ويبدو أنها قد طمست بعد ذلك.

قد يتحول هدوء البلاد إلى صخب وضجيج ابتداءً من العاشرة صباحاً ، إنه يوم الاحتفال، بما يسمى عيد (غانيش) في أندراها براديش، لا سيما حيدر أباد، أو ما يسمى بـ (أنوم) في كيرلا، ذلك حسب لغة الولاية. لقد بدأ الاستعداد لهذا اليوم منذ عشرة أيام، ويبدأ الاحتفال في اليوم الأخير، أما الاستعداد الأولي فيبدأ منذ عام، حيث العمل على إعداد التمثال الحجري، وطلائه، وتزيينه بالألوان ووضع الزهور وإنشاد الترانيم حوله صباح مساء، وأحياناً تعد الولائم المسائية، وتصدح الأشرطة المسجلة بالترانيم والأناشيد الهندوسية. ويبدأ في يوم محدد من كل عام بالحفل الكبير. إذ تنطلق المسيرات إلى أماكن مختلفة من المدن والقرى، وحيث يصعد معظم الشبان عربات النقل الكبيرة، التي زينت بالألوان والزهور ويستقل بعضهم الجرارات الزراعية إن لم تتوافر عربات النقل والشاحنات، ويحمل تمثال (غانيش) في إحدى العربات أو الشاحنات الضخمة، ويرفع برافعة إلى العربة، وهكذا يمرون به من مكان إلى آخر في أنحاء المدينة أو القرية، وهم يصفقون في حلقات دائرية، وينثرون المساحيق الناعمة ذات الألوان الغامقة من بنفسجي وأحمر وأصفر وغيرها على بعضهم البعض في الطرقات، كما تنطلق أبواق العربات فضلاً عن الأناشيد التي تصدح بها الأشرطة. ويستمر الاحتفال حتى ساعات متأخرة من فجر اليوم التالي [2].

[1] درويش الجويدي، رحلة ابن بطوطة، بيروت، مطبعة، أبناء شريف الأنصاري، طبعة مصححة، 2009/1430 جزء -2-، ص 150.

[2] مادهيا براديش، كا جوراهر، الهند، أكتوبر، نوفمبر، 2007.

يتواصل الطريق عبر كاجوراهو إلى بلدة، تدعي شانديليز (شانديلسي)، ولا يزال الاحتفال بالمهرجان مستمراً، بل يتزايد في بعض البلدات والقرى حسب أهميتها لدى الهندوس، تعد بلدة شانديلسي ذات أغلبية مسلمة، وهي في الداخل مزدحمة جداً، أسواقها تقليدية شعبية ومتاجرها صغيرة متنوعة بمختلف السلع والمواد التي قد لا ترد على البال. كما تكثر بها المطاعم الشعبية الصغيرة، أما الفنادق فهي بسيطة، إذ لا أثر للاهتمام بالسياحة، تبدو الشوارع والطرقات غير منظمة أو مطلية بالغار، كما أن البيوت والمباني بائسة. وتجد مع ذلك روح التراث الإسلامي الهندي العريق من احترام للتقاليد والعادات، فالأسرة الممتدة مثال على المحافظة على التقاليد العريقة، وإن كان الأشخاص أغنى الأغنياء، إلا أنهم يفضلون أن يعيش الأبناء المتزوجون وزوجاتهم مع ذات الأسرة غالباً.

وتزوج العائلات أبناءها في سن مبكرة، والعائلة المسلمة يكون مهر الزوجة أحياناً رمزياً اتباعاً لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم. وتكتفي الأسرة بتعليم أبنائها حتى المرحلة الإعدادية وغالباً المرحلة الثانوية، ويجيد أهل البلدة مفردات كثيرة من اللغة العربية، لا سيما الآيات القرآنية الكريمة، لذا يمكن التفاهم مع المتحدث، كما أن اللهجة المستخدمة غالباً ما تكون عثمانية مثل حضرة، المحترم أو المحترمة وغيرها. وهذا ما وجدناه من المرشد، وهو الذي وضح لنا ما تعنيه (أورشاها) فضلاً عن توضيحه بعض التقاليد المتبعة في لبلدة. يتم الاحتفال بالمهرجان الهندوسي حتى الحادية عشرة ليلاً أو العاشرة، فأضواء المصابيح تنير مداخل القرى وأطرافها، بينما أخذ البعض يغط في نوم عميق دون اكتراث لتلك الأصوات، حيث ينام هروباً من حر الداخل على مصطبة أو عتبة أمام البيت القديم جداً في أحد الأحياء.

ذلك هو القليل عن مدينة جنديري، التي أشار إليها ابن بطوطة متخذاً نفس خط الرحلة من كجرا (كاجوراهو) إليها حيث يقول: ".. ثم سافرنا إلى مدينة جنديري، مدينة عظيمة لها أسواق حافلة، يسكنها أمير أمراء تلك البلاد عز الدين البنتاني، وهو المدعو بأعظم ملك، وكان خيراً فاضلاً يجالس أهل العلم.." [1].

---

[1] درويش الجويدي، رحلة ابن بطوطة، بيروت، مطبعة، أبناء شريف الأنصاري، طبعة مصححة، 2009/1430، جزء -2، ص 151.

يؤكد ذلك القول انتشار الإسلام، والأسماء الإسلامية التي لا تزال في تلك البلدة، وكما تشهد على ذلك كثرة المساجد والمباني الإسلامية القديمة جداً ويشير المرافق المرشد إلى وجود الإسلام القوي في الهند وحيث لقبه الأنصاري، مؤكداً بأن أجداده هم الأنصار الذين نصروا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقدموا إلى الهند لنشر الإسلام[1].

اختفت أضواء المدينة، وصخب الاحتفال والرقصات، وإن ظهرت بين الحين والآخر في القرى النائية. حيث تسير السيارة وسط غابات وأدغال وطرق وعرة جداً، وتبدو تلك الطرق كما لو كانت ظهار أو دهار التي ذكرها ابن بطوطة قائلاً: "... ثم سرنا من جنديري إلى مدينة ظهار وهي مدينة المالوة، أكبر عمالة تلك البلاد وزرعها كثير خصوصاً القمح، ومن هذا المدينة تحمل أوراق التنبول إلى دلهي، وبينها أربعة وعشرون يوماً. وعلى الطريق بينهما أعمدة منقوش عليها عدد الأميال فيما بين كل عمودين، فإذا أراد المسافر أن يعلم عدد ما سار في يومه، وما بقي له إلى المنزل أو إلى المدينة التي يقصدها، قرأ النقش الذي في الأعمدة فعرفه... ومدينة ظهار إقطاع للشيخ إبراهيم... قدم إلى المدينة فأحيا أرضاً مواتاً هناك وصار يزرعها بطيخاً، تأتي في الغاية بتلك الحلاوة ليس بتلك الأرض مثلها..." [2].

نتبين مما تقدم وكأن ابن بطوطة يصف طرقات وغابات الهند النائية حالياً، إذ يلفت الانتباه عند المرور بين طرقات الغابات والأدغال المظلمة، أن الإنارة أو الكهرباء لا وجود لها وإن وجدت في بعضها فهي خافتة جداً، والمثير أن جذوع الأشجار الضخمة والكبيرة لا تزال معلمة باللون الأحمر، وبعضها الآخر باللون الأبيض اللامع، ويكون الجواب حينما تسأل عن السبب في وجود تلك الإشارات، إنها تستخدم للإضاءة لا سيما العلامة البيضاء، كما أن الحمراء للدلالة على المسافات والكيلومترات التي قطعت. إنها إشارات ضوئية قديمة، ولا تزال تستخدم. ولا زال

---

[1] المرشد، مظفر، أحمد الأنصاري.

[2] درويش الجويدي، رحلة ابن بطوطة، بيروت، مطبعة، أبناء شريف الأنصاري، طبعة مصححة، 2009/1430، جزء -2، ص 151.

البطيخ الذي يزرع في مختلف الولايات الهندية حلو الطعم مختلف في طعمه عن باقي الدول تقريباً.

تلي مدينة شانديلس بلدة سانشي وهي محطة الاستراحة، وبها بها أبراج بوذية على شكل هرم، وهي ذات مثار إعجاب بين المعالم في الهند، ويقع هذا المعلم الذي يضم، رفاة بوذا، على هضبة من سلسلة هضاب فينديا، التي يبلغ ارتفاعها 91 متراً. كما تبعد بهوبال التي تحدثنا عنها سابقاً ما يقارب الساعتين، وهي ذات طابع وأغلبية مسلمة. ويمكن ملاحظة بعد يوم أو يومين آثار الانتهاء النهر الراكد، فبقايا الزهور والألوان، والأطعمة متناثرة في الأنحاء، حيث رمي التمثال ومن ثم دورة الحياة، بالاستعداد للمهرجان القادم بصنع تمثال آخر جديد[1].

تقع أورنغ أباد "أي مدينة العرش في الهند، وهي عاصمة مقاطعة أو إمارة سابقاً في مملكة نظام شاه في داخلية رئاسة مومباي سابقاً، ولا زالت تتبع مهارشترا التي عاصمتها حالياً مومباي كانت قديماً تسمى غوركاه ولما ملك أورنكزيب اهتم بالمدينة وجعلها مركز إقامته عوضاً عن أحمد نغر، فهكذا نسبت إليه إلى أن نقل حكم مملكة النظامية إلى حيدر أباد، تقع هذه المدينة على ملتقى طرق كثير ويحيط بها منطقة من جبال والمياه كثيرة فيها، ولكل بيت نبع مختص به وحوض وقناة يجري فيها الماء وكلها مبينة على الأقنية كانت ذات قصور وجوامع وأسواق معدودة، وفيها من الآثار قبر بناه أونكرزيب لا مرأته وفيها مات أيضًا[2].

كما يوجد قلعة دولت أباد العظيمة، وبالقرب منها ألورا ذات الكهوف الشهيرة والمقدسة عند الهندوس لا تزال تلك القناطر والسدود موجودة في المدينة إذ تبعد عنها مسافة 84 كلم وتشرف على أجمل المناطق وتعد من السدود العظيمة، والتي حولت المدينة إلى ما يشبه المتنزه الرائع.

أشار ابن بطوطة إلى دولة أباد وضخامتها وعظمتها التي توازي دلهي في العدد والاتساع وتنقسم آنذاك إلى دولت أباد حيث سكن السلطان والعساكر، أما القسم

[1] مادهيابراديش، سانشي، الهند، أكتوبر، نوفمبر، 2007.

[2] بطرس البستاني، دائرة المعارف، بيروت، مطبعة دار المعرفة، لا طبعة، لا تاريخ، المجلد -4، ص 629.

الثالث فهي القلعة التي لا مثيل لها في الحصانة، وتسمى الدويقير، والقلعة قطعة حجر في أرض منبسطة، قد نحتت، وبنيُ بأعلاها قلعة يصعد إليها بسلم مصنوع من جلود ويرفع ليلاً، وبها سجن لمرتكبي الجرائم العظيمة. كما أشار ابن بطوطة، إلى اشتهار نسائها بالحسن، ووفرة العنب والرمان بها، ووصف جمال سوقها، طرب آباد، من حيث أنه أجمل الأسواق وأكبرها، به الدكاكين الكثيرة وهو سوق للمغنين والمغنيات، لذا سمي طرب آباد. والدكاكين لها باب يؤدي إلى دار صاحبه، وهو مزين بالفرش، وفي وسطه ما يشبه المهد تجلس فيه المغنية أو تنام، وهي مزينة بالحلي، والجواري يحركن المهد، ويحتوي السوق على قبة عظيمة مزخرفة، يجلس فيها أمير المطربين بعد صلاة العصر، كل يوم خميس وبين يديه المماليك والخدم، وتأتي المغنيات للغناء والرقص إلى وقت المغرب، ويوجد في السوق المساجد للصلاة، كما يصلى فيها الأئمة التراويح في شهر رمضان[1].

نجد أن أغلب السلاطين من غير المسلمين، وإن ذكر ابن بطوطة أن بعض سلاطين المسلمين استمعوا إلى المغنين والمغنيات، مما يدل على الامتزاج بين الثقافتين، وحب السلاطين لوسائل الترفيه والترويج عن النفس وهذا هو الحال في سائر العصور، وتلك العادات يبدو أنها قد جلبت من حضارات أخرى.

[1] درويش الجويدي، رحلة ابن بطوطة، بيروت، مطبعة، أبناء شريف الأنصاري، طبعة مصححة، 2009/1430، جزء -2، ص 152-153.

خاتمة الباب الثالث

هكذا بدت أبرز مكونات المجتمع الهندي والحياة الاجتماعية في الهند، منذ عدة قرون وحتى اليوم، تلك المكونات تضمنت أبرز العناصر العرقية والطائفية، بما في ذلك من ثراء ثقافي وفكري والذي انعكس بدوره على المجتمع بمختلف مكوناته، مما نتج عنه حضارة ذات مزيج مميز وطابع فريد، قادر على احتواء، مكونات المجتمع. ومما يدل على ذلك، معاقل التراث الإسلامي الخالدة في شبه القارة الهندية، والتي صمدت رغم التحديات، بما في ذلك دور العبادة ومدارس العلم، فضلاً عن العادات والتقاليد والطقوس الدينية ذات الطابع الشرقي والعربي، كما تتضمن ملامح التراث الهندوسي والأساطير والتقاليد التي تسير الحياة الاجتماعية لدى الهندوس.

ولعلنا نتبين مما تقدم، أن أبرز ما يميز الحضارة في الهند، هو الارتباط بالقديم، وعدم نسيانه أو طمسه كما يحدث في البلاد التي تزيل آثار التراث بما فيها من عمران وطبيعة، ثم تحدث مرحلة النكوص إلى القديم بدعوى إحيائه والتمسك به، وما ذلك إلا حسب متطلبات العصر، والمنافسة لإبراز التراث وفقاً لمخططات الربح والشهرة العالمية. إن القديم في الهند خالد لم تمسه يد البشرية، فهو بشكل عام أصيل غير مصطنع غالباً. وإن كانت هناك إصلاحات بهدف الصيانة والترميم، إلا أنها ليست جذرية.

ومما يلفت أنظار السائح أن أداء الطقوس الدينية والعادات والتقاليد لا سيما في المواسم والمناسبات، لا يزال مستمراً وهو غريب فريد وذو نكهة وطابع مميز ذلك جنباً إلى جنب مع روح العصر والحداثة. ولا يعني الارتباط بالقديم عدم محاولة الحكومة والمثقفين التخلص من شوائب الماضي، التي تشكل تحدياً تواجهه الدولة، ومن ذلك ما يختص بعادات وتقاليد إغراق الإنسان نفسه في الغانج اعتقاداً بنيل البركة والخلود ثم إخراجه وإحراق جثته، فضلاً عن إحراق جثث الموتى، وإحراق المرأة نفسها بعد وفاة زوجها، فتلك العادات لا تزال موجودة في أنحاء من الولايات

الهندية، إلا أن الحكومة تحاول حث الأهالي على التخلص من العادات السلبية، لأن ذلك يحتاج وقتاً طويلاً، إذ من الصعب القضاء على الموروث السلبي بسهولة.

وتبقى الحضارة الهندية مميزة تجمع بين القديم والحديث. الأصالة والمعاصرة، وكل ما هو ملفت ومثير للسائح وللسياحة الحديثة.

خاتمة الكتاب

اهتمت هذه الرسالة بدراسة تاريخ بعض المدن الهندية البارزة، وإلقاء الضوء على حضارتها، نشأتها، عمرانها، فضلاً عن مناطق الجذب الطبيعية، وأبرز جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية بشكل عام، ذلك في المدن بقصورها وشوارعها وطرقاتها، ومقارنة نشأة المدن وتطورها على امتداد فترة زمنية بدأت منذ القرن الرابع عشر الميلادي وحتى القرن الحادي والعشرين، ذلك من خلال المراجع الأدبية والمصادر السياحية ذات الاهتمام بالهند وتراثها.

اعتنى البحث بما صاحب نشأة الحضارة والعمران في الهند، من أحداث وحروب وتقلبات ساهمت في بناء دولة عريقة وطبعتها بطابع مميز حتى يومنا هذا. كما اهتمت الدراسة بإلقاء الضوء على بعض المدن ذات الجذب الطبيعي السياحي وتتبعها من خلال الوصف، وربط ذلك بما ورد في المراجع، لا سيما العربية منها.

كانت الدراسة للهند منهجاً سرنا عليه في إعداد دراسة عامة حول تاريخ وحضارة الهند والجوانب الثقافية التي تسير الحياة من حيث الدين والمعتقدات وأبرز العادات والتقاليد في المجتمع الهندي من هندوسية وإسلامية وغيرها من أقليات دينية ولم تتعمق الدراسة في الجوانب الدينية والمعتقدات، وذلك طلباً للموضوعية والدقة، وبعداً عن التعقيد والتشعب، مما يبعدنا عن الهدف من الرسالة.

تطلب منا إعداد الرسالة الزيارة المتكررة للهند بهدف البحث والملاحظة، وإجراء الحوار الشفوي مع بعض المرشدين، والاستفسار من عامة الناس وسائقي سيارات الأجرة، ومن ثم تدوين ومقارنتها بما شاهدناه وقرأناه حول أسماء المدن والقرى والطرقات، فضلاً عن الطبيعة والعادات المتبعة في المجتمع.

كان التركيز في الباب الأول على نشأة المدن، وما واكب ذلك من اعتلاء السلاطين والملوك والمهراجات للحكم، ودورهم في عمران البلاد، وقد تبين أنهم ساهموا في تشييد حضارة فريدة وبناء صرح كبير شاركت في نشأته أعراق وأديان متنوعة، وصولاً إلى استقلال الهند وانضمامها إلى الهيئات والمنظمات العالمية، حيث تبوأت المراكز السياسية والتجارية والصناعية في العالم.

كما تناول الباب الثاني بعض المدن ذات الجذب الطبيعي السياحي، وما لها من أهمية في المحافظة على الطبيعة المحمية والسياحية في الهند، وقد تبينا أن أبرز مقومات السياحة هي الإنسان ودوره في رعاية البيئة المحمية والطبيعة، والمحافظة على كل ما هو بكر طبيعي دون أن تطاله يد الحداثة أو الأطماع، كما وجدنا أن التطابق بين ما شاهدناه وقرأناه في بعض المراجع كبير جداً، ولا تزال آثاره موجودة حتى وقتنا الحاضر.

لقد تناولنا ما تقدم من خلال منهج تاريخي أدبي يقوم على الملاحظة والربط بين الملاحظة وما ورد في المراجع والمصادر ذات الاهتمام بالهند والطبيعة فضلاً عن السياحة.

وقد استنتجنا أثناء الملاحظة والتقصي، بأننا أفدنا من رحلة ابن بطوطة، ودائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب.

وتجلى لنا من خلال البحث في الباب الثالث أن التنوع أفاد الهند ولم يضر بها، إذ قامت فيها حضارة كتب لها البقاء والاستقرار، حيث التعايش في تناغم بالرغم مما يطفو على السطح بين فترة وأخرى من أحداث تزعزع كيان الدولة والمجتمع، إلا أن ذلك لا يقارن بما يحدث في دول أخرى. ولقد تبينا من هذه الدراسة أن سبل الحضارة توفرت في هذا البلد منذ قدم العصور، حيث الاحتكاك بالشعوب الأخرى ومن ثم الاختلاط، فنتج عن ذلك التقدم في العمران والاقتصاد والنظم الإدارية والسياسية والاجتماعية، فالطابع المميز لهذه الدولة هو التناغم ما بين الحضارات من هندوسية وإسلامية عربية، فضلاً عن الطابع الغربي الحديث.

وقد ركزنا على الطابع الإسلامي منذ عهد بني تغلق حيث تقدمت النظم السياسية والاجتماعية بشكل ملحوظ لا سيما في عهد السلاطين المتأخرين الذين قامت دولتهم على أسس سياسية واجتماعية متطورة، أرست قواعد الدولة وساهمت في بقائها على مدى القرون.

بدا لنا أن النظام التغلقي تميز بالبدء من القمة، فالسلطان هو القائد الأعلى للجيش ومصدر الحكم والتشريع، وقد صاحب قيام الدول أحداث وتقلبات أثرت

فيها، لا سيما أن اعتلاء السلاطين كان وراثياً، لذلك نجد أن فترة الحكم غالباً ما تتميز بالمؤمرات والدسائس والاضطرابات.

وهذا لا يعني أن فترات حكم بعض السلاطين امتدت لسنوات طويلة، فاتسمت بالهدوء والاستقرار، وقد تقدمت الوظائف الحكومية الرئيسية والوظائف بالنيابة، فضلاً عن وظائف المتابعة والإشراف، كما خضع أصحاب المناصب العليا في الدولة لرقابة صارمة وأسلوب متابعة دقيق مما رسخ دعائم الدولة، بسبب السيطرة على الموظفين والمحاسبين، وتلك مقومات نهوض الدول وحضارتها وبنائها ومن ثم استقرارها وقوتها. ولقد أفادت الهند أيضاً من فترات الاحتلال المغولى والأوروبي سواء أكان ذلك في الأنظمة الإدارية والسياسية أو تخطيط المدن والطرقات ومد الجسور وإقامة الأنفاق والسكك الحديدية، فضلاً عن الاستفادة من التشريعات الدستورية التي ساهمت في بناء دولة مستقلة ذات سيادة وبرلمان وأحزاب سياسية منتخبة.

لقد تجلى لنا من خلال هذا البحث أن النظم الاجتماعية اتسمت بنسيج متناغم يتألف من عناصر وأعراق متنوعة، مع وجود الصعاب أحياناً في التوافق بين هذا التنوع والتعدد، إلا أن السلاطين والحكومات غالباً ما تسيطر على الاضطرابات، ذلك بسبب تطبيق القوانين التي تكفل للدولة الهيبة والقوة، وذلك بالرغم مما تعانيه دولة مثل الهند اقتصادياً واجتماعياً بسبب معدل النمو السكاني الذي له دور في تدني دخل الفرد.

بدت مظاهر الحياة الاجتماعية منذ القرن الثالث عشر الميلادي، في وسائل الترف والبذخ في قصور السلاطين ورجال كبار الدولة والمهراجات ولا تزال آثار هذا التنوع تميز المجتمع حيث الفقر والغنى وبينهما الوسط.

كما تبدو مظاهر الحياة الاجتماعية الملفتة في الهند في تنوع الأزياء في مختلف المدن والقرى، ولا ننسى المواسم والمناسبات الدينية والاحتفالات بالأعياد وحفلات الزواج عند الهندوس والمسلمين وغيرهم، وحيث التمازج بين تلك الأعراق في العادات والتقاليد مما يكون تراثاً شرقياً صميماً، تجد فيه الاهتمام بالفن والموسيقى أيضاً، فضلاً عن الاهتمام بمظاهر العلم والأدب، إذا انتشرت المدارس والمعاهد

والمساجد الدينية، فضلاً عن المدارس والجامعات العلمية المتطورة، وقد بدأ الاهتمام بتلك المراكز من السلاطين والحكام ولا تزال الدولة تشجع أصحاب المواهب والنشاطات العلمية والأدبية في مختلف التخصصات.

نستنتج مما تقدم أن اهتمامنا بالهند والإعداد لهذا الموضوع يعود جزء منه إلى التعلق بماضٍ اندثر، إلا أنه لا يزال محفوراً في الذاكرة، وكثيرة هي المدن والقرى الهندية التي طالما ذكرتنا بثقافة اختفت وتراث اندثر في الوطن وفقد اختفت مبانٍ وبيوت متواضعة، كما اختفت مظاهر الطبيعة التي طالتها يد العمران، فقد اجتث النخيل، وأعيد غرسها من جديد، إلا أن شكلها ولونها وطعمها يختلف عما ألفناه فضلاً عن البحار التي دفنت والأحياء التي أزيلت وحلت محلها المجمعات السكنية والتجارية حبذا العمران والحداثة، ولكن لا بد من الدراسة والتخطيط، مما يخفف التوازن الذي يجنبنا الاختلال مما يؤدي إلى الاضطراب وضياع الطابع المميز للأمة.

إن الهند تذكرنا أيضاً بالمقاهي الشعبية والمتاجر الصغيرة والجلسات المتواضعة على العتبات، فضلاً عن البضائع المحلية الصنع من بسط وفرش وأسرة نوم وملابس وأون، فضلاً عن والنوافذ والأبواب والطرقات الضيقة، ومصادر جلب المياه، إنه شريط مصور يتم أمام العين تمتزج فيه الذكريات بالواقع، إنه الواقع في بلاد العجائب، إذ الارتباط بين الحضار، والتمدن والتراث حتى في كبريات العواصم والمدن الهندية.

لذا يجب أن يكون الموروث مادة قابلة للتجديد والبحث والدراسة مما يساهم في إثراء السياحة وتطورها وبالتالي نمو الاقتصاد الوطني.

الخرائط

خارطة الهند الإسلامية

خارطة توضح رحلة ابن بطوطة إلى دلهي

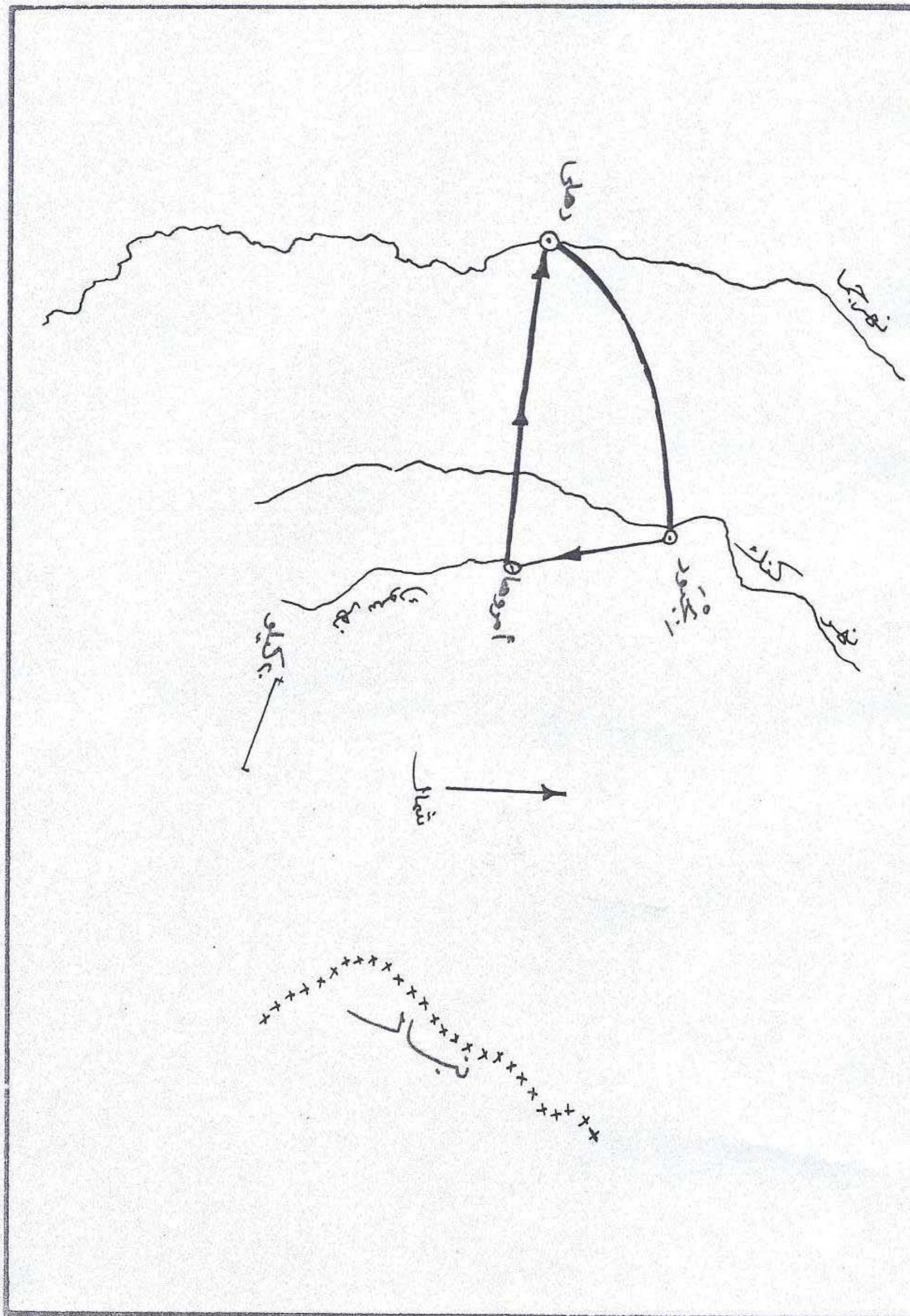
خارطة توضح رحلة ابن بطوطة إلى المليبار

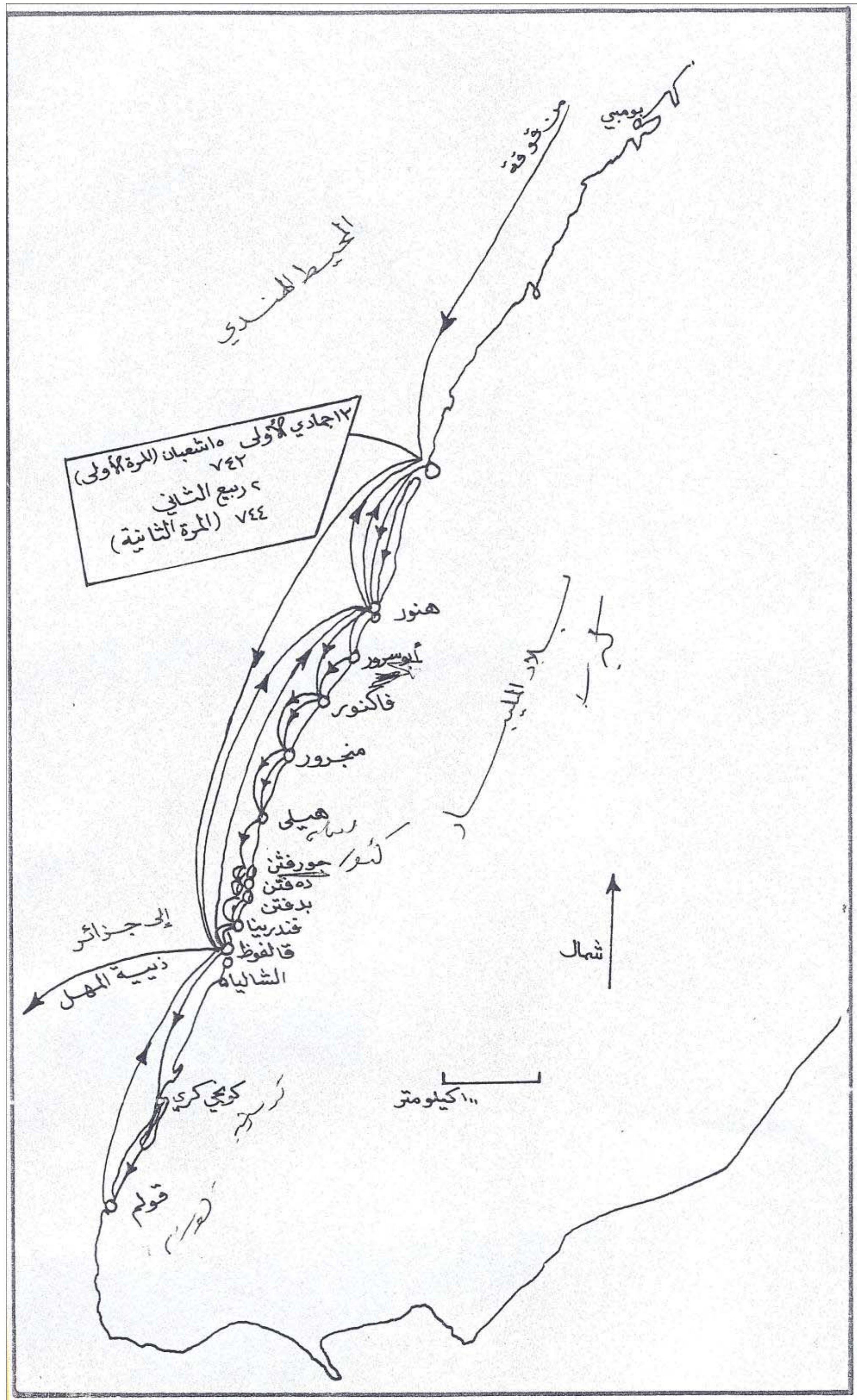
خارطة الهند الحديثة

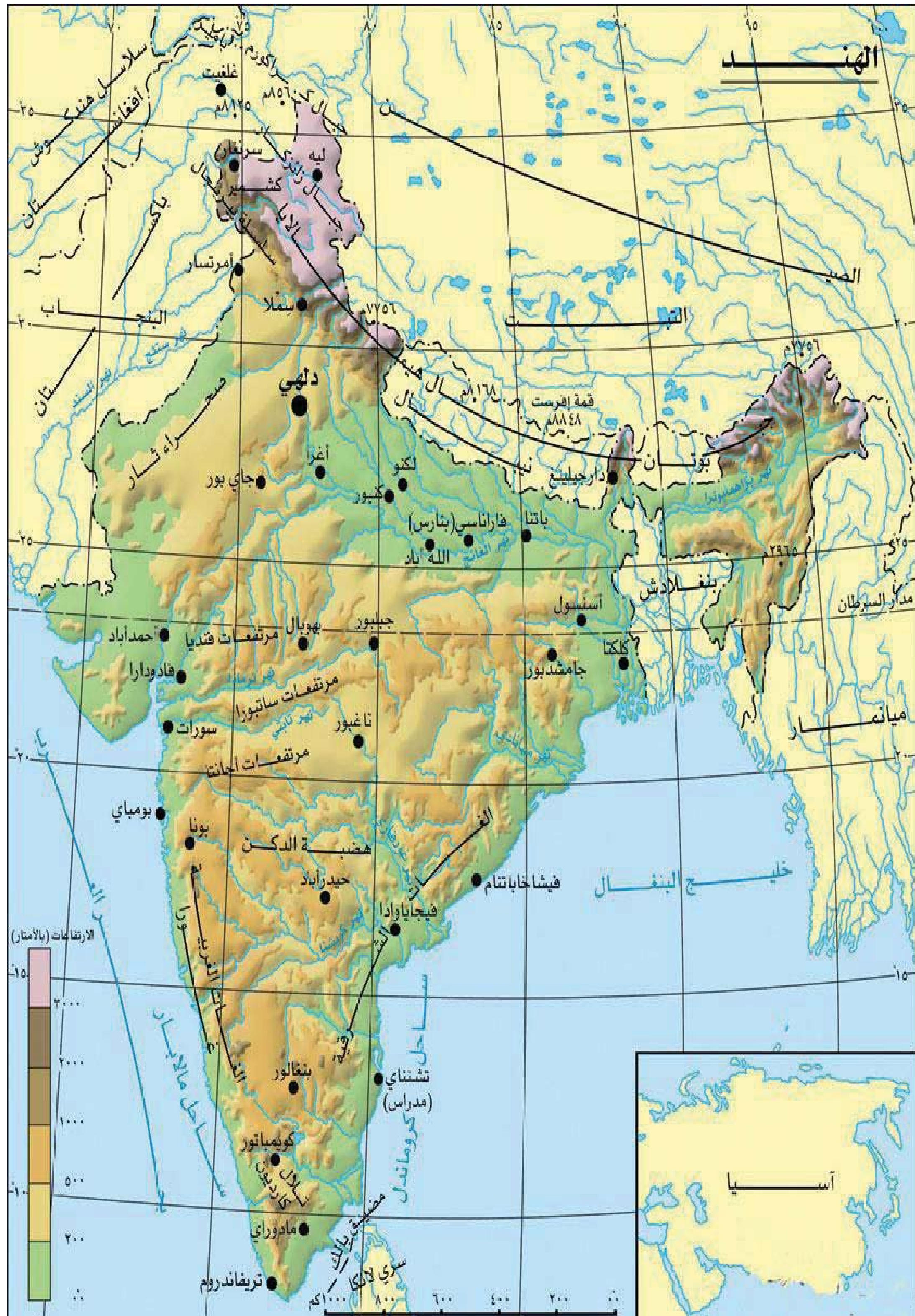
الهند الإسلامية

آل تغلق حتى غزو تيمورلنك للهند






من ظفار
بومبي
المحيط الهندي
١٢ جمادي الأولى ١٥ شعبان (المرة الأولى)
٧٤٢
٢ ربيع الثاني
٧٤٤ (المرة الثانية)
هنور
فاكنور
منجرور
هيلي
جورفتن
ده فتن
بدفتن
فندرينا
قالقوط
الشاليات
إلى جزائر ذيبة المهل
كوبجي كري
قولم
شمال
١٠٠ كيلومتر



الهند
دلهي
أغرا
جاي بور
لكنو
كنبور
فاراناسي(بنارس)
الله آباد
باتنا
دارجيلينغ
بوتان
بنغلادش
أسنسول
كلكتا
جامشدبور
أحمدأباد
فادودارا
سورات
بهوبال
جبلبور
ناغبور
بومباي
بونا
هضبة الدكن
حيدرآباد
فيشاخاباتنام
فيجاياوادا
خليج البنغال
بنغالور
تشنناي
(مدراس)
كويمباتور
مادوراي
تريفاندروم
سري لانكا
ميانمار
مدار السرطان
التبت
أمرتسار
سملا
سرينغار
ليه
غلغيت
كشمير
صحراء ثار
مرتفعات فنديا
مرتفعات ساتبورا
مرتفعات أجانتا
قمة إفرست
٨٨٤٨م
الارتفاعات (بالأمتار)
آسيا

قائمة المصادر والمراجع

- احمد، حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، بيروت، مطبعة دار المعرفة، طبعة4، 1977 جزء، 1، 381ص.
- المؤلف، مجهول، دليلك إلى الهند، بيروت، مطبعة الدار العربّية للعلوم، طبعة 1، 1421/ 2002 ، جزء - 1، 278ص.
- أمين، الريحاني، ملوك العرب، بيروت، مطبعة دار الجيل، طبعة 8، 1987، جزء - 2، - 458 531ص.
- برني، ضياء الدين، تاريخ فيروز شاهى، لاناشر، لا مطبعة، لا طبعة، لا تاريخ، جزء -1 ، 293 ص.
- بطرس، البستانّي، دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، مطبعة دار المعرفة، لا طبعة، لا تاريخ، مجلد- 11،عدد الصفحات:
- بهيج، ملاحوبش، موسوعة الزاد للعلوم والتكنلوجيا، مدريد، مطبعة الزاد، لا تاريخ، جزء -8، 1969ص.
- ثريا، عبدالفتاح ملحس، منهج البحوث العلمية، بيروت، مطبعة دار الكتاب اللبنانّي، طبعة 3، 1404/ 1982، جزء -1، 233 ص.
- حمد، بن محّمد النبهان، التحفة النبهانّية في تاريخ الجزيرة العربّية، بيروت، البحرين، مطبعة دار إحياء العلوم طبعة 1، 1986، جزء -1، 448ص.
- درويش، الجويديّ ، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، مطبعة أبناء شريف الأنصاريّ، طبعة مصّححة، 1430/ 2009، جزء -2، 367- 320ص.
- دنيز، طحّان، ريمون طحّان، مصطلح الأدب الانتقاديّ المعاصر، بيروت، مطبعة دار الكتاب اللبنانّي، طبعة 2، 1984، جزء -1، 296 ص.
- راتب ، الزّيات، سلسلة عالم المدن حول بلدان العالم ، بيروت ، مطبعة دار المعرفة، طبعة 4 ، 1997 ، جزء -1 ،381 ص.
- سيد، قطب، النّقد الأدبّي أصوله ومناهجه، بيروت، القاهرة، مطبعة دار الشروق، طبعة 7، 1993، جزء -1، 228ص.
- الشهرستانّي، الملل والنحل للشهرستانّي، تحقيق، فريد نحيلان، بيروت، مطبعة دار المعرفة، لا طبعة، 1962، جزء -1، 254 ص.

- عبدالحسين، الأعسم، الرحلة الأعـسمّية في الـديار الهندّيـة، بـومبي، مطبعـة المطبعـة الحجازّيـة، لا طبعة - 1346، جزء -1، ص281.
- عبدالعزيز، التركي، الفكر من الهندوسّية إلى الإسلام، الكويت، لا طبعـة، لا مطبعـة، 1975، مجلـد 6، 444 ص.
- عبدالـلـه ، الأمين ، دراسات في الفرق والمـذاهب القديمـة والمعـاصرة، بـيروت، لا مطبعـة، لا طبعـة، 1406/ 1986، جزء -1، 61 ص.
- عبدالمنعم، الشّمر، تـاريخ الإسـلام في الهنـد، بـيروت مطبعـة المؤسـسّة الجامعيـة للدراسـة والنـشر والتوزيع ، لا طبعة، 1.14/ 1981، جزء -1، 50 ص.
- عيـسى، النـاعوريّ ، نحـو نقـد أدبّي معـاصر، طـرابلس، مطبعـة الـدار العربّيـة للكتـاب، لا طبعـة ، 1981، جزء -1، 448 ص.
- القشيريّ ، في الرسالة القشيريّة، تحقيق عبدالحليم محمود، القاهرة، لا مطبعـة طبعـة 1، 1963، جزء -1، 120ص.
- مبارك، الخاطر، نابغة البحرين عبدالـلـه الزايد، حياته وأعماله، المنامة، مطبعة المطبعـة الحكوميـة، طبعة 2، 1988، جزء -1، 179 ص.
- محمد، حّسان خان، دارالعلوم تاج المساجد بهوبال ، مطبعـة محمـد سـعيد المجـدديّ، لا طبعـة، لا تاريخ، جزء -1، 27ص.
- محّمد، عليّ الصابونّي، التبيان في علوم القرآن ، الإسكندريّة، مطبعة دار عمر بن الخطاب، لا طبعـة، 1390/ 1971، جزء -1، 203 ص.
- محّمد، مندور، في الأدب والنقد، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، لا طبعة، لا تاريخ، جزء -[illegible]، 158 ص.
- الندويّ ، حضارة الهند ، لا ناشر، لامطبعة، لا طبعة، لا تاريخ، جزء -1، 310 ص.

ثانياً: الكتب المترجمـــــــة

- جوستان، لوبون، حضارة الهند، لا ناشر، لا مطبعة لا طبعة، لا تاريخ، جزء1، 310ص.
- دالين، دبولدفان،مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة نوفل محمد نبيل، القـاهرة، مطبعـة الانجلو المصرية، طبعة2، 190، جزء1، 651ص.

- لا نسون، ومابيه، منهج البحث في الأدب واللغة، ترجمة محمد مندور، بيروت، مطبعة دار العلم للملايين، لا طبعة، 1992، جزء- 1، 173 ص.

ثالثاً: الحـوليــــات

- وليات كلية الآداب، النظم السياسية والاجتماعية في عهد بني تغلق، الكويت مطبعة النشر العلمي، جامعة الكويت، لا طبعة، 1998 /1412، الرسالة - 28، 97 ص.
- حوليات، كلية الآداب، مقالات الأساتذة، بيروت، معهد الآداب الشرقّية ، لا طبعة، 1981، المجلد -1، 425 ص.
- حوليـات، كليـة الآداب، مقـالات الأسـاتذة ، بـيروت، معهـد الآداب الـشرقّية، لا طبعـة، 1982/ 1983، المجلد -2، 417 ص.

رابعاً : الرسائل الجامعيّة

- منى، غزال العليوات، إبراهيم العريض بين مرحلتين الكلاسيكية والرومانسية رسالة ماجستير (في اللغة العربية وآدابها)، نشرت، جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت ، 1998، 190 ص.
- نورية،صالح الروّمي، الحركة الشعريّة في الخليج العربّي بين التقليد والتطور، أطروحة دكتوراة، (في اللغة العربية وآدابها) جامعة عين شمس، 1989، 500- ص.

خامساً: الكتيبات السياحّيــة

- دليل سياحي، كشمير أرض لاتغيب عن الذاكرة، جمون وكشمير، لا مطبعة، لا طبعة، لا تاريخ، جزء -1، 22 ص.
- دليل سياحي، هند العجائب، الهند للسياحة، دبي الإمارات ، لا طبعة لا مطبعة، لا تاريخ، جزء -1، 35 ص.
- دليل سياحي، الهند للسياحة، دبيّ، الإمارات، لا طبعة، لا مطبعة، لا تاريخ، جزء -1، 35 ص.

المحتويات